Democratic Arabic Center
For Strategic, Political & Economic Studies

التعليم والأمن الفكري

أ.د فاطمة الزهراء سالم محمود

2025

التعليم والأمن الفكري

DEMOCRATIC ARABIC CENTER

EDUCATION AND INTELLECTUAL SECURITY

VR . 3383-66874.B.

DEMOCRATIC ARABIC CENTER
GERMANY: BERLIN
TEL: 0049-CODE
030-89005468/030-898999419/030-57348845
MOBILTELEFON: 00491742727427871

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية

Democratic Arab Center
for Strategic, Political and Economic Studies

الـنـــــاشـــر

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
ألمانيا / برلين

Democratic Arab Center
For Strategic, Political & Economic Studies
Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه
في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.
جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved
No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

Tel: 0049-code Germany
54884375-030
91499898-030
86450098-030

البريد الإلكتروني
book@democraticac.de

عنوان الكتاب	التعليم والأمن الفكرى
مؤلف الكتاب	أ.د.فاطمة الزهراء سالم محمود
رئيس المركز الديمقراطي العربي	أ. عمار شرعان
مدير النشر	د. أحمد بوهكو
رئيس اللجنة العلمية	د. ربيعة تمار
الطبعة	الأولى
السنة	2025م
عدد الصفحات	282
رقم تسجيل الكتاب	VR.3383-66874.B.
الناشر	المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية | برلين – ألمانيا

الآراء الواردة أدناه تعبّر عن رأي الكاتب ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر المركز الديمقراطي العربي

التعليم والأمن الفكرى

أ.د.فاطمة الزهراء سالم محمود

أستاذ أصول التربية

كلية التربية - جامعة عين شمس

2025

إهداء

أهدى هذا العمل إلى وطنى الأول والأخير الذى حفر في الوجدان منذ طفولتى ، وأثناء تحية العلم كل صباح في مدرستى طوال مراحل التعلم ، والذى كلما مر الزمان عليه بأزمات وإشكاليات لا يخضع ويظل شامخاً أبياً واقفاً أمام التحديات الجسام بقوة وصمود كى تمر وتأتى غيرها ، ويأتي أشخاص يجددون العهد بالعمل والانجاز والرحمة والإنسانية .

وطنى الغالى **مصر** الذى احتل مساحة واسعة في قلوب المخلصين الذين لا يألوا جهداً من أجل خدمته بالعمل الصالح والأمين ، والفكر المستقيم والواعى والناقد والعمل المنجز .

أهدى هذا العمل لشباب العالم المتعلم والواعى بأهمية تحقيق الأمن الفكرى في مجتمعه ، والذى يرفض عمليات الاستقطاب والاستلاب الفكرى ، ويعمل وينجز ويحقق التنمية داخل مجتمعه ، ويهتم بتنمية ذاته بالتعليم والتدريب والابتعاد عن السطحية في التفكير وتضييع الوقت في التفاهات أو كل ما يغيب الفكر والعقل عن العمل الانسانى المشرف له ولوطنه على السواء .

أهدى هذا العمل لكل امرأة وفتاة تتسم بالعقلانية في التفكير وتبتعد عن السطحية ، وتعمل من أجل تثقيف ذاتها وتحقق إنجازات غير مسبوقة ، وتخدم وطنها بالعمل الحقيقى ، والتعليم الحقيقى الذى يحمل قيم ومبادئ نترقب آثارها في السلوك اليومى والحياة اليومية في التنشئة السليمة فكراً وسلوكاً للأجيال .

أهدى هذا العمل لكل مؤسسة تعليمية تقيم وزناً للحوار والنقاش بين الطلاب والمعلمين والإدارة والقيادات ،وتسمع لأفكارهم وأطروحاتهم ،ومشكلاتهم وتعمد على حلها والتفكير سوياً في حل أزمات المجتمع من خلال المناقشات الثرية داخل مؤسسات التعليم ، وفى المناهج التعليمية عن أفضل السبل لحل أزمات المجتمع في مجالات الطاقة والغذاء والماء والاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية.

أهدى هذا العمل لكل انسان عاقل يدرك أن قيمة العيش في أمن وأمان ، وأن الأمن يبدأ على مستوى الذهن كى يضحى سلوكاً ممارساً في واقع الحياة .

.....

مقدمة

عندما يشعر الإنسان بأنه بحاجة إلى الأمن ، فهذا يدل على أنه يعيش في حالة خوف، وهلع ، واضطراب فكرى . فالأمن ينزع الشعور بالخوف والاضطراب والهلع لدى الإنسان . والشعور بالأمن الفكرى يتجلى في أن منظومة التفكير لدى الفرد والمجتمع تسير في الاتجاه الصحيح وفقاً لمبادئ وأهداف الإنسانية . أي العمل والتنمية والإعمار والإنجاز والإبداع حيث أن الله عز وجل جعل الإنسان خليفة في الأرض من أجل تحقيق الأهداف السابقة لا التخريب أو نزع الأمن والأمان من البشر واحساسهم بالخوف على مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ومجتمعهم.

والتمكن من التعليم الحقيقى المبنى على الحوار العقلانى ، والموضوعية في التفكير بالأدلة والحجج المنطقية ، وتحويل الأفكار والتصورات الذهنية إلى ممارسات فعلية منتجة ومثمرة على أرض الواقع يعد من أهم أدوات ،وتقنيات تحقيق الأمن الفكرى داخل أي مجتمع .

إذ لا يمكن أن يتحقق الأمن الفكرى داخل الفرد أو المجتمع أو العالم بدون الوعى والتعليم الحقيقى ، وأقصد بالتعليم الحقيقى هنا هو رسوخ قيم ومبادئ التعليم في الذهن كى يتحول إلى واقع وممارسات عملية سلمية ،وليس التعليم التخريبى الذى يستخدمه أتباعه ومنتجيه في التدمير وقهر الأفراد وإرهابهم وشعورهم بالخوف والهلع.

نعم التعليم الحقيقى الذى يفتح الطريق للنقاش والتفاهم والحوار والمشاركة في عالم انسانى لكل الأفراد والجماعات والمجتمعات الذين يلعبون أدواراً فيه، وممارسات

وانجازات وأعمال ، وليس لفئات أو مجتمعات بعينها دون الأخرى . إذ لم تخلق الأفراد ولا المجتمعات كى تتبع مجتمعات أخرى في التفكير والعمل والتنمية . وإنما خلقنا جميعاً من أجل التكاتف والعمل سوياً والتنمية العالمية والإقليمية والمحلية .

لهذا فالأمن الفكرى مرتبط بالتعليم الحقيقى الذى يؤتى ثماراً في أفراده ،وفى الممارسات السوية داخل المجتمع . فليس بكافِ أن نطلق على أشخاص قادة ومثقفين ومبدعين في مجالات العلوم والطب والهندسة والتعليم والسياسة والفنون وغيرها ، ولكن تكتمل الصورة عندما نقول أنهم مبدعين في إنسانيتهم وتعاملاتهم ودافعيتهم للتنمية والانجاز والعمل ،وجذب جميع الأطراف في شراكات إنسانية دافعة للتطوير والتنمية لا للتنافسية والحروب واغتصاب حقوق المجتمعات ونزع الأمن والأمان لتحقيق مآرب ومصالح تتسم بالأنوية والنرجسية والهيمنة .

ولعل الباعث لكتابة هذا المؤلف هو أن العالم الآن بحاجة أكثر من أي وقت مضى للأمن بكافة أنماطه القومى والوطنى والمجتمعى والغذائى لاسيما الفكرى . إذ أن كاتبة هذه السطور على قناعة بأنه متى تحقق الأمن على مستوى الفكر والذهن ستتحقق كافة أنماط الأمن الأخرى على المستوى الوطنى والقوى والمجتمعى والغذائى والمائى، والسيبرانى وغيره .لأن طريقة التفكير هي المحرك الأساس لتحقيق الأمن بمعايير إنسانية وقيمية . والتعليم المستند إلى القيم والأخلاقيات الإنسانية في ممارسات فعلية وحوارات ونقاشات مستمرة وأنشطة اجتماعية وبيئية ، وتصحيح مستمر للمفاهيم المغلوطة يعد من أكثر المقومات لتحقيق الأمن الفكرى واعتدال الفكر الإنسانى الذى يتبعه سلوك بشرى بالمثل .

ومن ثم يقع الكتاب الحالي في ثمانية فصول رئيسة الفصل الأول يتناول الأصول التاريخية أو جينالوجية الأمن الفكرى ، والفصل الثانى يتناول منهجيات الأمن الفكرى في التعليم ، والفصل الثالث يعرض منهجيات التعليم في الأمن الفكرى ، والفصل الرابع يتناول فلسفة التعليم والأمن الفكرى ، والفصل الخامس يتناول سيكولوجية الأمن الفكرى ، والفصل السادس يعرض سوسيولوجيا الأمن الفكرى ، والفصل السابع يتناول الجغرافيا السياسية أو جيوسياسية الأمن الفكرى، والفصل الأخير يتناول زمانية الأمن الفكرى (الماضى والحاضر والمستقبل) .

وقد اهتمت الكاتبة بتراتبية التسلسل المنطقى للأفكار لفصول الكتاب من أجل شحذ ذهن القارئ بأهمية تناول الأبعاد المختلفة المؤثرة على الأمن الفكرى في التعليم .

والله من وراء القصد

الكاتبة

القاهرة يوليو 2025

فهرس المحتويات

الفصل الأول : جينالوجية الأمن الفكرى .

الفصل الثانى : منهجيات الأمن الفكرى في التعليم .

الفصل الثالث : منهجيات التعليم في الأمن الفكرى .

الفصل الرابع : فلسفة التعليم والأمن الفكرى .

الفصل الخامس: سيكولوجية الأمن الفكرى .

الفصل السادس : سوسيولوجيا الأمن الفكرى .

الفصل السابع : جيوسياسية الأمن الفكرى .

الفصل الثامن : زمانية الأمن الفكرى (الماضى والحاضر والمستقبل).

الفصل الأول

جينالوجية الأمن الفكرى .

الفصل الأول

جينالوجية الأمن الفكرى .

تأثر العالم في العقود الماضية منذ بداية القرن العشرين وحتى وقتنا هذا بالعديد من القضايا المتشعبة الأركان والزوايا ، والتي كان لها تأثيرات قوية على الأمن القومى، وتهديدات صريحة لمستقبل الدول والشعوب في ظل التغيرات السريعة والنامية للتكنولوجيا وسرعة انتشار الأجهزة الإلكترونية المعقدة واستخدامها في حالات الحرب، والهيمنة من أجل تحقيق أهداف سياسية واقتصادية في مناطق وبلدان غنية بالموارد والطاقات والإمكانات المادية والبشرية .

ولأن حلقات الأمن ترتبط بعضها ببعض فإن الأمن القومى يتأثر بأنماط الأمن الأخرى مثل الأمن الفكرى ، والأمن الاجتماعى ، والأمن السياسى ، والأمن الاجتماعى ، والأمن الوطنى ، والأمن الاقتصادى ، والأمن العلمى ، .....

إلا أن الأمن الفكرى يعد من أخطر أنواع الأمن المحركة بقوة في الأمن القومى والوطنى حيث أن قوة الفكر تسيطر بدورها على مستقبل الأمن بصفة عامة على الدول . فالمحرك للقوة التكنولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية هي قوى فكرية تتمتع بذكاءات تفوق قدرات البشر العاديين . ومن ثم فإن الأمن الفكرى يعد هو السلاح الذى لا يجب أن تخسره الحكومات في ظل عصر التغير السريع ، والذى يتسم بمصطلح وحيد وبارز وهو " لعبة المصالح " فالمصالح هي التي تتآزر في عصر الرقمنة ،والأيديولوجيات تتلون وفقاً للمصالح سواء كانت مادية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو أمنية فكل تلك المصالح لا تتجزأ بعضها

عن بعض ، بل هي حزم متشابكة ومتسلسلة لا يمكن تفرقتها وفصلها عن بعضها البعض .

أي أن المعرفة والعقول المفكرة في الوقت الراهن تنحو ناصية "المصالح الكبرى" ، بصرف النظر عن الكثير من المعتقدات السالفة والمفاهيم السابقة التى تحشو الأذهان والعقول ولا تتحقق في الواقع المعاش .

فالعالم في الوقت الحالي يكرس جهوده ناصية التفكير في المصالح الكبرى والشراكات الكبرى ، والجهود الدولية تنحو ناصية الأمن الفكرى العالمى ، كى يتحقق الأمن القومى والأمن الاقتصادى والسياسى والعلمى والتربوى والدينى على مستوى الدول والشعوب .

فعلى سبيل المثال قد يحدث أن يتنازل قائد عن أفكار يعتنقها في السابق ،من أجل فكرة براقة وآمنة تحمى جيشه وشعبه من دمار محتم ، وهلاك يمتد عشرات السنوات ، وارتأى المصلحة العامة في سبيل أفكار كان يؤمن بها قد تكون إيجابية وحميدة ولكنها لا تتناسب مع الظروف والسياق والموقف السياسى الذى يتعرض له. هذا ما يسمى بالأمن الفكرى فليس كل ما نعتقده صحيح عندما يصطدم بالمصالح الكبرى .

فالمرونة الفكرية Intellectual resilience تعطى مساحة في إعادة التفكير وفقاً للمصلحة العامة وليس للمصلحة الشخصية . وقد تكون المبادئ التي يحملها القائد أو القادة أو ولاة الأمور سليمة وعلى خلق ومبادئ قيمة ، ولكن صعب تطبيقها في سياق لا يفهمها ولا يقدر على استيعابها ، هنا يمكن للقائد المرن أن

يستوعب أهمية تقديم تنازلات من أجل المصالح الكبرى، ومن أجل حياة أفضل لفريقه ، وتوفير الأمن لشعبه ودولته .

فالأمن الفكرى يبدأ على مستوى الذهن ، ويتجسد في الأمن القومى والوطنى والاقتصادي والتعليمى والسياسى والدينى والاجتماعى والثقافى ، فلا تتحقق فكرة الأمن من أساسه دون سلامة فكرية وأذهان مرنة تفكر في المصالح العامة والكبرى وليس في مصالح شخصية أو أفكار وصولية أو استبدادية واستعمارية .

وعلى الرغم من أن فكرة المصالح الكبرى قد يشوبها قدر من عدم الشفافية أو الفساد أو الهيمنة إلا أن مسألة تحقيق الأمن الفكرى سترسى ضوابط للحكم على تلك المصالح ومحاولات ومواثيق لتحقيق العدالة النسبية للجميع. وهذا أمر يخضع لنظرية الاحتمالات في عصر لا يقين فيه مع التغيير المستمر لقواعد اللعبة (المصالح الكبرى).

وارتبط في الأدبيات المعاصرة الأمن الفكرى بالأمن المعلوماتى ، والسيبرانى ، والتفكير الرقمى بصفة عامة ، إلا أن الأمر أعمق بكثير من هذا رغم أهميته ، ولكن التغير المعلوماتى ، والسيبرانى ، والحياة الرقمية هي أنماط وصيغ مستخدثة من طرق التفكير والبحث والاستكشاف والتعامل أي أنها أدوات وبيانات ، ولكن يظل ثمة عقل يدير ويخطط ، ويستخدم ، ويمارس أفعال الحركة من أجل المسك بزمام الأمور وتحقيق المصالح وتنفيذ قواعد الفكرة .

ومن ثم فالتركيز لا يكون على الأدوات أو الصيغ المستحدثة ، وإنما التركيز على العقول والأفكار والأيديولوجيات والفلسفات التي تدير الأدوات والنماذج والأنماط المستحدثة والتي ستأتى غيرها بعد عقود قليلة ، وهكذا . لكن الأهم هو تحليل

الفكر والعقول المسيطرة على لعبة المصالح ،والتي تستهدف المصالح العامة أم الخاصة .

فالأجهزة التكنولوجية والمعدات على أعلى مستوى متقدم من التكنولوجيا ، ولكن فيما ستستخدمها العقول البشرية التي ستحركها في تحقيق الأمن العالمى ومن ثم القومى لجميع الدول والشعوب ؟ أم في تحقيق الدمار العالمى ومن ثم الفوضى والخراب لجميع الدول والشعوب بما فيها الدول المنتصرة والمهزومة على السواء ؟

لأنه ثمة حقيقة منذ بدء الخليقة مع استخدام القوة المادية لا العقلية أي قوة السلاح يحل الدمار على الجميع ، ولا يكون ثمة منتصر أو مهزوم ،وإنما يتبقى ركام الخراب والانهيار يحوم حول الجميع ، والضحايا هم الشعوب التي تمكث عقود طويلة قد تمتد لقرن من الزمان كى تستعيد قواها الفكرية والاقتصادية والاجتماعية من جديد .

أي أن التفكير في إحداث الأمن الفكرى ضرورة إنسانية، والتفكير في دراسة الأفكار وإدارتها ،وغربلتها ،وتقييمها وفقاً للمصالح العامة الكبرى أضحى وجوبياً .

وإلا سيحدث مزيد من الهيمنة والاستبداد والفوضى بفضل العقول التي تفكر في مصالح خفية وخاصة يشوبها الفساد والهيمنة والاستبداد الاقتصادى والسياسى ثم الاجتماعى.....

ومن الطبيعى أن يفكر أصحاب المصالح الخاصة في اللحظة الراهنة وفقط أو فترة وجودهم في قياداتهم أو مناصبهم ، وقد يدركون أم لا حجم دوائر الفساد التي يكونونها أثناء وجودهم لتعم وتنتشر بعد رحيلهم أو خروجهم من القيادة أو المناصب ، وتتسلسل دوائر الفساد بنفس الجمود والتصلب الفكرى لتحقيق مآرب

خاصة ودفاعهم عن بعضهم في سلاسل مغلقة حتى تحين فرصة للخروج من دوائر الفساد تلك ، وتأتى عقول مرنة وتفكر في المصالح الكبرى والعمل من أجل الأمن القومى والوطنى دون فساد أو مصالح خاصة أو أهداف ضمنية مهما كان حجمها فهى وقتية ولفترة انقضاء دوائر الفساد .

فالأمن الفكرى يعلم ويدرس وأصبح على الأجندات السياسية الدولية ليرتبط بمجالات التنمية المستدامة لدراسة العقول وإدارة الأفكار ، وتنقيتها وغربلتها في إطار المصالح الكبرى وليست الخاصة أو الإنتهازية أو التي تزعزع الأمن العام للدول والشعوب.

وعكس الأمن الفكرى الإرهاب الفكرى ، بمعنى لا صوت يعلو فوق صوت جماعة مهيمنة من البشر ذات مصالح خاصة تستهدف بقائها ووجودها مهيمنة فقط . وليس شرطاً أن تكون الجماعة أو الفئة دينية بل قد تكون سياسية تستهدف البقاء لتحقيق مآرب خاصة وانتهازية وتكوين دوائر فساد لا تنته وتستخدم السلطة والقوة للردع والمنع لكل من يخالف آرائها وأفكارها وأيديولوجياتها الخفية التي تهيمن من خلالها من أجل مزيد من البقاء والاستبداد والهيمنة وتحقيق المصالح الخاصة من موارد الدولة الاقتصادية والمادية والبشرية أيضاً .

إذ تكتم أفواه الناس وتشغلهم بالسلطة والقوة الجبرية من أجل تحقيق أهدافهم الخاصة.

وهذا النوع من الإرهاب الفكرى يعد أخطر أنواع الإرهاب لأن الإرهاب الدينى يظل معروفاً للجميع ويمكن السيطرة عليه ، ولكن الإرهاب السياسى واستخدام القوة والسلطة والنفوذ لتحقيق مصالح شخصية كيف يمكن السيطرة عليه ؟

على سبيل المثال عندما يبقى شخص سرق المال العام في منصبه ، ويترقى إلى مناصب أعلى دوماً ، ويمارس ضغوطه على من حوله ، ولا يزال تحت حماية سياسية من قبل القيادات ، فهذا يدل عن أن خروجه من المنصب سيأتى بخروج آخرين معه في دوائر الفساد ، بل سيكشف العديد من الخفايا والأسرار التي أضرت بالصالح العام منذ تعيينه وتعيين من قبله في مناصبهم ، واستغلالهم المناصب لإدارة مصالحهم الذاتية والشخصية وسرقة ونهب أموال الدولة والمؤسسة وغيرها .

هكذا تتسلل دوائر الفساد السياسية ، ويصعب التحكم فيها لأنها تخدم بعضها البعض لعقود طويلة فيأتى أهل الثقة ومن سيكمل المسيرة وستختفى معه الحقائق ، ليعيد انتاج نفس الممارسات الفاسدة التي فعلها من سبقوه . وبهذا يكون الإرهاب الفكرى سلوك هؤلاء باستخدام القوة والسلطة لكل من يحاول أن يكشف الحقائق ويظهر زيف هؤلاء .

والصورة ليست قاتمة إلى هذا الحد ، فالحياة لم تخلق من أجل الفاسدين أو ممارسة الفساد ، الحياة خلقت من أجل الأمن والاستقرار والإعمار . كما أن الله خلق البشر فيهم الصالحين وفيهم المفسدين . كما أكد ووثق في كتابه الحكيم انتصار الصالحين على الفاسدين مهما طال فسادهم ومهما طال ظلمهم ومهما زعموا الصلاح والأمن والهداية .

لهذا أمرنا الله بالتدبر والتعقل والتفكير وإدارة عملية التفكير ، وإدرة الأفكار وتنظيمها ، والتفكير في الجميع والصالح والآمن، والبعد عن الأنانية والجمود والاستبداد والتسلط على العباد . بل إن كلمة المعروف في الأوامر والنواهى تشير

إلى براعة الحكم والقيادة والإدارة في أن المعروف هو الأساس في العلاقات بين بنى البشر وأن الكره والاستبداد والتسلط من سمات الشياطين والفاسدين .

فالقوة لا تكمن في الهيمنة والتسلط والفساد ، وإنما القوة الحقيقية تكمن في شيوع الأمن الفكرى والعقول التي تفكر في المصالح الكبرى والمصالح العامة ، وليس التي تفكر في الغلبة والنصر والسيطرة على الآخرين .

إذ كيف يمكن أن ينتصر شخص أو أشخاص معروف عنهم الفساد والسرقة والنهب لأموال الدولة ؟ هل هذا انتصار أم تشويه الحقائق وتزيفها ؟

هكذا لا يمكن أن ينتصر يوماً الإرهاب الفكرى أو الجمود الفكرى ، فهذا انتصار زائف يؤدى إلى التخلف والعزلة والرجوع للوراء ، ويضع الدول في موقف لا تحسد عليه ، بل يضعها في قوائم الدول المصنفة في أعلى مستويات الفساد في جميع المجالات . ويحذر التعامل معها أو التبادل العلمى والثقافى والاقتصادي والسياسى والدينى معها .

هذا ما يفعله تدريجياً الإرهاب الفكرى والجمود الفكرى الذى يؤدى إلى الفساد بالدول والشعوب التي تمارس التسلط والهيمنة دون رقابة أو محاسبية .

لهذا فإن مراكز الدراسات السياسية والاستراتيجية في البلدان المتقدمة تدرس بعمق أهمية الأمن الفكرى على مستقبل الشعوب والدول والعالم أجمع .

بل أثبتت الدراسات أن الأمن الفكرى هو من يضمن بقاء الدول فترة أكبر دون المساس بها لأنها أدركت قواعد اللعبة ومارستها جيداً لعبة " المصالح الكبرى" .

وفى دراسة قيمة للمفكر التونسى عماد منصور ، والباحث الكندى جون دانيلز هيكس بعنوان " حوكمة الأمن الإقليمى وتوقعات الجمهور وأدوار السياسة الخارجية " أكدا فيها على أن الدور السياسى في الإقليم من أجل تحقيق الاستقرار والأمن داخل شمال افريقيا والشرق الأوسط كان عظيماً خاصةً الدور المصرى منذ عام 2014 حتى الآن ، إذ مارست مصر دور إقليمى عظيم من حيث التزامها الدولى بإلغاء المعاناة السياسية خاصةَ مع زيادة أنشطتها القوية في ليبيا في ظل غياب حكم مستقر بها ، ودعمها الحماية والاستقرار الأمني ، أكد على الدور الأمني القوى لمصر في حماية منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط (منصور 2022).

وما مكن مصر من ذلك هو تقارب المصالح الأمنية الإقليمية مما منح مصر مزيداً من الثقة في حماية المنطقة دون أية مصالح خاصة أو فئوية، ولكن المصالح الكبرى هي اللاعب والمحرك لجعل مصر تحتل هذ الثقة السياسة الإقليمية في المنطقة . وقد برز هذا الدور المصرى في الإقليم في دعم الاستقرار داخل ليبيا والجزائر ، فضلاً عن استيعاب مصر للاجئين كدولة عظمى في شمال أفريقيا والشرق الأوسط الأمر الذى زاد من الثقة والدعم السياسى لدولة قوية مثل مصر في حماية إقليم شمال أفريقيا والشرق الأوسط دون تدخل سياسى أو الرغبة في مصالح انتهازية أو استعمارية بل كانت المصالح الكبرى في عموم الاستقرار والأمن في الإقليم هو الحافز والمحرك الأكبر لهذا الدور الإقليمى القوى الذى لعبته مصر منذ عام 2014 حتى الآن . فضلاً عن رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى منذ عام 2019 حتى 2020 تعاظم فيها الدور الإقليمى لمصر ولم شمل

الدول مثل ليبيا والجزائر وتركيا، والقضاء تدريجياً على الإرهاب الدينى وفكرة امتداد تيار الإسلام السياسى ممثلاً في الإخوان المسلمين .

وماذا إذا فكرت مصر في الشأن الداخلى فقط دون التفكير في شأن الإقليم؟ ، وماذا لو اهتمت بالتنمية القومية دون الإقليمية ؟ وماذا لو لم تلعب الدور الإقليمى القوى التي لازالت تلعبه لاستقرار الإقليم ؟

لماذا لم تفكر مصر في الشأن الداخلى وفقط ؟

الإجابة لأن فلسفة المصالح الكبرى تحكم دولة عميقة مثل مصر . أي أن أي إضرار بالمصالح لدولة من دول الجوار، ودول الإقليم هو إضرار مباشر بمصالح مصر الأمنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية أيضاً . لهذا فالمبادرات الأمنية تأتى دوماً من الدول الكبرى التي تهتم بقواعد المصالح الكبرى وليس المصالح الخاصة أو الانتهازية.

من هنا نستدل أن الأمن الفكرى ، يرتبط بعقول تفكر للصالح العام ، وليس عقول تفكر للمصالح الخاصة أو الانتهازية أو تفكر للوقت الذى توجد فيه ، بل تحقيق الأمن الفكرى يرتبط بعقول تفكر عبر الزمن ، وللمستقبل البعيد لاستقرار الأجيال الحالية والمستقبلية معاً.

من هنا تأتى أهمية جينالوجية الأمن الفكرى أي الدراسة العميقة لتطور الأمن الفكرى عبر الزمن وتأثيراته المتشعبة على الأفراد والمجتمعات بل والأنماط الثقافية والاجتماعية .

جينالوجية الأمن الفكرى عبر العصور

يتسنى التأكيد على أن ثمة ثلاثة أبعاد رئيسة تؤثر على الأمن الفكرى :-

البُعد السياسى

تلعب السياسة دوراً بارزاً وحيوياً في الأمن الفكرى بل في تحقيق مناخ فكرى متزن داخل المجتمعات من عدمه ، وذلك من خلال السياسات الحكومية والأيديولوجيات السياسية السائدة التي تفرضها الأنظمة السياسية .

وفى حالة الأنظمة السياسية الاستبدادية أو التسلطية يسيطر مناخ الإرهاب الفكرى ، وقمع الحريات ووجهات النظر ، وأية محاولات للتفكير السلمى ، بل يتم استخدام أداة الرقابة الفكرية القمعية من أجل حماية النظام السياسى من التهديدات الفكرية التي قد تزعزع استقرار الحكم وبقاءه .

والعكس في الدول التي تمارس الديمقراطية الفعلية من حيث حرية التعبير وتقليل التدخل من قبل السلطات في حالات ابداء وجهات النظر أو الاختلافات في الآراء ، الأمر الذى يخلق جو فكرى معتدل يقوم على الرأي والرأى الآخر دون قمع وفرض آراء أحادية كما هو الحال في الأنظمة القمعية والاستبداية .

كما يحدث ثمة توجيهات أيديولوجية تروج لها الأنظمة السياسية والتي تتأسس عليها بعض الشعوب مثل الشيوعية والفاشية من خلال التركيز عليها ، وغرسها في نظم التعليم والمناهج الدراسية وغيرها الأمر الذى قد يكون أمراً إيجابياً في بعض المجتمعات (التسلطية)، وسلبياً في مجتمعات أخرى(ديمقراطية) ذلك لأنها تحمل قيم عدائية أو تتشبث بأفكار بعينها دون خضوعها للنقد والتحليل .

البُعد الدينى

يعد العامل الدينى من أكثر العوامل المؤثرة على تفكير الشعوب . نظراً لأن المعتقدات والقيم الدينية تحتل مكانة كبيرة في قلوب الناس ، وتحرك وجدانهم وعقولهم معاً. لذلك قد تهدد بعض الأفكار والمعتقدات الدينية المتعصبة الاستقرار الاجتماعى للشعوب ، وتفرض معتقدات دينية بعينها ولا تسمح بأي عقائد أخرى للظهور .

وهذا يشير إلى زعزعة الأمن داخل أي مجتمع ، فالأصل هو حرية العقيدة ، وتعدد الأديان ، ولا تدخل للدين في الحياة الاجتماعية والاستقرار المجتمعى ، لأن الجميع سواسية أمام القانون والدستور .

وعند اتباع دولة ما ممارسات سياسية باسم الدين فهذا يعدد تهديد صريح للأمن الفكرى ومن ثم الأمن القومى للدولة .

وهذا يؤسس تدريجياً للتطرف الدينى ، والتشدد ، وفرض الوصاية دون حق على الآخرين باسم الدين والعقيدة . وظهور تيارات دينية متعددة الألوان والأشكال لقمع الحريات وتجريم أي سلوكيات أو أفعال لا تنتمى لعقيدة بعينة ، ويحدث تشتت في التفكير في التفرقة بين السلوك الأخلاقى الذى وضعه القانون الأخلاقى والوضعى للمجتمع ، وبين السلوك الدينى الخاص بممارسات عقائدية لدين ما سواء إسلامى أو مسيحى أو يهودى .....

أي أن البعد الدينى قد يكون أداة لحدوث خلل في الاتزان الفكرى للشعوب ، وقد يؤدى مع انعدام الاعتدال والوسطية إلى الإرهاب الفكرى .

البُعد الثقافي

يؤدى البعد الثقافي دوراً مهماً في حماية الأمن الفكرى للشعوب والمجتمعات . وقد يكون أداة سلبية بالمثل في تكريس الجمود الفكرى والتصلب الفكرى خاصةَ عندما يتوقف الإبداع الثقافي والإنجازات الحضارية عند مرحلة أو حقبة تاريخية معينة دون تجديد أو إبداع انجازات معاصرة .

يحصل في تلك الحالة تمسك بالتراث ومنع أي محاولات للتجديد ، ومن ثم العودة إلى الوراء والتخلف عن الركب لحماية الأفكار والمعتقدات والتابوهات القديمة دون حداثة أو تجديد أو تعلم الجديد للمحافظة على الدولة وتجديد تراثها في كل حقبة زمنية وليس في الماضى فحسب .

ومن ثم فالإنفتاح الثقافي يبرز مكانة الهوية الثقافية والتراث للأمم ولا يدحضه أو ينفيه بل يجدده من خلال عمليات التبادل المعرفى والعلمى والتجارى والصناعى فقد نشأت الحضارات من التعاون بين البلدان المختلفة ، ولم تنشأ بالإنغلاق على الذات.

أي أن الأبعاد السياسية والثقافية والدينية يعدوا سلاح ذو حدين ، إما لنهضة وتجديد الأمن الفكرى للمجتمع ، أو لتكريس الإرهاب الفكرى والجمود داخل المجتمع والمساهمة في سقوطه .

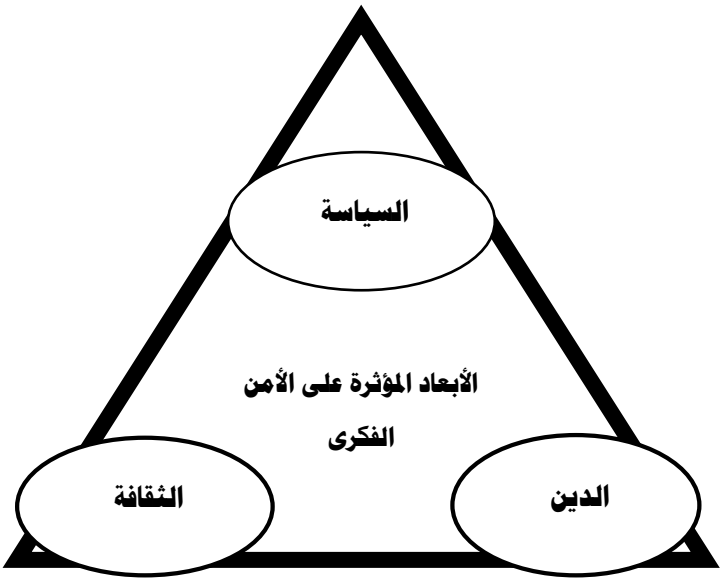

مخطط رقم (1) يوضح الأبعاد المؤثرة على الأمن الفكرى

جينالوجية الفكر

يشير مصطلح جينالوجية إلى علم الأنساب أو الجذور الأولى لكل شيء .

وجينالوجية الفكر تشير إلى تطور الأفكار والمفاهيم عبر التاريخ والزمن .ومدى تأثير السياقات السياسية والثقافية والاجتماعية على نشوء الأفكار ومستقبل الأمم .

والفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو أبرز من استخدم مصطلح جينالوجية الفكر في أعماله خاصة جينالوجية الأخلاق وأركيولوجيا المعرفة ، وأشار إلى أن السلطة منشأها الأفكار ونشأتها وأصولها .

وقد ركز ميشيل فوكو في كتابه " جينالوجية المعرفة" على الخطاب ، وأهمية تحليله ثقافياً ومن خلال بنيته الأساسية ،وجذوره التي ولدت هذا النوع من التفكير.

إذ أن أيديولوجية الخطاب عند فوكو تختلف عن فكرة الأيديولوجيا عند ماركس وهيجل حيث أن الأيديولوجيا عند فوكو ذات علاقة معرفية وسلطوية يتأسس من خلالها الخطاب.

ومثلما لا يمكن نزوع الحدث والسياق من الخطاب وتجريده منهما ، فبالمثل لا يمكن نزع التاريخ والتأثيرات الثقافية والسياسية على الخطاب الذى يحمل مجموعة من الأفكار والأيديولوجيات ليست وليدة الصدفة ، وإنما تحمل حقائق أو قد تحمل أوهام وخداعات مؤثرة في الأشخاص والمجتمعات.

وكما أن الخطاب يحمل أيديولوجيا ما فإنه يكون أداة قوية للسلطة للتأثير والهيمنة الاجتماعية حيث الترويج لخطط السلطة ومصالحها من خلال الخطاب كما تفعل الحكومات ، والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام .

وقد تمتد السلطة لتقييد حدود الخطاب وتمارس الرقابة الفكرية فتكرس لألوان معينة من الخطب المؤثرة ، وتحجب خطب أخرى قد تحمل في مضمونها حقائق تنفى زيف الخطب المعلنة .

ولهذا فالخطاب يستخدم كأداة للهيمنة والتأثير، أي أن الخطاب له دور مهم في إنتاج وتوزيع السلطة داخل المجتمع إما بشكل ديمقراطى أو بشكل استبدادى.

وفى كل الأحوال يتحول الأمر إلى إثارة قضية الأمن الفكرى في المجتمعات ، وكيف أن الخطابات السياسية والثقافية بما تحمله من أيديولوجيات فكرية قد تشكل مصير الدول ناصية الأمن الفكرى والحرية الفكرية وتعدد الأفكار والخطابات ، أو منظور أيديولوجى وحيد للخطابات لتكريس الهيمنة الاجتماعية والإرهاب الفكرى .

نعم مصير المجتمعات يتشكل بالأفكار ،وجينالوجيتها أو جذورها وأصولها التاريخية والثقافية والسياسية .

الأمن الفكرى في العصور القديمة

إذا رجعنا للعوامل الثلاثة المحددة للأمن الفكرى السياسة والثقافة والدين يمكن استنباط أن العصور القديمة كان يحتل الدين تأثير قوى على عقول ،وتفكير الشعوب ، بل قوة المعتقد الدينى الممثلة في العبادة والآلهة والمعبودات وغيرها هي كانت المحرك الأول والباعث على العمل والإنجاز ، ولها قوى كبيرة في السلطة والحكم والقيادة .

إذ كانت الآلهة والمعتقدات جزءاً من النظام الاجتماعى ، وأية معتقدات مخالفة تعد تهديد للنظام الاجتماعى . كما هو الحال في عهد الفراعنة واحتلال المعابد والكهنة دور كبير في الحركة السياسية والاجتماعية في مصر القديمة .

بل أن الأفكار التي تهدد أمن الكهنة أو التي تخرج عن نطاق ما يدور في المعابد تقمع كى لا تؤثر على استقرار النظام الاجتماعى .

وأيضاً ما كان يحدث في بلاد ما بين النهرين من حيث تدوين الكتب المقدسة ففي بابل كان "قانون حامورابى " لا يعد قانوناً مدنياً بل يشتمل على أحكام دينية وسلوكية ، وذلك بحكم سيطرة الكهنة آنذاك على الحياة العامة .

أما في الحضارة اليونانية فكانت دولة المدينة أو نظام الدولة هو الحاكم الأساسى ، وتأثيرات الفلاسفة على الحركة السياسة والمجال العام كانت كبيرة مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو ، واحتلت الفلسفة مكانة كبيرة في الحياة العامة لدرجة أنها

أضحت تهديداً فكرياً للسلطة السياسية ،وقد هاجم الحكام آنذاك الكثير من الفلاسفة الذين لديهم عقول مستنيرة وأفكار جديدة مثل محاكمة سقراط واعدامه على أساس أن أفكاره تهدم وتخرب العقول .

ولا يعلم هؤلاء الحكام مدى آفاق الحرية التي أفسحها سقراط بأفكاره المستنيرة التي كتبت فيها المجلدات والمؤلفات والبحوث والمناهج وطرائق التفكير والتعلم ، بل شيدت التماثيل في جميع أنحاء العالم تمجيداً لسقراط وتعاليمه .

وقد حركت كتابات أفلاطون تلميذ سقراط المياه الآسنة ، وأوجدت فكراً ناقداً ، وحواراً يدحض التخلف ، ويبعث على الإبداع والتجديد الفكرى كى تنهض الأمم بالفكر الناضج ، والتعليم القوى . فشهدت أثينا نهضة علمية وثقافية وأخلاقية كبيرة في الفلسفة والعلوم والتأليف والبناء والتشييد نتيجة ممارسة الحرية الفكرية والقدرة على التعبير والتأليف والإبداع الفلسفى دون تقييد من السلطة أو خوفاً على ضياع المناصب السياسية .

فتحدث أفلاطون عن الحكم والسياسة في كتابه الجمهورية ، وتحدث عن الطبقات وتقسيمها ، وفى محاوراته تبنى نهجاً نقدياً حوارياً يبعث على طرح الأفكار الجديدة المبتكرة ، وتحدث عن التعليم وأهميته .

كما أن أرسطو كان له دور كبير في الاهتمام بالإنسان والحركة والكون والواقع، والحياة العلمية فكانت طريقة تفكيره هي تجسيد ما يدور داخل الذهن في الواقع المعاش ، وتنمية الأخلاق وتهذيبها وقياس هذا في السلوك الإنسانى.

ولكن في الحضارة الرومانية كان العاملان السياسى والدينى محركان أساسيان ، إذ كان الدين والسياسة صنوان لا يفترقا أبداً ، فالدين كان أداة لشرعنة السلطة ،

وإعطاءها الصلاحية والمباركة ، وكانت المصالح السياسية والدينية مشتركة لقمع أية توجهات مخالفة أو بها تهديد للحكم السياسى والدينى أو إخلال بالنظام الاجتماعى .

ومع التحول للمسيحية كان الفكر الدينى المسيحى تهديداً للحياة السياسية الرومانية والمعتقدات الدينية القديمة في عبادة الأوثان والمقدسات الرومانية .

إلا أنه بعد انتشار المسيحية كدين رسمي للدولة الرومانية تحت قيادة الإمبراطور قسطنطين ، بدأت فكرة الأمن الفكرى تنحو ناصية استخدام المسيحية كأداة لضبط الفكر والحركة الفكرية . وبالفعل تم السيطرة على أية أفكار ومعتقدات أخرى تتعارض مع العقيدة المسيحية الجديدة .

من هنا يمكن استنباط ما يلى :-

-سيطر على الأمن الفكرى في العصور القديمة الفكر الدينى والسياسى معاً . بل كان الدين أو المعتقد أداة للوصول إلى الحكم والسيطرة على الحياة الفكرية .

-ظهرت حضارات متنوعة في العصور القديمة تعتمد على العقل والتفكير النقدى ، واستخدام الفلسفة والحجج والأدلة والمنطق للحكم على كافة الأمور والأحداث ، وكانت هذه الحضارات في عصورها الذهبية ،وفى حركة انتعاش اقتصادى وسياسى وفكرى وعلمى .

-سيطرت الحياة الدينية في العصور القديمة ، ومن خلال الدراسة والعمل في المعابد امتلك العقل الإنسانى القديم العلوم وسيطر عليها مثل الفلك والطب

والفلسفة والدين والرياضيات ، والموسيقى ، والهندسة ، وغيرها من العلوم . أي أن المبادئ والقوانين الأخلاقية والدينية كانت حافز قوى للإبداع الحضارى والإنجاز .

–من الصعوبة التفرقة بصفة عامة بين ما هو دينى وما هو سياسى في العصور القديمة عند الحديث عن الأفكار والأمن الفكرى لأن كلاهما كانا وجهان لعملة واحدة وترتبط المصالح الدنيوية بكلاهما معاً.

الأمن الفكرى في العصور الوسطى

كان العامل الدينى مسيطراً بشكل كلى على الحياة العامة في العصور الوسطى المسيحية والإسلامية على السواء.

وكانت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية شديدة على مجمل الحياة السياسية والاجتماعية في أوربا في العصور الوسطى من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر . وقد كانت السيطرة البابوية على الجميع حيث من يخالف تعاليم الكنيسة والباباوات والقساوسة يتهم بالهرطقة ، ويتعرض للعقوبة والمحاكم الكنسية . ولهذا كانت المدارس تابعة للسلطة الكنسية في تلك الفترة لتعليم العلوم الدينية وتحديد علوم بعينها للتعليم مثل القراءة والحساب ، أما الفلسفة فكان محظور تعلمها. إلى أن نشأت الجامعات في فرنسا وإيطاليا واسبانيا ،وبدأت تدرس الفلسفة والفلك والطب بشكل أوسع خاصة الفلسفة اليونانية ممثلة في منطق أرسطو والقديس توما الإكوينى .

فقد كانت أوربا متأخرة عن الشرق الأوسط كثيراً فيما يتعلق بالتفتح والازدهار المعرفى وتعلم العلوم الدينوية وليس الدينية فقط . إذ بعد ظهور الإسلام ازدهرت الحركة العلمية ، والتعاطى العلمى مع جميع الدول والانفتاح على المعرفة وطلبها

في كل مكان ، والاستعانة بالعلماء واستقطابهم من جميع أنحاء العالم بغض النظر عن ديانتهم إسلامية أو مسيحية أو يهودية فالكل سواسية ، والعقل الإنسانى هو الفيصل في الحكم على التقدم العلمى والفكرى بل إن مستقبل الأمن الفكرى في العصور الوسطى امتد حتى القرن السادس عشر مع الحركات العلمية والترجمات لأمهات الكتب للفلاسفة والعلماء العرب في الطب والفلك والهندسة والعلوم والكيمياء والفيزياء والتاريخ والجيولوجيا، بل في تلك الفترة عكف المجتمع الغربى على دراسة المعجزات العلمية التي تمت في الشرق لسنوات طويلة ، وتحليل العقليات التي أورثت للأجيال كل هذا التراث العربى الأصيل الذى لازالت العالم ينبهر به حتى وقتنا هذا .

وكما شرحنا في السابق أن الأمن الفكرى يؤدى إلى استقرار المجتمعات وتقدمها للأمام ، فإن الأمن الفكرى في العصور الوسطى الشرقية كان في أرقى صوره سياسياً وعلمياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً. فلم يستخدم الدين كأداة لممارسة السلطة ، وإنما كان الدين لتفسير أمور الدنيا وابتكار علوم جديدة ، وتأليف كتب ومخطوطات علمية ، وتشييد المكتبات ، والمدارس ، والجامعات التي ازدانت بها المكتبات العربية مثل بيت الحكمة في بغداد في عهد الخليفة المأمون في القرن التاسع الميلادى الذى كان يضم كوكبة من العلماء من كافة انحاء العالم مسلمين ومسيحين ويهود في كافة العلوم منشغلين فقط بالبحث والاستكشاف والتأليف والإبداع والابتكار. وقد تم تدميره في القرن العاشر الميلادى لما أحدثه من إنجازات معرفية غير مسبوقة .

من هنا يمكن استنباط ما يلى :-

-اختلفت ملامح الأمن الفكرى في العصور الوسطى الأوربية عن نظيرها في الشرق ، حيث كان الشرق أكثر استقراراً في الأمن الفكرى خاصةً بعد انتشار الإسلام والحركات العلمية المستنيرة دون محاولات تديين المجال العام كما كان الحال في العصور الوسطى المسيحية والسيطرة الكاملة للكنيسة في أوربا .

-تلاحم العامل الدينى مع التطلع للتقدم والمعرفة وطلب العلم والبحث العلمى والاستكشاف دون عرقلة الحياة ، فالمرونة الدينية والاتزان العقلى في العصور الوسطى الإسلامية مكنت من ابتكار العديد من العلوم والفكر الإبداعى الذى تجاوز العصر الذى ولد فيه ليمتد حتى وقتنا هذا .

-لعل السر في تحقيق الأمن الفكرى في أوج صوره هو أن علماء المسلمين كان شغلهم الشاغل كيفية توظيف تعاليم الدين في تحقيق الأمن الاجتماعى والفكرى والاستقرار داخل المجتمعات العربية والأجنبية على السواء ، فكان هدف الإسلام هو أن التعليم والعلم والتفكير للجميع ، والجزاء والمسئولية الدينية يحاسب عليها كل فرد عند اخلاله بالقيم الاجتماعية التي استقر عليها المجتمع ، أما فكرة تديين المجال العام والحياة لم تكن من أهداف تحقيق الأمن الفكرى في العصور الوسطى الإسلامية . إذ لم يتدخل العلماء والمثقفين في العصور الوسطى في الشئون السياسية أو اقحام العلم في الأمور السياسية .

وهذا ما جعل العالم كله ينجذب للنهضة والحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها .

الأمن الفكرى في العصور الحديثة

أخذ الأمن الفكرى في العصور الحديثة مناحى مختلفة تماماً عما كان الأمر عليه في العصور القديمة والوسطى ، إذ لعب العامل الثقافي والعلمى دور كبير في الحياة العامة والسياسية . إذ نما وعى ثقافى بأهمية العلم والتعليم ، وظهرت حركات علمية ترتبط بدراسة الكون دراسة علمية على أسس معرفية ومنهجية ، واستكشافات واستدلالات واستنتاجات .

فقد كانت ثورة علمية علي يد نيوتن وتوماس كون ، من أجل التجريب والبحث والاستكشاف ، وتحييد ما هو دينى أو سياسى . فالعلم لا يمكن أن يتدخل فيه الدين أو السياسية إذ لكل مجال أدواته المنهجية والمعرفية ودوره في حياة الإنسان.

فالعلم دوره واضح وهو حل مشكلات المجتمع والنهوض به إلى الأمام. والدين دوره واضح في الحث على العمل والإنجاز والهداية والسلوك السوى وفقاً للمبادئ الأخلاقية . والسياسة دورها واضح في ضبط حركة المجتمع وعموم الأمن والأمان ، وتهيئة الفرصة للعلماء والمفكرين للتقدم والنهوض بالدولة والمجتمع من خلال توفير الأمن والاهتمام والرعاية بهم .

أي أن الأمن الفكرى في العصر الحديث ارتبط بالعلم وأن قوة العلم والاستكشاف ستحل مشكلات المجتمع ويحدث النهوض في كافة المجالات ، وليس الخطب أو الإكثار من الينبغائيات واستخدام الدين كأداة للسلطة يحل مشكلات المجتمع أو يقضى على فجوات التقدم والتخلف . وأصبحت فكرة الحتمية لا مجال لها في العلوم الكونية ، ولا مجال للفكر الأحادى أو المطلق، بل إن النسبية والاحتمالية

أقرب في دراسة العلوم واكتشاف علوم وإبداعات جديدة كل يوم تتفق مع روح العصر ، وتواكب حركة التقدم العالمية .

أي أن العصر الحديث كان ثورة علمية فكرية لتغيير المنطلقات والأيديولوجيات الفكرية التي ترسخت في العقول لعقود كبيرة ، وأعاقت الإنسان عن أن يفكر ليحمى نفسه ومجتمعه من التخلف والفوضى .

فقد كان العلم والثورات العلمية وسائل للقضاء على الأفكار المتطرفة ، وعمليات الإرهاب الفكرى الدينية والسياسية . فقد تجلت اكتشافات فردية أثرت على مجرى الحياة الاجتماعية والاقتصادية بل السياسية أيضاً مثل قوانين نيوتين في الجاذبية ، وفكرة النسبية عند اينشتين ، والثورة في علم الفيزياء مثل نظرية ماكسويل الكهرومغناطيسية وتطور تقنيات الاتصال الحديثة ، ونظرية دالتون الذرية وتقدم علم الكيمياء والفيزياء وافساح الطريق لظهور العلوم البينية . كما حدثت ثورة في علم الكيمياء وظهور نظريات الأحماض والقواعد ل أرهينيوس ، والجدول الدورى ل مندليف ، كما تطور علم الأحياء بالمثل وظهرت نظرية التطور ل داروين والتي غيرت العديد من النظريات عن علم الأنساب وأصل الأنواع ، ونظرية الانتقاء الطبيعى ، وحدثت طفرة كبرى في علم الوراثة والأنثربولوجيا (علم دراسة الانسان) بناء على هذه الاكتشافات العلمية التي أثرت على مجرى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

والتطورات الحادثة في قوانين النسبية ل أينشتين في القرن العشرين كان لها أبلغ الأثر حيث غيرت التصور عن الزمان والمكان ، الأمر الذى أدى إلى نشوء

تحولات عميقة لفهم الكون من منظور علمى وتغير أنظمة الملاحة عبر الأقمار الصناعية .

واكتشاف ميكانيكا الكم وتطورها على يد العالم ماكس بلانك وشرودنغر، والتي ساهمت في تطوير علوم الليزر وأشباه الموصلات.

بل حدثت ثورة في مجال الطب وليس في العلوم وحدها من خلال اكتشاف نظرية الجراثيم على يد لويس باستر وروبرت كوخ بالقول بأن منشأ الأمراض يسببها الكائنات الدقيقة (الجراثيم)، هذا فضلاً عن قوانين مندل في الوراثة ومفاهيم جديدة عن الوراثة الجينية والتحليل والعلاج الجينى .واكتشاف البنسلين على يد فليمنج والذى يعد انجازاً عظيماً في القرن العشرين حيث أحرز تغييراً جذرياً في الطب والصحة العامة.

وثورة علوم الحاسوب والتقنيات والاتصالات على يد آلان تورنغ ، وجون نيومان الأمر الذى ساهم في نشوء الثورة الرقمية . فضلاً عن اكتشافات علوم الفضاء على يد جالليو الذى طور التلسكوب الفلكى الأمر الذى مهد إلى رحلات الفضاء التي بدأها الاتحاد السوفيتى في الخمسينيات ثم الولايات المتحدة الأمريكية وظهور وكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام 1958 لتطوير تقنيات الطيران واستكشاف الفضاء، وتطوير تلسكوب هابل الفضائى ، وإرسال مركبات إلى الكواكب مثل المريخ . إلى أن وصل أرمسترونج إلى سطح القمر عام 1969 أحد أبرز الإنجازات التاريخية .

من هنا يمكن استنباط ما يلى :-

-حدثت طفرة كبرى في إدارة التفكير ، والأمن الفكرى غيرت مجرى العالم كله ناصية التركيز على العلم والاكتشافات والإبداعات العلمية .

-الثورات في مجالات العلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والطب والفلك والرياضيات والاتصالات أحدثت نقلة نوعية في مستقبل العالم بسرعة ووتيرة غير معهودة في العصور السالفة للعصر الحديث .

-ارتبط الأمن الفكرى في العصر الحديث بالفلسفات الكبرى الرأسمالية والماركسية والليبرالية والوطنية ، والتي كانت تستهدف تغيير العقل الإنسانى وطرائق تفكيره .

-تصدى العصر الحديث للأفكار المتطرفة بقوة العلم كسلاح قوى للقضاء علي التهديدات باسم الدين .

-ظهور وسائل الإعلام المتنوعة واستخدام الإنترنت مكن الأمن الفكرى من التصدي التدريجى للتطرف الفكرى ، ومنع أية محالاوت قمعية أو إرهابية تهدد مستقبل العلم والاكتشاف والتقدم في العالم .

-من أبرز التحديات التي تواجه الأمن الفكرى في العصر الحديث بفضل العولمة وسرعة انتشار الأفكار ؛ هو التضليل الإعلامى ، وتأثير الشائعات ، والأفكار المغلوطة التي تحمل أيديولوجيا خفية مؤثرة على الأمن العام ومن ثم الأمن الفكرى .

-أضحى العالم في مواجهة حقيقة مع الحروب المعلوماتية مع الإنفتاح الفكرى والسماوات التكنولوجية المفتوحة ، وأصبحت فكرة الرقابة والحفاظ على الهوية محل دراسة وتحليل ونقد في دول العالم أجمع.

الأمن الفكرى في العصر الراهن

في الوقت الراهن الأمر أكثر تعقيداً وتشابكاً ، فالتحول لم يكن علمياً فحسب ، وإنما أضحى رقمياً وتكنولوجياً بشكل أكثر خطورة على الأمن العام ، والفكرى بصفة خاصة . وأضحت الضغوطات السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مستويات متقدمة بمراحل عن العصور السابقة . فقد شهد القرن الحادى والعشرون نظريات تعقد ، ومابعد حداثية ، وإشكاليات إنسانية ، وذكاءات اصطناعية ذات خوارزميات في غاية التعقد لا يتقنها العقل الإنسانى بسهولة .

وبرزت العديد من التحديات التي تتطلب ضرورة حصانة الأمن الفكرى من التشويش الرقمى المعقد سواء النافع أو الضار . إذ أن قضايا من مثل الهوية الثقافية والتعددية ، واحترام حقوق الإنسان ، وتعدد الديانات ، والخصوصية الثقافية ، وغيرها برزت على السطح مع طرح أفكار ذات مضامين تنظيرية ومن الصعب تحققها في الواقع الرقمى أو الواقع المعاش لحل كل تلك القضايا المتصاعدة والمتنامية .

ولهذا فالمؤسسات التربوية من أسرة ومدرسة وجامعة ومؤسسات دينية وإعلامية بات من المؤكد أن مجهوداتها أضحت أكبر في صيانة واحتواء الأمن الفكرى للأجيال الناشئة ومحاولة جذبها للتعلم والعمل واحترام الموروث الثقافي والقيم الوطنية دون انغلاق على الذات أو دون دراسة الثقافات المتنوعة .

فالتوازن الفكرى والاعتدال والمرونة الفكرية باتت الشغل الشاغل للقيادات السياسية بصفة عامة ، والقيادات التعليمية على الأخص من أجل إحداث التوازن الاجتماعى والحفاظ على التنظيم الاجتماعى للدول .

ومع تزايد قنوات التواصل الاجتماعى والقنوات الرقمية كمسارات بديلة للإعلام في صورته التقليدية على شاشات التلفاز أو المذياع ، زادت معه المخاطر من التضليل الإعلامى والإعلام المؤدلج ، والإعلام المستهدف للأجيال الناشئة ، وغيرها من القضايا التي تنعكس على طرائق التفكير والأمن الفكرى للمجتمعات. كما نشأت تيارات إلحادية وشكوك عقائدية، ومعتقدات تحمل مخاطر على أمن ومستقبل الشباب من التيارات الفكرية التي تحمل قيم سلبية وأفكار مغلوطة ينجذب إليها الشباب من الجنسين نتيجة قلة الوعى الأسرى والدينى والتربوى .

وقد تأخذ بعض الأفراد والجماعات توجهات عدائية ناصية كل ما هو متقدم ، وتعزف عن الدراسة والبحث والتعلم ، الأمر الذى يؤدى إلى الجمود والتعصب الفكرى وظهور أيديولوجيات فكرية تميل إلى الإرهاب الفكرى والسيطرة على العقول الإنسانية دون حوار أو اعتدال وتوازى والسماع للرأي والرأى الآخر .

الأمر الذى يؤدى إلى انحرافات فكرية وسلوكيات عدائية نتاج التفكير المغلق أو المتقوقع حول أفكار تقليدية دون تجديد أو تطوير ودراسة الأفكار الأخرى والمعتقدات والتنوع الثقافي .

لهذا فالاتزان الفكرى بحاجة إلى برامج علاجية كثيرة تبدأ من الأسرة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية المتنوعة ، وجهود الدول والحكومات في ترسيخ قواعد وأسس الأمن الفكرى والاتزان والاعتدال الفكرى دون جمود أو تعصب.

من هنا يمكن استنباط ما يلى :-

-الأمن الفكرى في العصر الراهن صعب السيطرة عليه إلا بالوعى والاستقطاب للعلماء والمثقفين ورجال الدين وكافة المؤسسات المعنية بالبناء الاجتماعى للدول.

-التحولات الرقمية السريعة قد تؤثر على العقول الإنسانية ، وتبرمجها بشكل مادى وربما آلى بحيث تتغير الطبيعة الإنسانية المعتادة لتصبح أكثر برجماتية وعملية ونفعية ورأسمالية ، وقد تقل مع كل هذا الروابط الاجتماعية والأخلاقية نتاج السعي وراء المصالح وإنجاز الأعمال من أجل الحصول على امتيازات مادية.

-التهيئة الذهنية للأجيال التي تعودت على العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية ، والوقت الفسيح للعمل ، والراحة المستمرة قد تضطرب بسبب الحركة والإيقاع السريع للحياة المعاصرة الديجتالية ، وسرعة انجاز الأعمال في وقت قصير وبمجهود أقل ، وبكفاءة أعلى وبالتالي ستتغير قوانين العمل والحياة بناء على هذا . ويتم تدريجياً القضاء على الروتين المعتاد في المؤسسات الحكومية في انقضاء ساعات زمنية طويلة لإنجاز الأعمال . إذ أن البرامج التكنولوجية المعاصرة تنجز الأعمال والمهام في بضع دقائق دون بذل أي مجهود عقلى كبير .

-يحدث صعوبة التكيف من قبل الكبار والمسنين الذين لم يتمكنوا من الإلمام بالحياة الرقمية المعاصرة ، وتقل لديهم الدافعية للإنجاز والعمل نتيجة صعوبة التعامل مع التغيرات المتلاحقة . وفى هذا ضرورة التدريبات المستمرة للكبار ومعاونتهم من خلال أشخاص مدربين على التقنية الحديثة لانقضاء حاجاتهم الخدمية والعملية بسهولة ويسر . ويقع على عاتق مؤسسات تعليم الكبار دور كبير

في توفير برامج علاجية للتدريب على التكنولوجيا تستهدف كبار السن من الجنسين كى يقدروا مواكبة الحياة العصرية . حيث تكثر المشكلات اليومية نتيجة عدم إلمام الكبار من الجنسين باستخدام بطاقتهم الرقمية للحصول على معاشهم أو رواتبهم لصعوبة التعامل مع الماكينات الآلية ، أو لصعوبة التعامل مع الخدمات الإلكترونية المتعلقة بدفع الفواتير والأقساط ، والخدمات الصحية الإلكترونية وغيرها . ويتعرضون للاستغلال والابتزاز والسرقة من قبل الآخرين وقد يكونوا أقاربهم وأبنائهم . ومن ثم يصابون بالعجز عن مواكبة الحياة العصرية الرقمية ويحدث لهم انطواء وعزلة ، ويكونوا أكثر عزلة للإصابة بالأمراض المزمنة نتيجة عدم توجيههم وتوفير المساعدات لهم والتدريبات العلاجية للتكيف مع الثقافة العصرية الرقمية .

-رغم ما وفرته الحياة الرقمية من تيسيرات تكنولوجية متقدمة للشعوب والدول ، إلا أن الكثير من الشعوب لازالت تتمسك بالعادات الإنسانية والتراثية للحفاظ على قيمها وهويتها ، ويمارسون كل الطقوس الاجتماعية والاحتفالات في الشوارع والأندية ، ويقضون وقت الأجازات في الترفيه والرحلات واللعب من أجل الشعور بإنسانيتهم ، وبالروح الاجتماعية والإنسانية التي تعمد التكنولوجيا والرقمنة إلى سلبها من الحياة الإنسانية للشعوب والدول . إذ يمكث الأفراد سواء داخل المؤسسات أو الشركات أو المنازل أو المتاجر أكثر من 15 ساعة يومياً أمام شاشات الكمبيوتر والهواتف والأجهزة التكنولوجية من أجل إنجاز الأعمال والمهام.

على هذا النحو أردنا في هذا الفصل تقديم نبذة مختصرة عن جينالوجية وأصولية الأمن الفكرى ، والأمن الفكرى في العصور المتنوعة القديمة والوسطى والحديثة والمعاصرة .

وقد استنبطنا أن الأمن الفكرى ينبع من الإدارة العاقلة للأفكار ، فالأمن الفكرى يبدأ بالفكرة التي تحدث في الذهن ثم تتجسد على أرض الواقع . وما لم تنضج الفكرة الذهنية وتكون منزهة وموضوعية وتستهدف الصالح العام للدولة والمجتمع ، ستكون على النقيض فكرة موجهة بالمصالح الخاصة والأيديولوجيات الانتهازية لتحقيق مصالح فئوية على حساب المجموع ، وقد تؤدى بدورها إلى ظهور نخب بعينها ، واستقصاء آخرين من أجل تحقيق المآرب والأهداف التي تكون في الغالب أطماع وهيمنة قد تضر بالمجتمع ككل ، وتشيع حالة من السخط والإحباط ، وعدم الاتزان الفكرى ، والإرهاب الفكرى من قبل سلطات أحادية لا تستهدف إلا زعزعة الأمن الفكرى لمزيد من الهيمنة والتسلط وتحقيق المآرب الخاصة.

الفصل الثانى

منهجيات الأمن الفكرى في التعليم .

الفصل الثانى

منهجيات الأمن الفكرى في التعليم

المقصود بمنهجيات الأمن الفكرى هنا الأساليب المتبعة لتحقيق الأمن الفكرى داخل منظومة التعليم .

بمعنى ما المنهجيات والأساليب التي تتبع لتحقيق الأمن الفكرى في التعليم ؟

وكيف تنجح الدول في تكريس الأمن الفكرى في منظومة التعليم دون أي ضغوط أو أفكار دوجماطيقية أو هيمنة فكرية أو غيرها .

ومن ثم فبادئ ذي بدء علينا أن نتساءل لماذا الأمن الفكرى في التعليم ؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال بالقول بأن الأمن الفكرى والتعليم الحقيقى ركيزتان ومحوران هامان في تحقيق التنمية داخل الدول واستقرار الشعوب .

ولهذا فإن أهم أسباب الأمن الفكرى في التعليم مايلى :-

1-التوافق الوطنى والتعليمى

أي تحقيق التآزر بين الدولة والتعليم المقدم للأبناء والشعب ، فالتعليم بمعناه الواسع يتجسد في الوعى والإنتباه والمعرفة وتعلم العلوم ، وتكوين المهارات والجدارات اللازمة للتكوين الشخصى والعلمى والمجتمعى للمواطن .

إذ أن التعليم ليس هو أماكن التمدرس الرسمية في المدارس والجامعات والمعاهد ، وإنما التعليم هو الوعى الكامل بقيمة الوجود في مجتمع آمن فكرياً ومستقر علمياً وسياسياً واجتماعياً .

وهذا التوافق لن يحدث إلا من خلال اتباع منهجيات فكرية آمنة داخل التعليم بكافة مؤسساته الرسمية منها وغير الرسمية .

2-التجديد الفكرى المستدام

عند حدوث الأمن الفكرى داخل منظومة التعليم ، يتجدد الفكر تلقائياً بكل ما هو ابداعى وابتكارى وداعم للتقدم والتنمية في كافة المجالات المعرفية والسياسية والاجتماعية والعلمية والدينية وغيرها .

إذ أن التجديد الفكرى والاطلاع على كل ما هو جديد ومستحدث يقضى تدريجياً على الأفكار الدوجماطيقية أو التعصب والجمود الفكرى ، وينير الطريق أمام الناس للعمل والإنجاز والابتكار والإبداع العلمى المستمر لحل مشكلات المجتمع والدولة بأساليب وطرائق علمية مستحدثة وأدوات معاصرة وليست تقليدية .

فكل شيء يبدأ في الذهن وفى الأفكار كما شرحنا في الفصل السابق ، ثم يتجسد على أرض الواقع ليضحى سلوكاً ممارساً وواقعياً.

3-الحفاظ على التراث الفكرى للدولة .

الأمن الفكرى في التعليم يسهم في الحفاظ على التراث المجتمعى للدولة ، ويؤصل للتراث الفكرى المستنير للمجتمع ، ويحفظه في ذاكرة التاريخ كى يشكل هوية الدولة والمجتمع .

فالمؤلفات والكتابات الفكرية والمقولات والخطابات الوطنية ، وسير العظماء ، والإنجازات على مر العصور كلها يحافظ عليها الأمن الفكرى من خلال مناهج ومقررات التعليم التي تتناقل عبر الأجيال .

وبهذا يكون للدولة طابعها المميز والأصيل في تأمين المخزون الفكرى والثقافى والذى تجسد في إنجازات حضارية كبرى شيدت معالم التنمية داخل الدولة .

4-تحصين أبناء المجتمع من الإنحراف الفكرى

ما يحدث في العالم أجمع من تغيرات سريعة الوتيرة ، وأفكار طارئة صعب غربلتها وتنقيتها واستخلاص الإيجابى والحامل للقيم منها ، نظراً لتغيرها باستمرار في عالم مابعد حداثى ، ومتنامى في التقدم والتطوير المستدام .

هذا أكد على أهمية الأمن الفكرى أكثر من أي وقت مضى ، وحماية أبناء المجتمع في جميع مراحل العمر من الانحراف الفكرى ، والتطرف الفكرى الذى أخذ في الإزدياد والتنامى مع التطورات العالمية الحادثة وانهيار القيم النبيلة ، والرغبة في تحقيق مصالح فئوية وخاصة على حساب الجموع الأمر الذى ولد صراعات فكرية كبرى بين الشباب والأجيال المختلفة ، ولحسم هذه الصراعات من الأهمية بمكان وضع مناهج تعليمية وتدريب المعلمين والطلاب على إدارة الأفكار وحمايتها من الإنحراف ، وتوجيه مستقبل الأمن الفكرى من خلال منظومة التعليم بجميع أطرافها الطالب والمعلم والإدارة وولى الأمر والمنهج والإشراف التربوى ، والسياق والمواقف التعليمية العلمية والثقافية والاجتماعية .

فالأمر لا يقتصر على إدارة الأفكار في المناهج والمقررات ، وإنما في المواقف التعليمية برمتها سواء داخل المؤسسة التعليمية أم خارجها .

الأمن الفكرى يعد نمط حياة ينمى ويتم تعلمه واكتساب خبرات من حيث تكوين أجيال عاقلة وأفكارها معتدلة ومتطورة ومتقدمة ، ومبدعة ، وتفكر في الصالح العام ، وحاملة للقيم والمبادئ الأخلاقية النبيلة .

5-الأمن الفكرى ضمان لتحقيق العدالة في التعليم

مع تحقيق الاتزان الفكرى والمرونة الفكرية في منظومة التعليم ، سيفسح هذا المجال لاكتشاف الطاقات البشرية الهائلة في الأبناء داخل المؤسسات التعليمية دون تمييز على أساس الطبقة أو النوع أو العرق .

وإنما مع انتفاء التعصب والجمود الفكرى سينعم المجتمع التعليميى والعلمى ببيئة صحية آمنة خالية من الأمراض النفسية والنرجسية والجمود الفكرى ، والإرهاب الفكرى ، ومن ثم ستنطلق طاقات الأبناء وسيتم توظيفها وفقاً لمجالات التنمية داخل المجتمع في جو يسوده الأمن والأمان الفكرى والاجتماعى .

ومن هنا سيعطى لكل طفل الفرصة في التعبير عن نفسه ، وآرائه دون خوف من التهميش أو الاستبعاد أو محاولات الإقصاء من قبل بعض المعلمين أو المديرين متصلبى الفكر الذى يحجبون الكلام عن الأطفال والطلاب من أجل سماع أصواتهم وكلمتهم وأفكارهم المتعصبة وحسب .

ومن ثم مع وجود الأمن الفكرى سينطلق الأطفال والطلاب في مراحل العمر المختلفة دون خوف أو قلق ،وإنما ينطلقون بثقة ناصية الإبداعات العلمية والاستكشافات ، والبحث والتعلم من أجل خدمة الوطن بطاقاتهم الهائلة التي تنتظرها الدولة من أجل زيادة عجلة الإنتاج والتنمية والتقدم داخل الوطن.

فالأطفال والطلاب لا يمكنهم إطلاق أفضل ما عندهم ،وهم يشعرون بالخوف والهلع من المعلم والمدير والمشرف والسياق المحيط بهم سواء داخل المدرسة أو المنزل أو الجامعة أو أي مكان يتواجدون فيه .

الخوف والقلق والتوتر يقتلوا أي إبداعات لدى الإنسان ،ويجعله دوماً بحاجة إلى الآخرين، ولا يستطيع الإبداع أو الإنجاز في أي شيء لأن الخوف مسيطر عليه ، وهذا نتيجة السياق المحيط به المتسبب في حالة الخوف والفزع من الحديث والتعبير عن نفسه أو توضيح فكرته أو عمل أي إنجاز .

وفى هذه الحالة لا يمكن أن تتحقق العدالة التعليمية المنشودة داخل منظومة التعليم .

فضلاً عن إصابة الأطفال والطلاب في مقتبل عمرهم نتيجة هذه الضغوط النفسية وعمليات الإرهاب الفكرى عليهم داخل منظومة التعليم بالعديد من الأمراض النفسية والأخلاقية مثل الإكتئاب ، والتلعثم في القراءة والكلام ، والتوحد والعزلة ، والرغبة في الانتحار ، والتبول اللاإرادى ، والسرقة ، والتنمر، والعنف ، وغيرها من الأمراض التي تدمر مستقبل الأطفال والشباب نتيجة غيبة الأمن الفكرى داخل المؤسسة التعليمية .

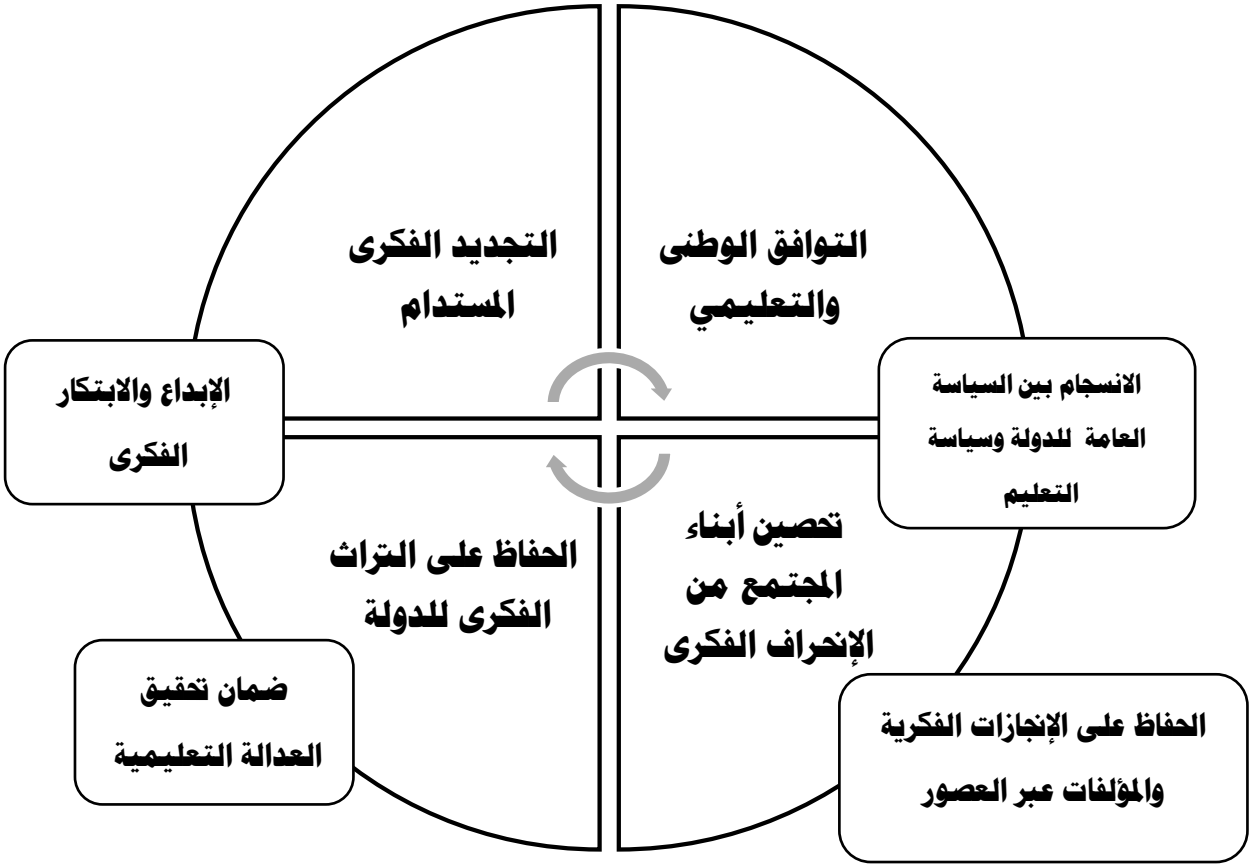

مخطط رقم (2) أهمية الأمن الفكرى في التعليم

منهجيات الأمن الفكرى في منظومة التعليم

يتسنى القول أن الأمن الفكرى له مداخل متنوعة ومتعددة وفقاً لتجدد نمط العيش ، والحياة العصرية ، ولهذا فمنهجية الأمن الفكرى في التعليم قد تتخذ الشكل الوقائى ، والشكل العلاجى ، والنموذج التوعوى ، والنموذج الأخلاقى ، والصيغة

التكاملية ، والصيغة الحوارية ، والصيغة النقدية ، والمنحى الدفاعى ، والمنحى الإبداعى ، والمنحى العاطفى الاجتماعى ، والمنحى الترويحى ، والمنحى القانوني

وكلها منهجيات يتبعها الأمن الفكرى للحفاظ على مستقبل الأفكار داخل المجتمع ، وحماية وصيانة الفكر من التشدد أو التعصب أو الجمود ومن ثم الإرهاب والتسلط.

ومن ثم يمكن وضع المنهجيات والمداخل التالية للأمن الفكرى في التعليم :-

المنهج الأول : **المنهج الوقائى** Preventive approach

المقصود بالمنهج الوقائى في التعليم هو الكشف المبكر واليقظ عن مؤشرات الانحراف الفكرى لدى الطلاب نتيجة الاحتكاك بعقول جامدة أو تحاول استقطابهم من أجل تنفيذ أجندات خارجية أو داخلية لا ترتبط بالحياة المجتمعية ولا باستقرار الدولة .

ولهذا فالمنهج الوقائى لتحقيق الأمن الفكرى هو استكشاف نمط الحديث بين الطلاب والمعلمين ، وبين المعلمين والمعلمين ، ونمط الإدارة والقيادة المتبعة داخل المؤسسة التعليمية أهو نمط ديمقراطى مرن أم اجتماعى أم فوضوى أم تسلطى استبدادى ، ومساحة الحرية للطلاب والأطفال للتعبير عن أفكارهم التي اكتسبوها سواء من المنزل أو المدرسة أو السياق المحيط من أجل تصحيحها وتعديلها قبل فوات الآوان وتصبح مبادئ وقيم يعتنقوها في حياتهم .

لهذا فالإفصاح والتعبير والحوار داخل مؤسسات التعليم بين الطلاب فيما بينهم ، وبين المعلمين والطلاب والإدارة ، وبين المعلمين والمعلمين ، وبين الإدارة

والمعلمين كل هذا يكشف سريعاً مواطن ومؤشرات الخلل الفكرى والانحراف الفكرى لمعالجته ووقاية باقى الدارسين والمعلمين منه .

أما الصمت والطاعة العمياء سيؤدى إلى مزيد من الإنحراف الفكرى وافصاح الطلاب عما بداخلهم في صورة أفعال غير محمودة وقد تصل إلى سلوكيات غير آمنة وتزعزع الأمن الفكرى بكامله .

وفى دراسة حديثة بالجزائر بعنوان " The Algerian educational institutions play a crucial role in fostering intellectual security" دور المؤسسات التعليمية الجزائرية في تعزيز الأمن الفكرى " تناولت الدراسة أهمية دور المدارس والجامعات في الجزائر في حماية عقول الطلاب من الإنحرافات الفكرية والتطرف الفكرى . وعمليات الاستلاب الفكرى أو الأفكار الثقافية السلبية المناهضة لقيم المجتمع . كما تناولت الدراسة أهمية دور المعلم في إحداث التوازن والاتزان والاعتدال الفكرى، وعدم السماح بالتعصب للأفكار المغلوطة داخل قاعات الدراسة ، وتعزيز النقاشات المستمرة وعدم الانفراد بالرأى ، وأكدت الدراسة على أهمية الأنشطة الجماعية التي تشرك الطلاب والمعلمين في حوار مستمر وليس فقط اختبارات أو أشياء مكتوبة ، ولكن مع كل هذا يجب أن يتحدث الطلاب والمعلمين طول الوقت مع بعضهم البعض لتصحيح الأفكار المغلوطة وعدم التشبث بالأفكار الخاطئة . وهذا أيضاً يجب أن تقويه المناهج التعليمية وتركز عليه بأهمية الحديث والحوار وبناء الوعى ومناقشة قضايا متنوعة وأخذ رأي الطلاب فيها ، وفتح باب النقاش والحوار الآمن والهادئ وليس المتعصب . وأكدت الدراسة على أن المعلمين والإداريين هم خط الدفاع الأول ضد الانحرافات الفكرية ، من خلال توجيه النصح والإرشاد ومنع التعصب الفكرى

، وتشجيع التفكير الناقد ، والاحترام المتبادل . كما تناولت الدراسة أهمية تعاون المجتمع المحلى مثل الجمعيات الثقافية ، والأندية التثقيفية ، والمكتبات العامة ، لتعزيز الأمن والحوار الفكرى في برامج مشتركة مع المدرسة أو الجامعة أو المؤسسات التعليمية لخلق بيئة آمنة فكرية خالية من التعصب أو الكره أو الجمود الفكرى . هذا فضلاً عن الدور الحيوى لأولياء الأمور والعمل على توعيتهم ونزع الأفكار المغلوطة والمتوارثة في عقولهم من آبائهم وأجدادهم ويعكسوها على أبنائهم(Faycal& Amina2025) .

وفى دراسة حديثة بعنوان " تحديات الأمن الفكرى والآليات المقترحة لتعزيزه من وجهة نظر طلاب كلية التربية الأساسية بدولة الكويت في ضوء بعض المتغيرات" فقد عرفت الدراسة الأمن الفكرى على أنه " حماية فكر المجتمع والعقائد الموجودة به من أن ينالها العدوان أو تشوه ، ولهذا فمفهوم الأمن الفكرى يختلف من مجتمع لآخر ، حيث أن ما يعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما ، قد لا يعد انحرافاً في مجتمع آخر الأمر الذى يدل على خصوصية مفهوم الأمن الفكرى في المجتمعات" ،وتعرف الدراسة الأمن الفكرى أيضاً " خلو الفرد من أي انحراف أو خروج عن الوسطية أو الاعتدال ، وذلك في فهمه للأمور الدينية والاجتماعية والاقتصادية " (فهد 2023،652) .وقد أكدت الدراسة على أن المرحلة الأولى من مراحل الأمن الفكرى هي مرحلة الوقاية من الانحراف الفكرى من خلال أخذ الجهات المعنية التدابير لمنع حدوث الانحراف الفكرى وفق خطط مدروسة وهادفة داخل المؤسسات التعليمية العامة والجامعية .

وقد أوضحت الدراسة تحديات كثيرة للأمن الفكرى منها التحديات الدينية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والجغرافية ، والإعلامية ، ورأت أن كلها مجتمعة تهدد الأمن الفكرى في المؤسسات التعليمية والمجتمع ككل .

وانتهت الدراسة إلى أن الدور المنوط به كليات التربية في تحقيق الأمن الفكرى هو تحصين الطلاب من الأفكار المغلوطة ، وتحقيق معايير تضمن السلامة الفكرية دون انحرافات عقائدية أو سياسية أو غيرها مما تضر بمستقبل معلمى المستقبل وبالتالي الأبناء والطلاب الذين يقومون بالتدريس لهم مستقبلاً. وبالتالي أكدت الدراسة ضرورة إدراك مقرر مسماه " الثقافة الأمنية " لحماية الأمن الفكرى داخل كليات التربية عند إعداد معلمى المستقبل . بحيث يشتمل المقرر على القيم الثقافية الأمنية " ثقافة الحوار ، والتسامح ، وثقافة الوسطية والاعتدال في الدين ، ثقافة حقوق الإنسان ، ثقافة الأنظمة والقوانين ، ثقافة الحب والسلام والإخاء ، ثقافة الرحمة ، .....كما أنتهت الدراسة إلى أهمية تهيئة القيادات للطلاب لتنمية ملكة التفكير السليم ، والمشاركة في إبداء الرأي ، وعدم حشو المعلم أذهان الطلاب بالانتقادات التي تولد الكره والحقد تجاه المؤسسات والمجتمع ، وتوضيح الأحكام الشرعية في المسائل الأمنية مثل حد السرقة ، والحرية ، وقطع الطريق ، والخروج على الحكام ، وقتل المسلم ، وغيرها .

كما بينت الدراسة تأثر الطلاب بالإعلام غير الهادف الذى يقدم بيانات ومعلومات وأفكار مضللة للشباب من الجنسين ، وأن التحديات الكبرى التي تأثر بها طلاب كليات التربية بالكويت هي وسائل التواصل الاجتماعى التي تساعد على انتشار معلومات منحرفة فكرياً. كما أكدت الدراسة أن العامل الأكبر للحفاظ على الأمن

الفكرى وارتفاع صوره ومظاهره هو "التمسك بالقيم الدينية الإسلامية المعتدلة التي تضمن وتدعم الأمن الفكرى" (فهد 2023، 592) .

وقد أوصت نتائج الدراسة ب أهمية إدخال مقرر الأمن الفكرى في المناهج الدراسية لكلية التربية ، وأهمية قيام الأسرة بمسئولياتها في التعليم ، وتفعيل الأنشطة المصاحبة للعملية التعليمية مثل تنظيم المهرجانات والمؤتمرات الثقافية والندوات التي ترفع الوعى بمفاهيم الأمن الفكرى ، وتوعى الطلاب بأخطار التطرف الفكرى ، والعمل على نشر ثقافة الحوار بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة وبين الطلبة بعضهم البعض ، وتقبل رأى الآخر حتى في حالة الاختلاف ، وتعزيز ثقافة الاختلاف (فهد 2023).

وفى دراسة أخرى بالسعودية بعنوان " تعزيز الأمن الفكرى في المناهج التعليمية في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030 " وقد بينت نتائج الدراسة أن وثيقة المملكة 2030 تضمنت أبعاد الأمن الفكرى بها البعد الاقتصادى بدرجة كبيرة حيث تضمنت 52% بعدد تكرارات 229 فكرة، في حين الأبعاد الوطنية والسياسية للأمن الفكرى جاءت في المرتبة الثانية بنسبة 16% ، وتكرار 69 فكرة ، ثم الأبعاد الدينية للأمن الفكرى بنسبة 8% وتكرار 36 فكرة ، وأوضحت الدراسة أنه بصورة عامة لا يتوائم توزيع الأمن الفكرى بالوثيقة لرؤية المملكة 2030 مع توزيع أبعاد ومعايير الأمن الفكرى بالمناهج التعليمية حيث يزداد الاهتمام بالجوانب الاقتصادية بينما بالمناهج الأبعاد الأمنية الفكرية الدينية هي التي يتم التركيز عليها (الوادعى & الحارثى 2023 ، 142) .وقد أوصت الدراسة بأهمية تضمين مفاهيم وأبعاد الأمن الفكرى وفقاً للمفاهيم الدينية والاقتصادية والثقافية

والوطنية بالتكامل مع مصفوفة القيم التربوية لمناهج كل مرحلة تعليمية . كما أوصت بضرورة إدراج وحدات دراسية خاصة تبرز أهمية زيادة الوعى بالأمن الفكرى الدينى والاجتماعى والاقتصادي والسياسى والأمنى والوطنى من خلال دمج مفاهيم الأمن الفكرى في سياقاتها اللغوية والعلمية وفقاً للمجالات المعنية (الوادعى & الحارثى 2023).

وفى دراسة بجمهورية مصر العربية حديثة بعنوان " الأمن الفكرى في الشريعة الإسلامية ودوره في تعزيز الانتماء الوطنى ومحاربة الفكر المتطرف دراسة تحليلية " وقد عرفت الباحثة الأمن على أنه حماية من الخوف ، والأمن الفكرى يعنى حماية الفكر على المستوى الفردى والجماعى مما يريبه ويجرفه ناصية التضليل والانحراف ، ويهدد الأمن الوطنى .وتطرقت الدراسة إلى مصطلح هو " البلطجة الفكرية "Ideological bullying وهى ممارسات تتسم بتخريب هوية المجتمع تحت مسميات ثقافية أو حقوقية يمارسها مجموعة من المأجورين الذين يثيرون الأذى الفكرى ، ويلحقون الضرر ببنية المجتمع ، وهى انتهاك للمجتمع وثوابته الدينية (عبد الغنى 2023 ، 19).وأوضحت الدراسة أن التطرف الفكرىIdeological extremism لا يصل عند مستوى الفكر فحسب ، وإنما ينتقل على مستوى السلوك غير السوى والمنحرف والذى يحمل قيم سلبية تجاه المجتمع والناس ، وتشير الدراسة إلى أن مثل هذا السلوك أشبه بالمرض القابل للعدوى ، فعدواه تنتشر لتكون دوائر من المظاهر السلوكية المتطرفة فكرياً وسلوكياً داخل المجتمع مالم تتم معالجتها سريعاً . الأمر الذى له آثاراً سلبية كبيرة على الأمن المجتمعى ، حيث تلعب المعايير السلبية دورها في الإخلال بالتوازن داخل المجتمع وتؤثر بدورها على المعايير الإيجابية التي هي ركيزة نظام اجتماعى آمن

ومستقر. وترى الدراسة أن السبب في الانحراف والتطرف الفكرى هو الجهل وعدم الدراية بفقه الخلاف في الشريعة الإسلامية وآدابه ، وعدم إعمال النقد والالتزام بأحكامه (عبد الغنى 2023). لهذا انتهت الدراسة بضرورة الأخذ بمنهج الحوار الفكرى والنصح لا التأنيب أو التأديب ، والعمل على توفير مناخ الحرية الفكرية وثقافتها ، وأكدت على أنه لا تعارض بين العقيدة وبين الحرية الفكرية والتفكير العقلانى في التدبر والتأمل والتحليل والنقد . بل أكدت الدراسة أن الأديان السماوية ليست لها علاقة بالتطرف الفكرى في أصل رسالتها السماوية ، وذلك يكون نتيجة التحريف أو الفهم الخاطئ للنصوص الدينية ، ومع ذلك الأديان ليست وحدها المعنية بظهور التطرف الفكرى (عبد الغنى2023، 51). وأوصت الدراسة بإنشاء مراكز بحوث للدراسات الفكرية التي تهتم بدراسة الاختراقات الفكرية التي تحدث نتيجة التقارب الزمانى والمكانى بالكرة الأرضية ، وتحليل أفكار الشباب ، ومراجعة النظم التعليمية وتحديد وجهتها الفكرية وما إذا كانت تتماشى مع ثقافة المجتمع وهويته أم لا .

أي أن المنهج الوقائى للأمن الفكرى يحصن الفكر من الوقوع في الأخطاء والانحرافات الفكرية ومن ثم السلوكية لهذا يمكن استنتاج ما يلى :-

أولاً:المنهج الوقائى يمكن القيادات والمسئولين من تحديد زاوية الفكر الوسطى والمستنير وتعزيزها داخل المؤسسات التعليمية والدينية والعامة من أجل حماية المجتمع من الوقوع في براثن التطرف الفكرى والتشدد والتعصب الذى يؤدى إلى هلاك وضياع المجتمع .

ثانياً: المنهج الوقائى يضع برامج تعليمية تستهدف القراءة والبحث والعمل الدائم خاصةً لفئة المراهقين والشباب من الجنسين ، وشغل أوقاتهم بأنشطة تعليمية وعلمية واجتماعية ومشاركات داخل الدولة بشكل دائم من أجل عدم استقطابهم في محاولات لتشويش أفكارهم وتضليلهم بأفكار مغلوطة ضد المجتمع والدولة .

ثالثاً: المنهج الوقائى يسهم من خلال فسح المجال للحوارات والمناقشات من التعرف على عناصر التخريب ،والتي تسعى لتخريب عقول الأطفال والشباب سواء لفظاً بالحوار والأحاديث أو من خلال الأدوات والأجهزة والبرامج الترفيهية مثل الألعاب الإلكترونية الجاذبة للأطفال والمراهقين وتستقطب عقولهم وتحيدها عن السلوك السوى والمحمود . وتعمل أجهزة الدولة في منع بثها داخل نظم الدولة الإلكترونية وتعطيل تلك البرامج كى لا تصل إلى هواتف الأطفال والمراهقين والشباب فتدمر عقولهم وتسمم أفكارهم بمبادئ وقيم سالبة ضد المجتمع ومبادئ وقيم الدولة أو المجتمع الإنسانى بصفة عامة مثل التحريض على القتل والعنف والسرقة مقابل الحصول على أموال وغيرها من الألعاب المدمرة لقيم وأخلاقيات المجتمع والمجتمعات الإنسانية بصفة عامة .

رابعاً: يسهم المنهج الوقائى في الأمن الفكرى في إعداد تدريبات كافية لكافة المسئولين والمعنيين داخل المؤسسات التعليمية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية من أجل سبل التعامل الأمثل مع الأطفال والمراهقين والشباب بأساليب تربوية معاصرة خالية من العنف والغلو في التشدد والتعصب ، وإفساح المجال لهم باستمرار للأنشطة الحوارية والنقاش والتعبير عن أنفسهم من أجل تصحيح أي أفكار مغلوطة تم اكتسابها داخل السياق المحيط سواء من الأسرة أو الشارع أو جماعة

الأقران أو المعلم أو المدرسة ، كى تعى إدارة المدرسة أو الكلية بأهمية العمل على وضع الإجراءات التصحيحة من أجل دمج الأطفال والمراهقين الذين يتشبعون بأفكار مغلوطة في أنشطة علاجية وبرامج تصحيحية عملية تساعد في فهم وتعديل عقولهم وسلوكياتهم من خلال مواقف فعلية وأنشطة يكتشفوا من خلالها أن أفكارهم كانت غير صائبة وأنها كانت ستفضى بهم إلى الضلال والوهم والإنحراف عن قيم المجتمع الإنسانى .

خامساً : لا يعالج المنهج الوقائى للأمن الفكرى الأفكار المتطرفة للأطفال والمراهقين والشباب بالعنف أو استخدام القواعد والينبغائيات مثل قل ولا تقل وافعل ولا تفعل ، وإنما أفضل الحلول هو دمج الأطفال والمراهقين في أنشطة عملية ومواقف أخلاقية ودينية وتعليمية تصحح لهم الأغاليط والأفكار الفاسدة التي سممت عقولهم من جهات متعددة وتشبعوا بها .

سادساً: المنهج الوقائى للأمن الفكرى يعد عدسة مكبرة تلتقط الصورة الذهنية وما يدور في عقول الأطفال والمراهقين والشباب والكبار من أفكار قبل أن تتحول إلى سلوكيات ويصعب السيطرة عليها . أي أن المنهج الوقائى يعدل الأفكار الذهنية ويصححها ببرامج وأنشطة كثيرة قبل أن تصبح جزء من سلوك الطفل أو المراهق أو الشاب أو الشخص الكبير ويصعب ضبط المجتمع لاحقاً نتيجة تحول الأفكار إلى ممارسات متطرفة داخل نسيج المجتمع وتصيب المجتمع كله بالعدوى .

سابعاً : المنهج الوقائى للأمن الفكرى من خلال الدراسات العلمية يؤكد أن الأطفال والمراهقين والشباب يكونوا أكثر عرضة للتطرف والتشدد الفكرى نتيجة غياب مشاركتهم في أنشطة تعبر عن مهاراتهم وقدراتهم العملية مثل المعارض الفنية

والمسابقات العلمية ، والورش الصناعية ، والندوات ، والتأليف للقصص والروايات والكتب العلمية ، وتشجيعهم بالجوائز والحوافز المتنوعة والجاذبة للعمل والمشاركة ، أي أن العقل المنتج يعزف عن الأفكار المغلوطة والتشدد الفكرى والانحراف عن قيم المجتمع ، وإشعار الأطفال والمراهقين والشباب والكبار بالمسئولية وأنهم اشخاص منتجين ومساهمين في التنمية والمجتمع بحاجة إليهم كل هذا سيقتل تدريجياً أية أفكار منحرفة أو عوجاء أو مضللة في أذهانهم . أما تركهم للكتب الدراسية وحدها

، والمذاكرة وحسب والاختبارات في نهاية العام دون أنشطة متنوعة سيبعث لديهم الملل ويميلون إلى شغل أوقات فراغهم بالسماع لأفكار ومشاهدة أشياء تتنافى مع قيم وعادات وأخلاقيات المجتمع الإنسانى .

أي أنه من أجل السلامة والأمن الفكرى في التعليم من الضرورى تعزيز الأنشطة والرحلات وغيرها من الأمور التي تجعل الفرد مرن فكرياً ، ومشارك اجتماعياً داخل وطنه وينتمى إليه ، أما الإنكباب فقط على الحصص أو المحاضرات والمذاكرة طول الوقت والاختبارات طول الوقت تقتل العديد من المهارات العليا والعملية المطلوبة في العصر الحالى التي كان من الممكن اكتشافها من خلال الأنشطة والرحلات والندوات التثقيفية واللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات، والمنتديات ، والمنصات العلمية المفيدة التي تعالج قضايا اجتماعية ومشكلات علمية وتطرح حلول إبداعية، والخروج للحياة والمشاركة فيها بأفكار وعقول منتجة وواعدة في المستقبل.

المنهج الثانى : المنهج العلاجى The therapeutic approach

المقصود بالمنهج العلاجى في الأمن الفكرى في التعليم هو تقديم استراتيجيات علاجية ومعالجات منهجية ومعيارية لتعديل سلوك الطلاب المنحرفين فكرياً بحكم عوامل بيئية أو اجتماعية أو نفسية ، وغيرها من الأسباب التي قد يتحمل المجتمع المشاركة فيها نظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية وغيرها.

لهذا إصلاح الإعوجاج الفكرى واجب قومى للحفاظ على الأمن الفكرى داخل المجتمع وسلامة الدولة واستقرارها . وتتشعب البرامج العلاجية وفقاً للحالات المتنوعة إذ تكون البرامج العلاجية المقدمة لمواجهة العنف والتنمر والبلطجة الفكرية والتطرف الفكرى ، وقد تكون موجهة لعلاج الأمراض النفسية التي تعطل الفكر السوى وتؤدى بالأطفال والمراهقين والشباب والكبار إلى الرغبة في الانتحار أو العزلة أو الابتعاد عن مصادر الألم والقلق وغيرها من البرامج النفسية العلاجية التي تعيد الطفل والمراهق والشاب والكبير ثقته بنفسه والأفراد والمجتمع من حوله .

أي أن المنهج العلاجى للأمن الفكرى في التعليم لا يقتصر على برامج مواجهة التطرف والتشدد الفكرى ، بل برامج لعلاج عزوف الأفراد عن المشاركة داخل المجتمع المحيط والمجتمع بصفة عامة ، وبث الثقة في أنفسهم للمشاركة والإنجاز والإنتاج والعمل وعدم قهرهم ، وتصحيح أي مفاهيم مغلوطة لديهم عن عمليات الإقصاء والاستبعاد من المشاركة حتى إن كان هذا قد حدث بالفعل معهم من أفراد أو زملاء أو مسئولين أو غيرهم من عمليات قهر واستبعاد واقصاء من أجل الاستبداد والهيمنة والتسلط الفردى أو النخبوى من قبل هؤلاء الأفراد .

فالمدخل العلاجى هو مدخل تصحيح الصورة الذهنية عند الأفراد المنحرفين سلوكياً نتيجة الأفكار المغلوطة سواء كانت تلك الأفكار تؤذى الفرد نفسياً بالعزلة والاكتئاب أو الانتحار أو تؤذى المجتمع بالتطرف والإرهاب الفكرى وغيرها من الأمور الغير محمودة العواقب سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو كليهما .

وقد يكون المدخل العلاجى اجتماعى يعالج مشكلات اجتماعية جُبل عليها الطفل أو الطالب أو المراهق أو الشاب أو الكبير ، وقد تؤثر تلك المشكلات على عقولهم وطرائق تفكيرهم ومعاملاتهم مع زملائهم ومعلميهم وداخل السياق المجتمعى ، ونظراً لانشغال المجتمع التعليمى بالمناهج والمقررات والدروس والامتحانات تغيب تلك القضايا المتعلقة بالأمن الفكرى المجتمعى عن بال المسئولين والقيادات الأمر الذى سيؤثر لا محالة على المجتمع بصور متعددة في صور انحرافية واجرامية غير متصورة نتيجة كبتها لدى الأطفال والمراهقين والشباب والكبار دون تقديم برامج علاجية لتصحيحها.

وتؤكد الدراسات عن الأمن الفكرى أن الفكر الأحادى الاستبدادى الرأي يخلق أشخاصاً إما متطرفى الفكر ويمارسون نفس الأسلوب مع أشخاص آخرين وفى سياقات أخرى ، أو يخلق أفراد استسلاميين وخانعين واتكالين وغير منتجين ، ويحدث في كلا الحالتين خروج عن قيم المجتمع من حيث الاعتدال والاتزان الفكرى والسلوكى . وأحادية الفكر تنبع من الإنغلاق الفكرى وانعدام المرونة الفكرية والتشاور مع الآخرين ، واحترام وجهات نظرهم واحترام عقولهم وقدراتهم على الإنتاج والعمل بل والتفكير أيضاً. ويرى محمد دغيم أن الفكر الأحادى لديه رغبة قوية في استبعاد الآخر حيث يتصور بمفرده امتلاك الحقيقة المطلقة ، وأنه

يستطيع السيطرة على الآخرين من خلال تلك الحقيقة فقط الأمر الذى يجعل باقى الأفراد في حالة احباط وفقاً لتقديرات علماء النفس تؤدى إلى عزلة واحباط أو عدوان وكراهية وانتقام (الدغيم 21،2006).

وفى حقيقة الأمر يلعب علم النفس العلاجى دوراً مهماً في تفسير العديد من السلوكيات المضطربة Disorder conduct وعلاقته بالتفكير ، وفى رسالة ماجستير بكلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة كربلاء بالعراق بعنوان " إضطراب المسلك وعلاقته بالتفكير التشاؤمى والانتحارى لدى طلبة المرحلة الإعدادية "

وقد فسرت الرسالة اضطراب المسلك هو أكثر حدة من أشكال السلوك المضطرب حيث يكون في صورة ممارسات عدوانية والكذب والتضليل للحقائق والقسوة في التعامل وانتهاك الحقوق الإنسانية وهو سلوك متحول ومعادى للمجتمع ، ويتجسد في تدمير عن عمد للممتلكات ، والقسوة على الآخرين ، وممارسة أعمال إجرامية بدافع الذكاء والدهاء ، والصراعات الداخلية والمحن النفسية العنيفة منذ طفولتهم التي حولت أصحاب المسلك المضطرب إلى مثل هذه الممارسات العنيفة . هذا العدوان قد يكون موجه نحو الذات فيؤدى إلى إنهاء حياة الشخص لنفسه بنفسه مثل الانتحار ويكون هو المرحلة النهائية للمرارة والألم الداخلى .

وقد يأتي التفكير الانتحاري Thinking suicideلدى البعض نتيجة صعوبة التغلب على الضغوط النفسية والاجتماعية واختلالات عضوية ، وضعف الوازع الدينى ، والاستسلام للأفكار المتشائمة ، وعدم الرغبة في تغيير الواقع . وغالباً ما يأتي الانتحار بعد المرور باكتئاب مزمن ينتهى بقرار الفرد الهروب من الواقع وقتل نفسه .

كما عرفت الدراسة التفكير التشاؤمى Pessimistic thinking بأنه طريقة في التفكير تجعل توقعات الفرد وتوجهاته سلبية نحو الحياة بصفة عامة ، ويكون ساخطاً على واقعه ، ويشعر باليأس وخيبة الأمل ، والمبالغة في تقييم الظروف والمواقف .

وتبرز الدراسة أن المتشائمين لا يظهرون أي ضعف في أدائهم أو قدراتهم نتيجة لاتجاههم التشاؤمى ، بل يكون أداؤهم على مستوى جيد في الواقع ، أي أنه في بعض الأحيان قد يتحفز المتشاؤمون بالحاجة إلى إدارة القلق والحد من سقف التوقعات . وقد يكون عاملاً قوياً في دفع الأفراد لبذل مزيد من الجهد إلا أنه بصفة عامة يؤثر على الرضا العام عن الحياة والقلق . وقد توصلت الرسالة القيمة إلى عدة نتائج مهمة من أهمها أن طلبة الإعدادية لديهم اضطراب المسلك ولديهم فروقات في هذا الاضطراب ، وأن طلاب الإعدادية لديهم فروق في التفكير التشاؤمى ، كما بينت الدراسة أن كل أفراد العينة ليس لديهم تفكير انتحاري بحسب البيانات المتوفرة ، ومن علامات مؤشرات التفكير التشاؤمى المبالغة في إصدار الأحكام ، والعدوان ، وقد تبين أن الرؤية السوداوية في التفكير التشاؤمى تؤدى إلى التخطيط للإنتحار.

وقد أوصت الرسالة بأهمية المراكز الدينية والاجتماعية الوسطية في تنمية الوازع الدينى والخلقى والإصرار على مغالبة التحديات والصعوبات ، كما أوصت الدراسة بأهمية مراكز الاستشارات النفسية بالمدارس والجامعات وأن يكون المنضمين بها عناصر مؤهلة وخبراء ومتخصصين ، كما أوصت الرسالة بضرورة تعزيز الخدمات الإرشادية في الوسط الطلابى للحد من التفكير بطرق تشاؤمية .

وأكدت الدراسة على أهمية وجود دراسات عن التفكير الإيجابى بين الوسط الطلابى بالمدارس والجامعات لعلاج مشكلات الإضطراب والتفكير التشاؤمى والانتحارى (محسن 2024).

وكما أوضحنا في السابق أن علم النفس العلاجى Clinical psychology له دور بالغ الأهمية في الحفاظ على الأمن الفكرى وعلاج الاضطرابات الفكرية من خلال برامج الإرشاد الفكرى والسلوكى التي يطبقها علم النفس العلاجى . إذ لم تعد المؤسسات الأمنية والعسكرية وحدها تقوم بحفظ الأمن الفكرى وصيانته ، بل تساعدها في ذلك المؤسسات التربوية والنفسية والاجتماعية في وضع برامج علاجية نفسية واجتماعية للحد من الشتات الفكرى والتفكير المدمر والتفكير الغير عقلانى والعدوانى والذى يؤدى إلى سلوكيات عدوانية مدمرة للفرد والمجتمع على السواء .

وهذا ما أوضحه الشهرى في دراسته الحديثة بعنوان " فاعلية برنامج إرشادى نفسى جمعى قائم على فنيات العلاج السلوكى الجدلى في تعزيز الأمن الفكرى لدى طلاب الجامعة " وأوضحت الدراسة أهمية الإرشاد الجماعى في تعديل السلوك وتصحيح الصورة الذهنية عن الذات والآخرين ، وفقاً لنظريات علم النفس الاجتماعى في علاقة الفرد بالآخر والسياق الاجتماعى المحيط به ، وكيف يتجنب الأحكام السلبية على الآخرين . واستخدمت الدراسة مدخل الإرشاد الجدلى السلوكى Dialectical Behavioral Therapy Techniques كنوع من أنواع الإرشاد النفسى والإرشاد المعرفى السلوكى .

ويرجع العلاج الجدلي السلوكى إلى مارثا لينهان في التسعينيات ، وهو أحد أساليب العلاج النفسى الذى انطلق من العلاج المعرفى السلوكى المعيارى لاضطرابات الشخصية البينية ولحالات الانتحار المزمنة والأفراد المنحرفين فكرياً ، وسوء توافقهم مع الأزمات والضغوط النفسية والاجتماعية ، وتعتمد فكرة الجدلية هنا على إحداث التوازن بين التقبل والرغبة في التغيير مسلطاً الضوء على المتناقضات في حياة الفرد ومحاولة التوفيق بينها من خلال استخدام تقنيات علاجية للتغلب على كل ما يشوه البناء المعرفى للفرد ويؤثر على سلوكه وحياته ، والتركيز على الاقتناع المنطقى بضرورة تحمل الضغوط والأزمات وتغيير سبل التعامل معها. وقد استخدم الشهرى في دراسته القيمة العلاج الجدلى السلوكى في تعزيز الأمن الفكرى لدى طلاب الجامعة وذلك بتطبيق جلسات علاجية في ضوء مجموعة من فنيات الإرشاد السلوكى الجدلى مثل التدريب على اليقظة العقلية ، والفصل بين المتناقضات الظاهرية ، واستخدام المجاز ، ودفاع الشيطان ، وغيرها من الأنشطة (الشهرى 2023، 161). أي أن العلاج السلوكى الدياليكتى يعد تدريباً على تحمل الشدة والضغوط وتحسين العلاقات وتنظيم الانفعالات ، وتعلم مهارات حياتية جديدة يدرك معها الشخص قيم جديدة في علاقاته البين شخصية مع ذاته ومع الآخرين ، ويصدق أن الحياة مليئة بالمتناقضات الكثيرة والضغوط التي عليه أن يتحملها ، ويدرك أن النجاح ليس عكس الفشل ، بل النجاح والفشل عكس عدم المحاولة وخوض التجربة . وبهذا يتخلص الفرد من المخاوف والاضطرابات السلوكية في مواجهة حقيقية مع ذاته ومع الآخرين فتتحسن تدريجياً أفكاره وتكويناته المعرفية عن قدراته ، كما تتعدل أحكامه المسبقة عن الآخرين ويبدأ في التعامل معهم من جديد .

ومن ثم النقطة الجوهرية في العلاج السلوكى الجدلى هو التقبل بحيث يكون الفرد أكثر تعاوناً وأقل ميلاً للغضب والانسحاب ، والتقبل يعنى الدخول في حوار مع الآخرين لتقبل أمور متزنة ، وتحسين أمور غير مقبولة وبحاجة لتغيير ، وهذا ميزة العلاج الجدلى السلوكى هو إحداث التوزان بين المتناقضات لمعالجة الإضطرابات السلوكية الحدية والمزمنة . لهذا فإن من أهم فنيات العلاج السلوكى الجدلى (اليقظة العقلية ، التنظيم الانفعالى ، تحمل الضغوط ، الفعالية البين شخصية ، الجدلية) (الشهرى 2023 ، 165).

وقد أعد الشهرى مقياس للأمن الفكرى لدى طلاب جامعة جدة بمنطقة مكة المكرمة. وقد اعتمدت الدراسة على تقسيم الطلاب إلى مجموعتين ، مجموعة ضابطة(لم تتعرض لجلسات البرنامج)، ومجموعة تجريبية (تم تطبيق البرنامج عليها) وذلك بتطبيق البرنامج الإرشادى النفسى الجماعى القائم على العلاج الجدلى السلوكى لتعزيز الأمن الفكرى.

وأثبتت النتائج ارتفاع مستوى الأمن الفكرى لدى طلاب المجموعة التجريبية بعد جلسات البرنامج العلاجى الجدلى وتعزيز قيم الأمن الفكرى من وسطية واعتدال وممارسة الأنشطة والحصانة النفسية ، وزيادة الوعى الذاتي لهم مقارنة بعينة الطلاب في المجموعة الضابطة . وبينت الدراسة كيف أن الطلاب تغيروا في طرائق تفكيرهم ليس أثناء تطبيق البرنامج الإرشادى العلاجى السلوكى القائم على الجدل وإنما أصبح نمط حياة لهم في سلوكهم المعتاد وفى التعامل فيما بينهم من حيث الاعتدال الفكرى والحوار والأدلة المقنعة والحديث الهادئ ، والقدرة على الحديث وتقبل النقد وغيرها من قيم وسمات الشخصية السوية (الشهرى 2023).

وثمة دور علاجى للأمن الفكرى في التعليم يكمن في حل المشكلات الاجتماعية ، حيث يشعر الأفراد بذواتهم عندما يكونوا قادرين على حل المشكلات الاجتماعية سواء لأنفسهم أو للآخرين ، كما يكونوا أكثر قدرة على التحمل والمثابرة من أجل مواجهة المشكلات والضغوط الاجتماعية التي تعترى حياتهم .

وأوضحت الدراسات أن تأنيب الذات والرجوع إلى تذكر المواقف والخبرات المؤلمة باستمرار يعطل عمليات حل المشكلات ، ويشعر الفرد دوماً بالاتكالية والعجز والدخول في نوبات اكتئاب مزمنة قد تؤدى به إلى الانتحار لعدم القدرة على العيش في الواقع بتفكير الحاضر ، وليس في البحث عن خبرات سلبية ماضية وتذكرها .

وهذا ما يسمى في علم النفس " اجترار الأفكار " Ruminative thoughts ، وأول من استخدمت هذا المصطلح عالمة النفس سوزان نولن Suzan Nolen حيث ترى أن الشخص الاجترارى يميل إلى مقاومة أفكاره في حالة تعرضه للضغوط ، ويكون أكثر استجابة للتأثيرات السلبية عن طريق صرف انتباهه تجاهها ، وقد يؤدى إلى فقدان الطاقة الإيجابية ، وقلة التركيز على المشكلات الحياتية بالانصراف إلى مواقف مؤلمة في الماضى وخبرات سلبية وهذا الأمر مرتبط بكثرة الضغوط النفسية وأحداث ما بعد الصدمة ، ولهذا يشعر الفرد بالدونية وانخفاض صورة الذات لديه ، ويقلل من مكانته الاجتماعية وسط الآخرين ، ويعلق جميع الأخطاء والمشكلات على نفسه ويتهم نفسه بالتقصير في الأداء ويقيم نفسه من خلال الآخرين أيضاً. ويصاحب اجترار الأفكار نوبات حزن وغضب تليها اكتئاب حاد ومزمن (السيد 2022، 303).

من خلال المدخل العلاجى للأمن الفكرى في التعليم يمكن استنباط ما يلى :-

أولاً: المدخل العلاجى للاضطرابات الفكرية يبدأ بالفرد وينتهى بالمجتمع ، بمعنى أنه كى يكون العلاج ذو أثر إيجابى يتسنى علاج السياق الاجتماعى المحيط بالفرد أو الأفراد مضطربى الفكر ، وذوى الأفكار المنحرفة والمشتتة . فالعلاج الجماعى أثبتت الدراسات أهميته في تحسين الصورة الذهنية للأفراد عن ذواتهم وعن المجتمع من حولهم .

ثانياً : المدخل العلاجى للحماية الفكرية في التعليم بالمدارس والجامعات ليس منهج وقتى لعلاج مشكلات تطرف فكرى وحسب ، بل هو منهج مستدام لحل أي أزمة فكرية أو تصرفات سلوكية غير سلوكية للأطفال والمراهقين والشباب والكبار داخل المؤسسات التعليمية .

ثالثاً: المدخل العلاجى الديالكتيكى السلوكى له دور بالغ الأهمية في علاج الاضطرابات السلوكية الناجمة عن الاختلال الفكرى والتطرف الفكرى للطلاب بالمدارس والجامعات ، والحوار الجماعى أفضل من التوجيهات النظرية والنصح والإرشاد بشكل فردى ، لأن الحوار الجماعى كفيل بافساح المجال للنقاش المثمر وعلاج الاضطرابات والتشوهات الفكرية في إطار برنامج علاجى هادف معد بإحكام وفقاً لمقاييس تتفق وطبيعة المرحلة العمرية التي يقدم لها العلاج .

رابعاً: المدخل العلاجى للأمن الفكرى في التعليم ذات أبعاد نفسية واجتماعية ، ولا يمكن حل مشكلات التطرف الفكرى بين الأطفال والمراهقين والشباب دون الرجوع إلى النظريات النفسيه والاجتماعية والدراسات التجريبية التي طبقت على الطلاب في المدارس والجامعات والبيئات الاجتماعية المتنوعة داخل المجتمع.

خامساً: نجاح المدخل العلاجى للأمن الفكرى في التعليم يكمن في تحسين السلوك الفردى والجماعى في صور أفعال وانجازات إنتاجية تبرز إيجابية الطلاب والأطفال في المشاركة والتفاعل الإبداعى والمثمر . وهذا يشير إلى الأثر الإيجابى للبرنامج العلاجى المستخدم لاستواء الفكر وسلامته داخل المؤسسات التعليمية بمراحلها المتنوعة من رياض الأطفال حتى الجامعة .

المنهج الثالث: المدخل الدفاعى Defense approach

يعد المنهج الدفاعى من أهم مناهج الأمن الفكرى في التعليم حيث بعد الإجراءات الوقائية والعلاجية وكافة الإجراءات المتبعة لحماية وصيانة الفكر من الانحراف والتطرف والخروج عن قيم المجتمع وقواعده ومبادئه ، يأتي دور الدفاع عن المجتمع وأمنه واستقراره . حيث قد لا تجدى البرامج الوقائية والعلاجية مع بعض الأفراد والجماعات وذلك لوجود مصالح خاصة ومآرب ضد المجتمع والناس يريدون تحقيقها فلا تفلح معهم أية إصلاحات أو خطى وقائية أو علاجية ومن ثم تصبح الدول في حاجة إلى أخذ مواقف إزاء كل ما يضر بالمجتمع الإنسانى والدولى، وكل ما يضر بأمن المجتمعات من أفكار مغلوطة تنتشر وتزعزع ثقة الشعوب في حكامها وقياداتها وممارساتها وغيرها من الأمور التي تحدث بلبلة للأذهان والأوطان وتؤدى إلى الفتن والصراعات وغيرها من التفاقمات الغير مأمونة العواقب.

ومن أجل هذا كان الدفاع منهج للأمن الفكرى بصفة عامة داخل الدولة ومؤسساتها المتنوعة لاسيما المؤسسات التعليمية مصنع الفكر والقيم والتقاليد والمبادئ ، وتنشئ قادة المستقبل وحاملى لواء الوطن .

لهذا فالمنهج الدفاعى عن الأمن الفكرى في التعليم يتصدى لكل اختلال فكرى يعترى المنظومة التعليمية سواء كان من قبل المعلمين أو الطلاب أو المشرفين أو أولياء الأمور أو السياق المحيط بالمؤسسة التعليمية من وسائل أخرى قد تبث أفكاراً مضللة لتشتيت عقول الأبناء وانحرافهم عن الطريق المستقيم .

لهذا يخضع المنهج الدفاعى للأمن الفكرى في التعليم لمؤسسات الدولة الأمنية والرقابية والقانونية من أجل محاربة فساد الأفكار وضلالاتها قبل أن تصبح ممارسات بين الأطفال والمراهقين والشباب والكبار ، ويصعب فيما بعد السيطرة عليها .

وهذه الإجراءات الدفاعية من أجل حفظ النظام داخل المؤسسات التعليمية وضبط الحياة الفكرية بداخلها ناصية الاعتدال والاتزان والوسيطة الفكرية . فضلاً عن مساعدة المؤسسات التعليمية في تحقيق أهدافها وغاياتها في التعليم والتعلم ، وتحقيق أهداف الدولة في تنشئة مواطنين مشاركين ومنتمين ومنتجين ومبدعين للمجتمع والدولة .

وقد ينحو بعض الطلاب والمعلمين في المدارس والجامعات ناصية تيارات فكرية متعصبة ومتشددة قد تؤدى إلى الإخلال بالنظام العام وتحدث فوضى داخل المؤسسات التعليمية مما يعرقل سير العمل داخل تلك المؤسسات. حيث يمارس بعض الطلاب سواء بأنفسهم أو من خلال بعض المعلمين الذين ينتمون إلى تيارات فكرية متعصبة أو مناهضة للدولة ومبادئها ويحاولون بث سمومهم الفكرية بين الطلاب أو يحمل الطلاب أفكاراً مغلوطة أو مشتتة من بيئاتهم التي يعيشون فيها ويتشبثون بها ويحاولون نقلها لزملائهم والسيطرة عليهم فكرياً سواء باستخدام

أساليب الجذب أو العنف والبلطجة الفكرية . وفى كل الأحوال تنتشر العديد من التيارات الفكرية داخل المؤسسة التعليمية وفقاً لعمليات الاستقطاب المنهجية أو اللامنهجية لعقول الطلاب والشباب . الأمر الذى يتطلب سرعة التدخل الدفاعى من أجل منع اختلاط الطلاب والشباب بذوى التيارات الفكرية المتطرفة والمتشددة سواء باستخدام الأساليب العقابية والقانونية أو أساليب حماية ودفاع عن الأمن الفكرى القومى والوطنى خاصةً داخل المؤسسات التعليمية التي تكثر بها التيارات الفكرية المتنوعة المذاهب نظراً لتنوع البيئات الثقافية والاجتماعية بتلك المؤسسات.

والموقف الدفاعى في هذه الحالة لا يستهدف كبت وقمع الحريات الأكاديمية أو الممارسات الحوارية بين الطلاب والمعلمين وأطراف المؤسسات التعليمية ، بل على العكس الموقف الدفاعى هنا من أجل ممارسة الحرية الفكرية بكاملها دون أية هيمنة فكرية أحادية أو ممارسات بلطجة فكرية وتعصب وتشدد على الطلاب أو المعلمين من قبل ذوى التيارات الفكرية المتشددة والمتطرفة سواء من قبل المعلمين أو الطلاب أو أولياء الأمور أو جميعهم . لهذا فالمنهج الدفاعى صيانة لممارسة حرية الفكر دون فرض آراء أو توجهات فكرية بعينها على الآخرين أو ممارسات عمليات هيمنة فكرية واستقطابات فكرية معينة لتحقيق أهداف وأجندات خفية لهدم المجتمع والدولة في أعز ما تملك وهم أبنائها ورعاة الوطن في المستقبل ،وحارسى التنمية في الغد القريب .

والسؤال الآن كيف تعرف المؤسسات الدفاعية عن الأمن الفكرى بوجود خلل فكرى في بعض المؤسسات التعليمية ؟

قد تكون الإجابة على هذا التساؤل صعبة ومعقدة نظراً لوجود عوامل كثيرة قد تحول دون تحقيق الضبط الكامل داخل المؤسسات التعليمية أهمها كثرة عدد الطلاب والمعلمين داخل المؤسسات التعليمية ، كما أنه من الصعوبة ترقب أحاديث الطلاب داخل المؤسسة وخارجها ، ومن الصعوبة وضع معايير للأمن الفكرى قد تتفق مع بيئات تعلم محددة ، ولا تتفق مع بيئات تعلم أخرى .

إلا أنه بصفة عامة توجد مؤشرات عامة تدل على سرعة التدخل من أجل الدفاع عن الأمن الفكرى داخل المؤسسات التعليمية من قبل المؤسسات الدفاعية المعنية من أهمها:-

1-كثرة حوادث العنف داخل المؤسسة التعليمية من قبل طلاب معينين أو معلمين أو أولياء أمور أو إداريين فهذا دليل على انعدام الأمن الفكرى والسلوكى داخل المؤسسة.

2-ممارسة البلطجة والتنمر من قبل بعض الطلاب على طلاب آخرين وفقاً للسجلات المدرسية عن حالات الطلاب ، والتعدى على زملائهم .

3-ممارسة البلطجة والتنمر من قبل بعض المعلمين على معلمين آخرين والتعدى عليهم لفظاً أو باليد أو وغيرها من الحوادث الكثيرة داخل المؤسسات التعليمية والتي توحى بوجود خلل ما في طرق التفكير والممارسات التابعة له .

4-كثرة حوادث السرقة أو التحرش أو الانفلات الأخلاقى داخل المؤسسة التعليمية بما يدل على وجود اضطرابات سلوكية ناجمة عن خلل في التفكير قد تؤدى إلى نتائج كارثية داخل المؤسسة التعليمية .

5-مؤشرات النجاح والرسوب للطلاب وفقاً لقاعدة البيانات الخاصة بهم ، وعوامل رسوب طلاب متفوقين وانحدار منحنى التفوق لديهم ، وهذا يتطلب معرفة أسباب عزوف الطلاب عن المذاكرة وانجذابهم لأشياء أخرى قد تكون تيارات فكرية متطرفة أو ظروف أخرى يجب البحث فيها من أجل إعادة التوازن داخل المؤسسة.

6-ظاهرة الانتحار بين الطلاب والشباب من أهم المؤشرات التي تدل على وجود اختلالات فكرية وممارسات لضغوط نفسية واجتماعية على الطلاب ، وتشير إلى قصور المؤسسة التعليمية في جذب الطلاب في أعمال مفيدة ومشاركتهم واحساسهم بذواتهم ، والعمل على تحسين صورة الذات لدى الطلاب وتقديرهم .

7-ممارسات بعض المعلمين الذين ينتمون إلى تيارات فكرية أو عقائدية معينة والتأكيد على بعض المقولات أو العبارات والأفكار المتشددة سواء في التعامل مع زملائهم أو مع الطلاب ، وتمييز الطلاب الذين يرددون نفس المقولات والأفكار والممارسات عن غيرهم وبالتالي منحهم درجات وتقديرات أعلى لجذبهم إلى تيارات فكرية متشددة أو متعصبة .

8-وجود طلاب مهاجرين من دول وجنسيات أخرى داخل المؤسسات التعليمية وتأثيراتهم الفكرية التي قد تكون متعصبة أو ساخطة على النظم السياسية أو القيادات والتي ينعكس ذلك في النقاشات الحوارية سواء داخل المحاضرات أو قاعات الدراسة أو مع الزملاء في الحرم الجامعى أو خارجه أو داخل فناء المدرسة

، وقد يكون سبب تفكير هؤلاء الطلاب هو العنف الذى تم ممارسته عليهم في دولهم ، والهجرات الاضطرارية أو القسرية وعمليات التعذيب مما تؤثر كل تلك الأفكار سلباً على الطلاب من السكان الأصليين من أبناء الدولة فيحملون مشاعر كراهية دون مبررات أو أسباب ضد الدول والحكومات وغيرها من الأفكار السلبية الإنعكاسية والتي تتحول إلى ممارسات عدائية وعدوانية لاحقاً.

9-تفاقم الحالات النفسية للطلاب والطالبات في المدارس مع تراكم المشكلات النفسية والاجتماعية في سجلات الأخصائى النفسى والاجتماعى دون محاولات لحلها مع الإدارة وأولياء أمور الطلاب مما يجعل هؤلاء الطلاب والطالبات عرضة للأفكار الغير سوية والمتطرفة التي قد تصل إلى الرغبة في الانتحار في الكثير من الحالات. ذلك لأن الطلاب والطالبات وثقوا في الإخصائيين النفسين وتحدثوا إليهم عن مشاكلهم النفسية والاجتماعية من أجل البحث عن علاج وليس من أجل وضع مشكلات في دفاتر وسجلات وتراكمها دون حلول.

10-نتائج اجتماع مجالس الآباء الدورية وما يدور فيها من مناقشات قد تصل في بعض المؤسسات التعليمية إلى العنف اللفظى أو استخدام لهجات تهديد من قبل بعض المعلمين أو المسئولين بالإدارة أو بعض أولياء الأمور نتيجة عدم الاستجابة لرغباتهم وكل ذلك مؤشر على عدم السلامة الفكرية والقدرة على التوازن الفكرى في الحوار للوصول إلى أرضيات مشتركة تؤدى إلى تحقيق الأهداف والرغبات بشكل متوازن وعادل ومنصف .

وتؤكد الدراسات على أن تهميش دور الشباب واستبعادهم من المشاركة في الحياة العامة ، وعجزهم عن أداء أدوارهم في التنمية نتيجة البطالة ، والشعور بالإحباط

من ألوان الفساد أو وعدم وصول أصواتهم للقيادات والمسئولين ، والإحساس بوجودهم كلها عوامل تشير إلى أنهم الأكثر عرضة للاضطرابات الفكرية والشتات والانحرافات الفكرية والأخلاقية والخلل فى التكيف مع البيئة الحالية نتيجة عمليات التهميش والاستبعاد (على 2019) .

كما أن استخدام لغة حديث غير دارجة بين أفراد المجتمع ومصطلحات غريبة على المجتمع قد تصل إلى حد العنف اللفظى والسباب والشتائم في كل موقف ليتحول الأمر إلى ظاهرة يتم تداول الحديث بين المراهقين والشباب بل والكبار أحياناً في أوقات المزاح وأوقات الجد وفى المواقف العادية لتصبح سلوكاً معتاداً فيما بينهم فهذا يشير إلى وجود تهديدات للأمن الفكرى على الدولة التصدي لها مثل ظاهرة "سب العقيدة" التي أضحى ينطق بها الأطفال والمراهقين والشباب والكبار في الشوارع والميادين العامة وفى بعض المؤسسات التعليمية أثناء المناقشات فيما بينهم أو حتى في أوقات المزح فهذا مؤشر خطير يدل على عدم احترام الأجيال الجديدة للدين والأديان بصفة عامة وسبها أضحى ظاهرة مخيفة على ألسنتهم سواء في الأماكن الفقيرة أو المتوسطة أو الغنية إذ أصبحت من علامات جرأة الشاب أو الطفل أو المراهق، وكلها من المؤشرات الخطيرة التي تهدد مستقبل الأمن الفكرى داخل المجتمع ، بل الأمر ينعكس إلى مقومات ومظاهر التحضر والتمدن الإنسانى التي لا يمكن أن يكون السباب والشتائم جزءاً منها ، ومن ثم يكون ذلك من مؤشرات التخلف الحضارى والرجوع للخلف واهتزاز صورة المجتمع أمام المجتمع الدولى حيث لا يمكن الثقة في دولة متخلفة حضارياً وأبنائها يسبون العقيدة أو يتلفظون بشتائم مخجلة في كل وقت وحين حتى أثناء اللعب والتنزه في الشوارع ، وفى ركوب المواصلات العامة ، وفى أي حوار مع

الآخرين أو نقاش. وللأسف قد يكون الكثير من المتعلمين يفعلون ذلك كنوع من الزهو والافتخار بأنهم يقدرون على السباب وتبادل الشتائم للإحساس بذواتهم بل الخطورة الأكبر هو تشجيع أولياء الأمور على هذا لتعليم أبنائهم القوة والشجاعة من خلال السباب والشتائم والتلفظ بمصطلحات مخجلة كعلامة من علامات التعامل مع المجتمع وغيرها من أنماط التفكير التي توحى بوجود تشوه فكرى في بنية التفكير المجتمعية.

كل هذه الأمور تعكس وجود خلل فكرى ما وزعزعة للثوابت الدينية والأخلاقية والحضارية للمجتمع . فالمظهر الحضارى السوى يبدأ على مستوى التفكير أولاً ثم السلوك الذى ينم عن هذا الفكر .

وقد تدخلت عوامل كثيرة في حدوث هذا التشوه الفكرى الذى انعكس على الممارسات السلوكية أهمها وأخطرها وجود جنسيات دخيلة على ثقافة الشعوب الأصلية التي قد تبث العديد من السموم الفكرية أو المعتقدات السلبية والقيم الغير مستحبة داخل المجتمع ، ومظاهر تخلف مثل السباب والشتائم والبلطجة والعنف وغيرها من السلوكيات التي تنتشر بين السكان الأصلين ويقلدها الأطفال والمراهقين والشباب دون وعى ونتيجة قلة الخبرات والتعليم الكافى ، وعدم وجود مناعة فكرية أو حصانة بما ينبغي قوله وفعله ، وبما لا ينبغي قوله أو فعله .

وفى هذه الحالة تصبح مهمة المؤسسات الدفاعية عن الأمن الفكرى داخل مؤسسات الدولة صعبة للغاية عندما تصبح الأفكار المشوشة سلوكيات وممارسات عشوائية وغير أخلاقية وتنتقل كالعدوى والمرض بين الناس لتصبح ظاهرة مجتمعية .

بل الخطورة تكمن ليس فحسب في التيارات الدينية المتطرفة أو المظاهر السلوكية المتخلفة ، وإنما أيضاً في التيارات السياسية المتطرفة داخل المؤسسات التعليمية والتي تحمل معها براثن التسمم الفكرى وزعزعة الأمن داخل الدولة والحياة بصفة عامة . وقد أشار تقرير بمركز دراسات الشرق الأوسط بعنوان " هندسة المناعة السياسية ..مقاربة معرفية وإجرائية " للباحث السياسى الجزائرى فاروق طيفور ، تحدث فيه عن ظاهرة " التسميم السياسى " intoxication وهو مصطلح في علم الاتصال السياسى وهو عبارة عن محاولة زرع أفكار معينة أو قيم دخيلة من خلال الكذب والخديعة ثم العمل على تضخيم هذه القيم تدريجياً لتصبح قيماً عليا داخل المجتمع والمقصود هو قيام عدو خارجى بإفقاد ثقتنا بذاتنا " (طيفور 2022، 128).

والهدف من عمليات التسميم السياسى هو شل القدرات الفكرية والمعنوية وتحطيم الإيمان بالمعتقدات السياسية أو الدينية أو تحطيم مشروعية القضية السياسية . وذلك ببث قيم تبدو ظاهرياً على أنها نبيلة وتستهدف العيش في أمن وسلام حتى تتسرب إلى سلم الوعى لدى الطبقات المختلفة شعورياً ولا شعورياً لتحل محل الثوابت والقيم الأصيلة تدريجياً . وقد تنتشر تلك القيم عبر قنوات إعلامية في صور إعلانية أو دعائية أو أفلام كرتونية وألعاب للأطفال ومسلسلات للكبار أو مناهج تعليمية تتضمن موضوعات أيديولوجية لها مقاصد وأهداف خفية قد تشوه التاريخ أو تزيف الواقع أو تنتشر بها الأكاذيب والمعلومات الخاطئة أو منصات تكنولوجية تبث أفكار مغلوطة ومزيفة دون رقابة أو دون معرفة المقاصد الحقيقية من ورائها.

وهذا كله يحدث مع عدم وجود يقظة سياسة واستراتيجية لكل ما يدور من عمليات تسميم سياسى قد تتسرب بشكل تلقائى في ربوع أي مجتمع فتهدمه وتشتته ، وتقضى على ثوابته القيمية والأخلاقية والدينية والسياسية والتربوية .

فالأفكار هي مركز القوى التي تستند عليها المؤسسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتعليمية والاجتماعية ، وبدون ضمان سلامتها وأمنها ومناعتها ضد أية استقطابات وبناءات معرفية مشوهة ستكون العواقب وخيمة على الأجيال الحالية والمستقبلية .

وقد أكدت دراسة حديثة بعنوان " الأخطار الفكرية السياسية لوسائل التواصل الاجتماعى على طلاب جامعة تبوك" على أن الجماعات المتطرفة والإرهابية وجدت من منصات التواصل الاجتماعى بيئة خصبة لبث بناء معرفى مشوه ، واستقطاب الشباب والمراهقين مما يهدد الأمن والاستقرار السياسى . وتؤكد الدراسة أن وسائل التواصل الاجتماعى خطورتها في أنها أصبحت مصنعاً للسياسة لكل من هو متخصص وغير متخصص ونشر أفكار وأحداث تبعد عن الواقع والحقائق ، وتشتت الرأي العام حيث تصل إلى الملايين من الأفراد . فضلاً عن أن أغلب من ينشرون تلك الأخبار والأفكار ليس لهم هوية ثابتة . ووفقاً لنظرية الانفعالات فإن الأفكار والانفعالات يتأثر بعضهما ببعض ،ويتم اتخاذ القرارات بناء على تلك الانفعالات بمعنى التآزر واتخاذ مواقف تجاه كل ما ينشر من أحداث كاذبة ومضللة ، ومن ثم تصبح مواقع التواصل الاجتماعى بيئة خصبة للفكر الإرهابى .

إلا أن الدراسة بينت أن ثمة مواقع إخبارية عالمية موثوق بها على منصات التواصل الاجتماعى ساهمت في بناء الوعى السياسى للشباب على أسس سليمة ،

وجعلتهم يكونون وجهات نظر موضوعية عما يدور من قضايا سياسية محلية وعالمية بشكل تحليلى ونقدى، وليس عاطفى أو تحيزى أو انفعالى . ومن ثم ارتبطت مواقع التواصل الاجتماعى بالأمن الوطنى ومتابعة الصفحات المشبوهة المنسوبة إلى جماعات إرهابية أو تُحرض على العنف وملاحقة القائمين عليها. لهذا خلصت الدراسة إلى أهمية توعية طلاب جامعة تبوك بمخاطر وسائل التواصل الاجتماعى وانتقاء الموثوق منها والتعامل بحذر والتأكد من مصادر المعلومات قبل تصديقها وبناء أحكام عليها ، ومشاورة أهل الاختصاص في أي قضية يريدون الاستفسار عنها ، وعدم الانضمام لأية جماعات فكرية تخرج عن النظام أو تحاول بث دعوات هدامة تفسد استقرار المجتمع وأمنه .وقد بينت نتائج الدراسة أن الشباب بالجامعة لديهم اتجاه سلبى نحو ظاهرة الإرهاب ويرفضون أي صورة من صور التخريب (نجمى 2019) .

ويتضح مما سبق أن النهج الدفاعى عن الأمن الفكرى في التعليم ليس بالهين وبحاجة إلى جهود قوية وتعاون مع أجهزة الدولة لردع كل عوامل التشوه الفكرى من جذورها من أجل شيوع الاستقرار والاتزان والأمن الفكرى داخل المؤسسات التعليمية .

المنهج الرابع : المدخل القيمى The axiological approach

المقصود بالمدخل القيمى للأمن الفكرى في التعليم هو إعلاء وتسامى للقيم الأخلاقية العليا التي يتسم بها كل مجتمع ، وتعزيزها داخل المؤسسات التعليمية في صورة أنشطة وممارسات فعلية فى الإذاعة المدرسية وفى الحصص الدراسية ، والمحاضرات ، والمشروعات المشتركة بين الطلاب ، والندوات ، واللقاءات

الترفيهية وفى الشارع ، والنوادى ، والحياة العامة . ومن أهم تلك القيم التسامح والتعاون والحب والاحترام والهدوء في التعامل مع الآخرين ، والحوار العقلانى المتزن ، والعمل التعاونى الجماعى ، والإيثار والمؤازرة ، والعطاء، والأمن ، والأمان ، والدفاع عن الوطن ، ومحاربة الجهل والخرافات والشائعات ، واستثمار العقول في أشياء مفيدة ، واستثمار التكنولوجيا في التعلم والدراسة والعمل ، وتحمل المسئولية ، والعمل وفقاً للقواعد والقوانين لا وفقاً للأهواء الشخصية أو المحسوبية والوساطة ، ونبذ العنف والبلطجة والتنمر والتحرش بكافة أنواعه .....

المؤسسات التعليمية من مرحلة رياض الأطفال حتى الجامعة ومرحلة العمل تعد مواطن للدولة ليس فقط متخصص في علم من العلوم ، وإنما شخصية إنسانية متكاملة الجوانب والأركان الدينية والخلقية والصحية والعلمية والثقافية والاجتماعية ، ومالم تتوافر جميع تلك الأركان في المواطن الذى أعدته مؤسسات التنشئة الاجتماعية التعليمية فهذا ينبئ بوجود خلل واضح في سياسات ومناهج التعليم والأهداف التي وضعت من أجلها ، إذ لم تبن دولة على المتخصصين في العلوم بكافة ألوانها وحسب ، ولكن تبنى الأمم بالأخلاق والقيم والموروثات القيمية التي يسلمها جيل بعد جيل .

لهذا فما نقدمه من معارف ومناهج وعلوم واختبارات تكنولوجية وعلمية وصناعية وفنية وحدها لم تفلح ولم تبنى أوطان ، وإنما التشبع بالقيم الأخلاقية الرفيعة سلوكاً وليس قولاً أو خطباً هو ما يجعل الشباب مواطني الغد يتمسكون بالعمل والكفاح من أجل رفعة أوطانهم وتنميتها ، ومالم توجد تلك الروح القيمية والأخلاقية التي تبعث الانتماء للوطن في نفوس الأبناء ستسهل عمليات استقطابهم لدول أخرى

ترى فيهم الكفاءة العلمية والمهارية ، وذلك لأنهم لم تربى فيهم روح التمسك بالهوية والوطن والقيم الخلقية التي تربطهم بالدولة والعمل على استدامة التنمية بها .

على سبيل المثال ماذا يفيد علم الإنسان وتبحره فيه إذا كان يقدم علمه لمن يدفع الأموال الباهظة بالعملات الصعبة ، ويضن على وطنه الذى علمه أصول العلم والمعرفة ولا يجد الوقت الكافى لخدمة أبناء وطنه ؟

وماذا يفيد علم الإنسان ومعارفه الكبيرة وهو يعتلى المناصب العليا من أجل الهيمنة والسيطرة وابتزاز الآخرين مادياً ومعنوياً ، والعمل لمصالح نخبة ما وليس جموع الناس؟

وماذا يفيد علم الإنسان ومعارفه الكبيرة ويمارس أفعال مشينة وغير أخلاقية وضد القواعد الأخلاقية للمجتمع ؟

ومن ثم فالأمن الفكرى مرتبط بالأخلاق والقيم بشكل كبير ، والأخلاقيات والقيم ليست في المظاهر المتعلقة بالتدين والخطابات وأداء العبادات وحدها ، وإنما في التعامل مع الآخرين وطرائق الحوار ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، والعدالة والقسط في القول والفعل ، فالتشويش الفكرى يأتي من الأمراض الأخلاقية التي تعتلى بعض الأفراد مثل الحقد والغيرة والجمود الفكرى ، والاستبداد ، والحسد ، والأنانية ، والكراهية ، والإحساس بالدونية ، والعدوانية ، وغيرها من الأمراض الأخلاقية التي تؤثر على المرء ، وتفسد الحياة العامة خاصةً إذا اعتلى الشخص منصباً أو كان عالماً في مجال ما وله تأثيرات كبيرة على الآخرين بحكم منصبه .

لهذا فالسلوك الأخلاقى ينبع من تفكير أخلاقى وتربية أخلاقية سليمة منذ النشأة ، فالشخص العدوانى والمريض بالتسلط والكره والنرجسى لا يعرف أنه مريض بكل

تلك الأمراض الأخلاقية ويستمر في سلوكياته المدمرة ليدمر كل من حوله بأفعاله كشخص مسئول ، ثم بعد ذلك ينهار عندما يصارحه الآخرون بنمط شخصيته والأمراض الأخلاقية التي جبل عليها ويمارسها على الآخرين بوعى أو بغير وعى منه . وفى تلك الحالة ليس إلا على جموع الناس وأصحاب المصالح إلا طاعته مع الحرص على الابتعاد عنه قدر الإمكان لسوء أخلاقه وإيذائه لكل من لا يطيعه ويخضع له .

إذن ماذا كسب المجتمع هنا ؟ لاشئ سوى مزيد من الخوف والتهديد للأمن الفكرى والحياة السوية المستقرة داخل بيئة العمل أو بيئة التعلم .

كأن يمارس معلم أو معلمة التحرش الجنسى مع بعض الأطفال والطلاب والطالبات داخل المؤسسات التعليمية ،ويمارس عليهم قهراً ويستغل براءتهم لتدميرهم جسدياً ومعنوياً . كل هذا يدل على وجود خلل قيمى في بنية القيم الأخلاقية منذ النشأة ، ويؤكد على ضرورة إخضاع من يتقدموا لاعتلاء المهن والمناصب التي تتطلب التعامل مع الناس إلى اختبارات أخلاقية قاسية كما فعل أفلاطون في اختياره لممثلى المدينة الفاضلة بداية من الحرس والجنود حتى الحكماء الذين هم في أعلى مرتبة ويصلون إلى تلك المكانة بعد اختبارات أخلاقية قاسية لا يقدر عليها إلا القلائل الذين يتمتعون بالحكمة والصبر والعلم الوفير ، والقدرة على تحمل الصعاب ،وغيرها من الأمور . فلا مجال للمحسوبية والوساطة والمعرفة المسبقة بالأفراد في اعتلاء مناصب الدولة أو التعيين في وظيفة ما فالكل أمام الدولة سواء ، ومعيار الاختيار هو الجدارة الأخلاقية في المقام الأول ، تليها الجدارة المعرفية والعلمية والمهارات العملية وغيرها من الجدارات .

لأن الدولة في تلك الحالة تدرك تمام الإدراك أن الخسارة ستكون أكبر عليها وعلى المجتمع عند اختيار قيادات بالوساطة أو المحسوبية ، وأن المجتمع بأكمله سيتضرر من القرارات الخاطئة الناجمة عن سوء الاختيار ويحدث عزوف الناس عن الحديث والمشاركة في التنمية ، وستزداد المشكلات والأزمات التي لا تنته ، والتي كانت الدولة في غنى عنها عند اختيارها الشخص الجدير أخلاقياً ومعرفياً ومهارياً في المكان المناسب .

ويعرف الأمن الأخلاقى Moral security بالحالة التي يتم فيها الحفاظ على المعايير والقيم الأخلاقية في المجتمع ، وذلك لضمان استقرار النظام الاجتماعى وتجنب الفوضى والفساد الأخلاقى . كما يتضمن الأمن الأخلاقى كيفية سلوك الأفراد والجماعات على نحو أخلاقى وتأثير تلك التصرفات على السلم الاجتماعى والعلاقات بين أفراد المجتمع (العلوانى 2024، 216، 217).

وتشير دراسة جاسيكا وفندال Jessica Wolfendale بعنوان " الأمن الأخلاقى " إلى أن الشعور بالأمن حق من حقوق الإنسان ، وأن القانون الدولى الإنسانى أكد على مخاطر نزع الأمن والأمان من حياة الأفراد والجماعات . وعلى الرغم من هذا الحق إلا أن التهديدات الأخلاقية للأمن كثيرة وتهدد بقاء الإنسان ووجوده في المجتمع . فالأمن الأخلاقى يحكمه شعور الإنسان بالطمأنينة والاستقرار وألا يكون عرضة للأذى الجسدى والمعنوى والعاطفى . أي أن قيم من مثل "التحرر من الخوف والتهديدات " free of fear & threats، و"السلامة الخالصة " pure safety تعد أساس لتحقيق الأمن الأخلاقى .

وترى جاسيكا أنه لكى نشعر بالأمان ، فإننا بحاجة إلى نوع من الطمأنينية بأن البنية الأساسية لحياتنا لن تنتزع فجأة من بين أيدينا ، وحتى إذا سلمنا من الهجوم الجسدى ، فإن قدر معقول من الأمن الزمنى من أجل تحقيق مشاريعنا الأساسية المستقبلية وتحقيق ذواتنا يعد مطلباً ضرورياً. بل إن ملامح الخوف من المستقبل تقوض أي مشروعات أو إنجازات يمكن أن يقوم بها الإنسان أو الأفراد تحت ضغط التهديد أو الخوف ونزع الأمن والأمان من حياته. فالخوف يقوض رفاهنا النفسى وقدرتنا على الانخراط في التخطيط طويل الأمد **(Wolfendale2017,239)**.

ومن ثم فالأساس الأخلاقى لتحقيق الأمن الفكرى في التعليم لا يقل أهمية عن المداخل السابقة الوقائية والعلاجية والدفاعية بل إن مهام المداخل السابقة تصبح يسيرة للغاية عندما يتوفر الأمن الأخلاقى والسلامة الأخلاقية داخل المؤسسات التعليمية ، وعندما يكون قدر كبير من التشبع بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية التي يدشنها المجتمع والدولة من أجل عموم الاستقرار والانضباط والضبط الاجتماعى والأخلاقى داخل المؤسسات التعليمية والمجتمع ككل .

وعندما تتوفر بنية أخلاقية قوية داخل المؤسسات التعليمية يتشبع بها المعلم والمدير والطلاب والمشرفين وأولياء الأمور وعمال النظافة وجميع أطراف العملية التعليمية ، سيسرى نفس الأمر خارج المؤسسات التعليمية في الأحياء والشوارع وفى كل مكان داخل المجتمع لأن المؤسسة التعليمية تتسم بالانتشار داخل المجتمع ككل، لكل ما يتم تعلمه بداخلها من مبادئ وقيم ، ومن ثم يصبح الواجب والالتزام الأخلاقى أساس لتحقيق الأهداف ، ويصبح ممارسات وعادات لا غنى

عنها من أجل التواصل الإنسانى المتحضر الذى يشير إلى تفكير إنسانى متحضر بالمثل .

ويرتبط المدخل الأخلاقى للأمن الفكرى ببناء الحضارة داخل أي مجتمع ، لأن التفكير الأخلاقى كما تحدثنا ينبع عنه سلوك أخلاقى ينم عن وجود حضارة متسامية تأبى الأفعال والممارسات غير الأخلاقية أو التي تسئ لمظاهر التحضر والتمدن وفقاً للمعايير الحضارية الدولية .

فعلى سبيل المثال يتوافد السائحين من جميع أنحاء العالم للبلدان الأكثر أمناً ، والأكثر تحضراً في التعامل مع السائحين ، والتي تحترم ثقافاتهم وخصوصياتهم دون المساس بها ، والتي تحافظ على أمنهم واستقرارهم دون مضايقات أو ممارسة العنف اللفظى أو التنمر عليهم من قبل بعض السكان الأصليين الذين يتنمرون على السائحين وينتقدون ملابسهم وعاداتهم الثقافية ، إذ يدون السائحون كل ما يشاهدونه من معاملات داخل البلد المضيف ، الأمر الذى يجعلهم في علاقة مستديمة مع البلد المضيف كل عام في مواسم السياحة نتيجة للمعاملات الأخلاقية المتحضرة معهم ، أو يمتنعون عن زيارة البلد المضيف مرة أخرى لعدم شعورهم بالأمن بداخله أثناء زيارتهم السياحية .

أي أن الأمن الأخلاقى والحضارى داخل الدولة أنعش الاقتصاد من خلال السياحة وجذب السائحين نتيجة السمات الأخلاقية الرفيعة للمواطنين في البلد المضيف ورقى معاملاتهم . فأهم من الأماكن السياحية والزيارات والنظافة هو شعور السائحين بالأمن والأمان داخل البلد المضيف أثناء زياراتهم السياحية دون مضايقات أو معاملات غير أخلاقية وغير متحضرة معهم.

لهذا يرتبط الأمن الأخلاقى بثقافة احترام الآخر واحترام ثقافته دون تنمر أو ممارسة العنف ضده ، وهذا يتسنى تضمينه في مناهج التعليم وفى تدريبات المعلمين والمديرين بحيث تصبح قيم احترام الآخر من أركان الحضارة والتمدن داخل المجتمع. وأن هوية الإنسان وقيمه لا تتحول أو تتبدل عندما نحترم هويات الآخرين وثقافاتهم طالما لا تؤثر على الثقافة الأم للبلد ولم تغير هويات المواطنين . ومن ثم هذه المرونة الفكرية يتسنى أن تسرى داخل المؤسسات التعليمية في المناهج الدراسية والمقررات والتدريبات والمشروعات من أجل ضمان حياة آمنة ومستقرة وتفكير أخلاقى يتبعه سلوك أخلاقى متعاون ومتسامح ويحترم حقوق الآخرين في التفكير والوجود الإنسانى .

من هنا يمكن تحديد مهام المدخل الأخلاقى للأمن الفكرى في التعليم كما يلى :-

أولاً: الإكثار من الندوات التثقيفية داخل المدارس والجامعات عن القيم الأخلاقية وربطها بالحياة الإنسانية واستقرار المجتمعات مثل قيم التسامح واحترام الآخر والتعاطف والرحمة والتحضر والصدق والالتزام وتحمل المسئولية ، والتفكير الأخلاقى ، والوسطية والقسط ، والعدالة ، والضمير الأخلاقى ، وإعطاء الأمثلة لرواد وعلماء التزموا بالتفكير والسلوك الأخلاقى وأحرزوا إنجازات عظيمة كتبت في التاريخ الإنسانى .

ثانياً: مناقشات حوارية داخل المؤسسات التعليمية واسعة النطاق من خلال الطلاب والمعلمين والخبراء والمتخصصين حول القضايا الأخلاقية المعاصرة والتي جدت نتيجة استخدام التكنولوجيا ونتيجة الضغوط النفسية والاجتماعية من فقر

وحروب وأزمات اقتصادية ، والتوصل إلى حلول وتوصيات بشأن معالجة تلك القضايا كى يستقر الأمن الأخلاقى والفكرى داخل المجتمع .

ثالثاً: التأكيد بالأمثلة والشواهد والأدلة في المناهج والمقررات التعليمية ، والمحافل العلمية المتنوعة من ندوات ومؤتمرات وحفلات وغيرها أن البعد الأخلاقى ركيزة بناء المجتمعات وأن التحضر والتمدن لا يبدأ من انتعاش الجانب الاقتصادى ، بل يبدأ بإعلاء للقيم الأخلاقية العليا والرفيعة داخل المجتمع لتتجلى في مظاهر السلوك الإنسانى والمجتمعى ومن ثم سيحدث انتعاش اقتصادى وسياسى وتعليمى وثقافى واجتماعى للدولة ككل بناء على استقرار الأمن الأخلاقى بالمجتمع .

رابعاً: محاربة الأفراد والجماعات التي تحاول هدم البنية الأخلاقية بما تحاوله من بث أفكار وممارسات أخلاقية غير سوية أو تتنافى مع قيم وعادات الدولة والمجتمع سواء داخل مؤسسات الدولة ككل أو داخل المؤسسات التعليمية ، تلك الجماعات التى تخرج عن القيم التي وضعها المجتمع من اجل استقراره وتحقيق أهدافه .

خامساً: التشجيع على الكتابات والمؤلفات عن القيم الأخلاقية وربطها بالمعتقدات الدينية ، والدراسات العبر ثقافية والمقارنة ،والتي تتناول المبادئ والقيم المتنوعة والتي تختلف من مجتمع لآخر ولكنها جميعاً تشترك في سمات إنسانية عليا وتختلف في طرائق التعبير أو الممارسات المتبعة داخل كل دولة . فهذا سيجعل الأطفال والمراهقين والشباب في شغف لمعرفة الحضارات الأخرى والقيم التي تتشبع بها ، ويتعاملون مع كل ثقافة وفقاً لما تحمله من قيم ومبادئ معينة .

سادساً: تأصيل منهج دراسى عن "القيم الأخلاقية والحضارة " في جميع مراحل التعليم خاصةً المراحل الأولى مثل رياض الأطفال والابتدائية والاعدادية والثانوية ، وذلك كى يتشبع الأطفال والطلاب فكراً وسلوكاً بالقيم الأخلاقية الرفيعة ومظاهر التحضر الإنسانى داخل مجتمعه.

سابعاً: من أجل تحقيق الأمن الأخلاقى والفكرى في التعليم يتسنى معرفة الأطفال والمراهقين والطلاب في المؤسسات التعليمية بالحدود الأخلاقية في التعامل مع الآخرين ، والحدود الإنسانية ، لهذا فإن مقررات من مثل " التربية الجنسية " والتربية الأخلاقية " و " مبادئ العلاقات الإنسانية " و " قيم التعامل مع الآخر " تكون مفيدة لمعرفة الطلاب والمعلمين والإداريين وأولياء الأمور بحدود المعاملات مع بعضهم البعض ومع المجتمع ككل .

إذ تصادف القيادات التعليمية قلة وعى بعض المعلمين أو أولياء الأمور أو الإدارة بالحدود الأخلاقية للتعامل مع الأطفال والمراهقين والشباب فيعاملونهم بطرق غير أخلاقية أو لا تتماشى مع قيم المجتمع ، أو يتعامل الطلاب مع بعضهم البعض بطرق غير أخلاقية وغير مسموح بها داخل أي مجتمع . كل تلك القضايا بحاجة إلى أن تناقش في مناهج التعليم ويتم وضع مقررات لها للطلاب وأدلة إرشادية تثقف المعلمين والإداريين والمشرفين وأولياء الأمور بالأدوار الأخلاقية التي يجب أن يتبعوها عند التعامل مع الأطفال والمراهقين والشباب .

ثامناً: من الأهمية بمكان وجود اختبارات أخلاقية بناء على مقاييس أخلاقية عند اختيار المعلمين والقيادات التعليمية والمديرين فمثلما توجد اختبارات مهنية من الضرورى أن تكون ثمة اختبارات أخلاقية تتضمن مواقف أخلاقية للتصرف

والتعامل مع الحالات الحرجة أو الحالات المتعثرة انسانياً واخلاقياً ، واختبارات تقيس الثبات الانفعالى والتعامل مع الظروف الصعبة ، واختبارات تقيس القدرة على الحوار وطريقة التفكير بناء على معايير ومقاييس أخلاقية أعدت لهذا الغرض .

المنهج الخامس : المدخل التثقيفى التربوى الشامل The comprehensive educational-cultural approach

المقصود بالمنهج التثقيفى التربوى الشامل هو الإعداد والتكوين الشامل للإنسان من خلال المؤسسات التعليمية ، والتي لها دور قوى في إعداد النشء لتحمل مسئولية وأعباء التنمية داخل المجتمع .

وعندما يتعلق الأمر بالأمن الفكرى فإن الدور التثقيفى التربوى يكون دوراً بالغ الأهمية ،ويركز على التدريب على التفكير السليم والوسطى والمعتدل، والتفكير السوى الذى ينبع عنه أنماط سلوكية مقبولة وفقاً لقيم وقواعد المجتمع الأخلاقية والوضعية ممثلة في الدستور والقوانين الرسمية .

وليس الأطفال أو الطلاب هم وحدهم المنوطين بالتعليم والتعلم على الأمن الفكرى ، وإنما أيضاً المعلمين والإداريين والقيادات وأولياء الأمور وجميع أطراف منظومة التعليم . فالمعلم والمدير والمشرف وولى الأمر سليمى التفكير الذى ينبع عنه تصرفات سوية ، سيؤدى الأمر إلى تكوين واعداد أبناء على مستوى تفكير راقِ ومتحضر ومبدع خالِ من العنف والهيمنة والتعصب والجمود الفكرى .

وفى دراسة حديثة بعنوان " العلاقة بين الأمن الفكرى والدافعية للإنجاز لدى طلاب الجامعة "The Relationship between the intellectual security and the motivation for achievement of university students" وقد ربطت الدراسة بين الأمن الفكرى بكافة أبعادى الوطنى والتراثى والدينى والأخلاقى والإعلامى بدافعية الطلاب للإنجاز ، كما أكدت

الدراسة على أهمية دور الإخصائيين الاجتماعيين في تعزيز الأمن الفكرى والدافعية لدى طلاب الجامعة . وذلك وفقاً لمقياسى الأمن الفكرى والدافعية للإنجاز الذين تم تطبيقهما على عينة من طلاب الفرقة الأولى بكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان بمصر.

وقد خلصت نتائج الدراسة إلى أنه توجد علاقة بين بعدي المواطنة والدافعية للإنجاز ، الأمر الذى يشير إلى وجود علاقة وثيقة بين الانتماء الوطنى والأمن الفكرى .

ولكن بينت الدراسة ضعف الاهتمام بالأنشطة الاجتماعية والأدوار الاجتماعية داخل الجامعة لتعزيز الأمن الفكرى للشباب الجامعى ، حيث أن غالبية أفراد العينة من الشباب الجامعى لم يهتموا بأنشطة الاتحاد المتنوعة ولا يشاركون فيها . ويركزون على التحصيل الأكاديمى استعداداً للتخرج . مما يدل على ضعف مستوى الهوية الوطنية لدى طلاب الجامعة .

وأوصت الدراسة بأهمية دمج الشباب الجامعى منذ السنوات الأولى في أنشطة الجامعة الاجتماعية الممثلة في مراكز رعاية الشباب والرحلات التعليمية والاتحادات الطلابية ، والمكتبات العامة والرقمية وعمل الأبحاث العلمية والمشروعات الاجتماعية والمسابقات المتنوعة لحماية وصيانة الأمن الفكرى داخل الجامعة . فضلاً عن التدريبات الصيفية والكشفية والمعسكرات الطلابية للبنين ، والأنشطة الاجتماعية والتثقيفية للبنات والدورات التعليمية المجانية والرحلات التعليمية والخدمية الصيفية. وزيارة المعالم الأثرية للبلد في جميع المحافظات ، والسماع لشكاوى الطلاب من خلال مختصين والعمل على حلها في أسرع وقت وتوصيلها للجهات المختصة . وذلك من أجل تعزيز انتماء الطلاب والطالبات للوطن وحماية الأمن الفكرى من التعصب والجمود أو شعور الطلاب والطالبات بالإحباط والاكتئاب نتيجة عدم السماع والاستجابة لهم ولشكواهم المتكررة (Abd El– Samee&Elsayed 2020 .

وقد أكد Thallab A. Al–Shukra ثالاب الشكرا في دراسته الحديثة بعنوان

" Enhancing Student Affairs for Intellectual Security of Scholarship Students“

" تعزيز شئون الطلاب من أجل الأمن الفكرى للطلاب المبتعثين " وقد خلصت نتائج الدراسة من خلال الإجابة على سؤالين رئيسيين يتمحوران حول: واقع دور عمادة شئون الطلاب بالمملكة العربية السعودية في تعزيز الأمن الفكرى ، والمتطلبات اللازمة لتطوير هذا الدور . وقد عكست إجابات المشاركين بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز تصوراً إيجابياً عن تعزيز الأمن الفكرى بالجامعة من خلال إدارة الجامعة ودورها الجيد. وقد عكست الاستجابات دور العمادة والتزامها بتوظيف كوادر مؤهلة قادرة على مواجهة التطرف الفكرى والسلوكيات المنحرفة بفاعلية . كما بينت نتائج الدراسة أن الطالبات كان لديهن مستوى الأمن الفكرى مرتفعاً بالجامعات السعودية . وهذا يعزى إلى الدور التوعوى والرقابى من قبل إدارة الجامعة . كما أكدت نتائج الدراسة على أهمية التدخل المبكر لمواجهة التطرف الفكرى داخل الجامعات السعودية وأخذ خطوات وإجراءات استباقية لمواجهة أي جنوح فكرى أو انحرافات فكرية داخل الجامعات . وقد بينت الدراسة أهمية الموقع الإلكترونى لتلقى الشكاوى بالجامعات السعودية الذى أدى إلى الكشف المبكر عن السلوك الإنحرافى وتعزيز التفكير النقدى لدى طلاب الجامعة . كما بينت الدراسة الدور التثقيفى للجامعة في توعية الطلاب والطالبات بأهمية الأمن الفكرى وصيانته، والحماية من مخاطر التطرف الفكرى .

وقد أوصت الدراسة بأهمية تدريب موظفي العمادة الخاصة بشئون الطلاب على التعامل الفعال مع الأفكار المنحرفة والمتطرفة ، وعقد دورات تنشيطية دورية لجميع الموظفين والقيادات الجامعية . كما أوصت الدراسة بأهمية المراقبة الاستباقية لسلوك الطلاب ضمن نهج مؤسسى واستخدام تقنيات أو أنظمة تساعد في تطبيق هذا النهج الاستباقى . وتوفير التدابير الأمنية الفكرية والاتساق مع جميع الكليات داخل الجامعة (Al-Shukra2023).

أي أن المنهج التربوى الشامل لتحقيق الأمن الفكرى في المؤسسات التعليمية يتسم بالشمولية لقدرتها الفائقة على جمع المنهجيات السابقة للأمن الفكرى وتحقيقها من خلال البرامج التربوية الشاملة للمناهج الوقائية والعلاجية والأخلاقية والدفاعية ، إذ تعد منهجيات الأمن الفكرى منظومة متكاملة الأركان يشملها ويحتويها المدخل التربوى الذى يستعد لحصر

ومواجهة كافة ألوان التطرف والتعصب الفكرى من خلال البرامج الإرشادية والإثرائية والوقائية لجميع أطراف منظومة التعليم وأصحاب المصالح .

ولعل أهمية المنهج التربوى يكمن في أن التربية لا غنى عنها داخل كل منزل وكل مجال سواء كان صناعى أو سياسى أو اقتصادى أو طبى أو تجارى أو دينى أو سياحى ، فالتربية منهج للحياة والتعامل وتحقيق أهداف المجالات السابقة بسهولة ويسر ، وعدم وجود البعد التربوى والتهذيبى والأخلاقى كدستور للتعامل والعمل والإنجاز في تلك القطاعات لا يمكن أن تصل المؤسسات التنموية إلى الأهداف المنشودة إذ كيف لأفراد لا يعرفون كيفية التفكير المتزن والمعتدل وحرية الاختلاف والخلاف أن يحققوا إنجازات تنموية في قطاعات تنموية تؤسس لبناء مجتمع متقدم ؟

لهذا فسلامة البنية الفكرية ونبذ التعصب والجمود الفكرى والتطرف الذى ينعكس على سلوكيات وتصرفات البشر ، لهو المحرك الأول لضمان تحقيق إنجازات غير متوقعة في تشييد مجتمع متقدم ومتحضر في نفس الوقت .

من هنا ما الذى يمكن أن يقدمه المنهج التربوى الشامل لتحقيق الأمن الفكرى في التعليم ؟

يمكن للمنهج التربوى الشامل أن يقدم ما يلى :-

أولاً: التأكيد على أن التعليم ليس فقط مناهج دراسية واختبارات في نهاية العام لمقررات محددة ، وإنما التعليم بمعناه الواسع يعنى تكوين إنسان فاعل ومشارك ومنتمى للمجتمع وللدولة ، ويخدم وطنه من خلال تعلم مهارات وجدارات كثيرة متنوعة يتقنها من خلال المؤسسات التعليمية المتنوعة ، ويحمى ويصون تفكيره من أية انحرافات أو أفكار متطرفة أو عوامل جذب من أطراف تريد هدم أو تخريب العقول ومن ثم تخريب المجتمع والدولة . وكل هذا من الضرورى أن يتم الحديث عنه داخل مقررات التعليم جميعها وليست مقررات بعينها مثل التربية الوطنية او التاريخ أو اللغة العربية ، وإنما في جميع المقررات والعلوم وبيان

استخدامات تلك العلوم في حالات السلم والتنمية ، واستخداماتها السلبية والشريرة في أعمال الدمار والتخريب .

أي أن الوعى لا يتأتى بالحديث أو الخطابات وإنما بالمواقف والأمثلة والتجارب الشارحة في المقررات كى يكون الأطفال والمراهقين والطلاب والشباب والكبار على قناعة تامة بأن كل مادة وكل مورد وكل طاقة وكل علم له أكثر من جانب يمكن أن يستخدم في التنمية والخير والرخاء والاستقرار ، ويمكن أن يستخدم في الشر والتشريد والخراب والدمار .

ومن الضرورى عرض مزايا الاستخدام الآمن للمواد والموارد في الخير والتنمية ، وأضرار ومثالب استخداماتها في الشر والتخريب والدمار . مثل استخدامات الطاقة والإنترنت والمعادن والأطعمة والأسمدة والكيماويات من الضرورى ربط المناهج والمقررات بالتفكير الآمن والسليم والاستخدامات المعقولة والمتزنة كى يعم الرخاء والتنمية والتقدم .

ثانياً: إعداد الأطفال والطلاب والمراهقين والشباب ندوات بأنفسهم لشرح أفكارهم ومشروعاتهم وتنظيم تلك الندوات والمؤتمرات بأنفسهم مع اشراف وتوجيه من الإدارة والمعلمين والمشرفين ، ولكن احساسهم بأن المؤسسات التعليمية تثق فيهم وفى قدراتهم وحواراتهم ومناقشتهم سيجعلهم دوماً في خدمة المؤسسة التي علمتهم التعبير عن أنفسهم دون خوف أو تهميش أو عقاب.

كما أن مظاهر الأمن الفكرى تتجلى في الحوار المستمر والسماع لكافة أطراف الحديث ، ويتعلم الصغار والكبار كيف يديرون الوقت وينظمون الجلسات بحيث يتحدث الجميع دون طمس أو تهميش أو هيمنة من جانب فرد أو نخبة . تعليم التفكير المعتدل يبدأ من الحوار والملتقيات والعروض المستمرة للأطفال والطلاب والمراهقين والشباب .

ثالثاً: الحرص على تدشين ثقافة التشجيع المستمر حتى على أبسط الأشياء المنجزة من الأطفال والمراهقين والشباب ، إذ أن استقطابهم للأعمال الكبرى يبدأ من تشجيعهم على الإنجازات البسيطة . وعدم احباطهم أو التحقير من مقولاتهم أو أفعالهم كى لا ينعزلون

ويتوحدون مع أنفسهم ويعانوا من أمراض نفسية وأخلاقية، المجتمع في غنى عنها إذ تم التعامل معهم بأساليب أخرى أكثر جذباً وتشجيعاً واستقطاباً بطرق ذكية من أجل الصالح العام .

ومن ثم دوماً العوامل والتعاملات الإنسانية والأخلاقية توفر الكثير من الخسائر المادية و الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتجذب الطاقات الهائلة من الشباب من الجنسين للعمل والإنجاز والتنمية والتعلم . أما الإحباط والخذلان والشعور بالكراهية والتعصب والجمود في المعاملات مع الأطفال والمراهقين والطلاب والشباب يجعلهم في نفور ذاتى من أنفسهم ومن السياق المحيط بهم ومن المجتمع ككل .

أي أن كل معلم وكل مسئول عن التعليم وكل قائد إذا عامل الأطفال والمراهقين والشباب داخل المؤسسات التعليمية بنفس الطرق والأساليب التي يحبون أن يتعامل بها أولادهم الذين أنجبوهم ، والتي يعاملون أبنائهم بها دوماً، فقد تنتفى المشكلات والأزمات المتعلقة بغياب الأمن الفكرى والأخلاقى داخل المؤسسات التعليمية .

ولكن قد يحدث أن ينسى المسئول أو المعلم أو القائد أو المربى أن لديه أبناء في نفس عمر الأطفال أو الطلاب أو الشباب المسئولون عنهم بحكم العمل ، ويتمادون في التصرفات والمعاملات غير الأخلاقية معهم أو القسوة في الحديث أو التهميش أو النبذ أو التنمر أو الانتهاك الجسدى أو التحرش أو العقاب المستمر ،وغيرها من التصرفات التي تدل على وجود خلل في الاتزان الفكرى لدى الإنسان وحرمان وقسوة ورغبة في الهيمنة على من هم أضعف منه. وكلها صفات لا يمكن أن تنتمى لأى دين أو قوانين أو دساتير أخلاقية .

وقد يتخذ المسئول موقفاً عدائياً ناصية الطلاب ، ويحاول وضع نظريات وفلسفات للتعامل لا يفهمها إلا هو نتيجة ما تعرض له من ألوان حرمان وتعذيب وقسوة في طفولته أو تعويض نقص لديه ، فيتعامل مع الطلاب بصلف وحذر ويرى أنه عند الاقتراب منهم أو الحديث معهم بلين ورحمة ستهتز صورته وسيستغلونه لتحقيق مصالحه .

هذه الشخصيات المريضة نفسياً لازالت توجد في المؤسسات التعليمية بكثرة سواء المدارس والجامعات وتعتلى مناصب تمكنها من تدمير أجيال بأكملها دون محاسبية أو عقاب طالما أن الحصص في مواعيدها ، وأجراس الفسحة تدق في أوقاتها ، والامتحانات في مواعيدها ، والنتائج تظهر قبل العام الجديد ، وأوراق الجودة وملفاتها تم استيفائها ، وغيرها من الإجراءات الروتينية المعروفة، أما السلامة النفسية والفكرية والسواء النفسى والاجتماعى والأخلاقى للأبناء والأطفال والشباب أضحى ليس مهماً في نظر هؤلاء المسئولين فاقدى الأهلية لاعتلاء المناصب والتعامل مع أجيال ستشكل المستقبل، وتبنى أركانه.

رابعاً: ربط مؤسسات التربية بالوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية والرقمية بحيث تكون الحياة العامة تحث على التنمية العقلية والفكرية المتزنة والمعتدلة للأفراد والمجتمع ، حيث تدشين برامج إعلامية متسقة مع ما يتم تعليمه في المدارس والجامعات من قيم تنموية وتأسيسية لبناء المواطن المبدع والمشارك والمسئول والقادر على العمل في سياق تعليمى واعلامى وتربوى واجتماعى متناغم ومتناسق ومتكامل الأركان .

أما إذا كان ثمة تنافر وتناقض بين ما يقرأه الطلاب في الكتب ويتعلمونه في المؤسسات التعليمية مع ما يحدث في مؤسسات الإعلام والمسلسلات والأفلام والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والرقمية سيحدث خلل كبير في بناء الشخصية الإنسانية .

إذ كيف يقرأ الطفل أو الطالب درساً عن الصدق والأمانة والتعاون والتآزر ثم يشاهد البرنامج المفضل له ،ويرى أطفال يلعبون ويتشاجرون مع بعضهم البعض، ويفوز الطفل الغشاش أو السارق بالجائزة أو البطولة أو اجتياز الامتحان ،والتي كان من المفترض أن يفوز بها الأمين والصادق. وكيف للفتاة التي تقرأ درساً في مقررات التعليم عن فضل الأم ورعاية الأبناء، ثم تشاهد قسوة المعلمة معها أو المديرة لمجرد أنها لم تأخذ درساً خصوصياً أو مجموعة دراسية مع المعلمة ، أو تتعسف المديرة معها لعوامل نفسية دفينة منذ الطفولة تتعلق بالغيرة والحقد والقلق على المنصب أو الرغبة في السيطرة والاستبداد كما كانت ترى

(المديرة) والدتها تفعل معها . كل هذا السياق الغير متزن يشير إلى تناقض غير مستحب ونتائج تشير بانعدام الأمن الفكرى في المستقبل .

والمنهجيات السابقة للأمن الفكرى في التعليم متجددة باستمرار وفقاً للسياقات المجتمعية المتغيرة داخل كل دولة ، فقد يتم إضافة مداخل ومنهجيات جديدة عليها بناء على التغير العالمى والمجتمعى ، وبناء على الدراسات المتقدمة والحديثة عن طبيعة البشر وسمات تفكيرهم ، وتعقيداتها المستمرة .

الفصل الثالث

منهجيات التعليم في الأمن الفكرى

الفصل الثالث

منهجيات التعليم في الأمن الفكرى

يقول **مارتن لوثر كينج** " وظيفة التعليم تتمثل في تعليم الفرد التفكير بعمق ونقد ، فالذكاء والشخصية هما الهدف الحقيقى من التعليم " .

وتقول **مارجريت ميد** " لابد أن يتعلم الأطفال كيف يفكرون ، وليس بماذا يفكرون "

ويقول **توماس بين** " بمجرد أن يضئ العقل فلا يمكن أن يعود مظلماً مرة أخرى".

ويقول جبران خليل جبران" حرية الفكر هي حياة الروح"

وبقول توماس ديوار" العقل كالمظلة ، لا يعمل إلا إذا فتح "

من خلال المقولات السابقة نسترشد أن عقل الإنسان أثمن ما خلقه الله لبنى آدم ، وأن الوعى والإدراك هما غذاء العقل ، ويتعثر تحقيق الأمن والأمان الفكرى بدون بنية عقلية رشيدة وملهمة .

والتعليم هو المشكاة الحقيقية لإنارة العقول ناصية الوعى والإدراك والتفكير الناقد .

والتعليم الجيد يحقق الأمن الفكرى بكل سهولة ويسر ، فالأمن الفكرى لا يتحقق بقواعد وقوانين وإملاءات وينبغائيات بل يتحقق بقناعات وتساؤلات ونقاشات .

وإجابات شافية عن التساؤلات تعمق الإحساس بقيمة العقل الإنسانى وأهميته .

أي أن القناعة الفكرية تستلهم من التساؤلات المستمرة للعقل الإنسانى ، والبحث عن الإجابات الوافية والكاملة لتلك التساؤلات سواء من قبل الأفراد أنفسهم بالبحث والمعرفة والإطلاع حتى يهدأ عقله وباله وفكره مما يقلقه أو ينقصه من معلومات

ومعارف لاستقرار ذهنه وطمأنته . أو طلب المساعدة من الخبراء والمعلمين والفقهاء والحكماء والمسئولين وأولياء الأمور كى يجد ضالته الفكرية بالقناعة العقلية ، وليس بالإجبار أو التهديد أو التخويف.

وهذا ما على التعليم تكريسه في أذهان المتعلمين بأن يبحثون بأنفسهم عن الأمن الفكرى من خلال الإجابة عن التساؤلات الذهنية التي تدور في عقولهم وأفكارهم .

ومن هنا تبدأ رحلة التعليم والدراسة والبحث الحقيقية فعندما يجيب التعليم عما يدور في عقول الناس ويرشدهم لطرق الوعى والإدراك والبصيرة والفهم سيتصف التعليم بالجودة والاتساق الفكرى .

إذ لا يمكن الاعتماد على مساقات ومناهج تعليمية ومقررات لا تمت للواقع بصلة ، ولا تحل مشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية وسياسية وطبيعية يعيشها الناس كل يوم ، ولا يجدون حلولاً لها في الدراسة والتعليم والمقررات التي يدرسونها .

فالمناهج الدراسية يتسنى أن تحث العقل الإنسانى على البحث دوماً عن حل مشكلات الواقع من خلال مساقات تفجر مشكلات مثل الفقر وقلة الموارد وندرتها ، والحروب ، والمجاعات ، والأمن الغذائي ، وأزمة الغذاء ، وأزمة الدواء ، وأزمة المياه ، وأزمة الموارد المالية ، وأزمة المعادن ، وأزمة الطلاق ، وأزمة التنمر ، والعنف والإرهاب ، والتعصب الفكرى .....

كل هذا من صميم عمل المؤسسات التعليمية ، فكيف نبحث عن موارد بديلة ، وينتعش الاقتصاد ، ويتحقق الأمن الوطنى ، وتتوقف الحروب العالمية ، وتحل الأزمات المتنوعة داخل الدول بدون تنمية التفكير لدى الأطفال والطلاب منذ

بدايات السلم التعليمى على ضرورة وضع حلول لكل تلك المشكلات الحالية ، والبحث عن بدائل وموارد جديدة ، وكيفية معالجة تلك الأزمات .

ما فائدة التعليم إن كان يستهلك في مقررات ومساقات لا تحل أزمات ومشكلات وقضايا مجتمعية ؟ ما فائدة التعليم مالم يشحذ عقول الطلاب على البحث عن حلول ومشاركتهم في حلها في نطاق مؤسسى صغير في البداية على مستوى المدرسة أو الجامعة ثم مشاركة أوسع في المجتمع كل في قطاعه ومجاله ؟

لهذا فالتعليم دوره الحقيقى ليس في عرض نظريات وتجارب ماضوية أو حالية فحسب عن العلوم الطبيعية والإنسانية والفلك والهندسة والطب والرياضيات واللغات ، والتكنولوجيا ، وإنما إعمال العقل في توظيف تلك النظريات والخبرات والتجارب الماضوية والحالية في حل مشكلات وأزمات نعيشها بالفعل ويعيشها الطفل والطالب والمراهق والشاب والكبير والكهل .

أي أن في كل مقرر تعليمى نجعل الطالب يجيب عما يدور في ذهنه ولم يستطع التعبير عنه مثلما يدور في ذهن كل طفل فقير لماذا أنا فقير وزميلى غنى ولديه أموال ؟ وكيف يمكن أن أصبح غنى ومعى أموال ؟ وكيف يستطيع أبى شراء لى كل ما أريد ؟

أليس في ذهن كل طفل أو طالب أو شاب فقير سواء ولد أو بنت يدور بخلدهم هذه التساؤلات دون النطق بها خجلاً أو خوفاً أو حزناً؟

لماذا لا يتم مناقشة كل هذا في مساقات التعليم للبحث عن حول وتعويد الأطفال على البحث عن حلول لطمأنينة عقولهم وهدوء بالهم من التساؤلات المسكوت عنها في أذهانهم ؟

وعند طرح مشكلة الفقر في المناهج التعليمية والبحث عن حل لها من خلال تعويد الطلاب على البحث والتفكير الناقد سيجدون أن ثمة أمل في تغيير أوضاعهم للأفضل ، وأن يتعودوا الادخار وتحديد مواردهم الفعلية ، وكيف يستثمرون أوقاتهم في عمل مشروعات بسيطة تدر لهم أرباحاً ، وكيف تساهم المدرسة في هذا وتساعدهم على إنتاج أشياء بسيطة وبيعها أو عمل معارض ومشروعات وغيرها من الأمور التي تحقق الأمن الفكرى والهدوء العقلى والاتزان وتقليل الثورة الفكرية والتساؤلات اليومية والمسكوت عنها في عقل كل طفل فقير .

في البداية تكون الموضوعات بسيطة ، ثم تتعقد ، وتتعقد أدوات البحث شيئاً فشيئاً للبحث عن حلول عميقة ومستديمة للمشكلات والأزمات المجتمعية . ومن هنا تصدق المقولة التي تقول " خذوا الحكمة من أفواه الصغار" نعم الأطفال والطلاب والشباب لديهم الكثير لفعله ولكن عند توجيهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح المتزن الذى يسخر تساؤلاتهم وطاقاتهم الكامنة ناصية حلول تنموية مذهلة .

لهذا نؤكد في كل محفل علمى على أهمية الثقة في قدرات أبنائنا وطاقاتهم المذهلة ، وعدم إضاعتها هباءاً في أمور غير مفيدة نتيجة مناهج عقيمة لا تشدهم للواقع وحل مشكلاته وأزماته.

نظرة سريعة على الأطفال الذين أضحوا رواد أعمال ورجال أعمال عندما تركوا المدرسة وبحثوا عن التساؤلات التي تدور في أذهانهم في أعمال مفيدة أراحت أذهانهم ، وحققت لهم الأمن الفكرى والمادى والاجتماعى والنفسى .

إليكم بعض القصص لأطفال أصبحوا رواد أعمال ورجال أعمال :-

1-مايكل سايمونز Michael Sayman : ولد عام 1996 في فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية، بدء العمل وهو في سن 13 عاماً ، تعلم البرمجة بنفسه ، وأنشأ تطبيقات على متجر APP Store وحقق أرباحاً كبيرة ، وقد لفت انتباه شركات كثيرة مثل Facebook وتم توظيفه في عمر 17 عاماً. وترك المدرسة للتركيز في أعماله التكنولوجية .

2-فريزر دوهرتى Fraser Doherty ولد في اسكتلندا في المملكة المتحدة بدء العمل في سن 14 عاماً ، بدأ في مصنع للمربى في مطبخ جدته ، وبدأ يبيعها للجيران ، وأسس لاحقاً شركة Super Jam التي أصبحت تبيع منتجاتها في أكبر المتاجر البريطانية . وترك المدرسة في سن 16 عاماً للتركيز في مشروعه.

3-آشلى كوالز Ashley Qualls ولدت في ولاية ميتشغان ، بدأت العمل في سن 14 عاماً وأنشأت موقعاً إلكترونياً لتصميم ملفات شخصية My Space ، وحقق ملايين الزيارات ، ورفضت عروض لشرائه بملايين الدولارات ، وقد تركت المدرسة الثانوية بسبب نجاحها في التكنولوجيا.

4-تايهى كوبايشى Taihei Kobayashi : ياباني الجنسية ولد عام 1990أسس مشروعه في سن 22 ، بعد أن ترك المدرسة في عمر 17 عاماً، وأسس فرقته الموسيقية ليصبح الرئيس التنفيذي لشركة Sun Inc والتي وصلت قيمتها التسويقية إلى مليار دولار أمريكى.

5-جاك ما Jack Ma: من الصين ولد عام 1964 ، بدأ العمل المهنى مبكراً وواجهه العديد من الفشل ، ثم أسس شركة على بابا في عام 1999، والتي أصبحت واحدة من أهم المنصات العالمية للتجارة الإلكترونية عبر العالم ، وقد بدأ ومعه فريق صغير ومن غرفة معيشته ، واستطاع التغلب على جميع الصعوبات التي واجهته.

6-جونغ تاو Zhong Tao ولد في الصين عام 1993 ، وأسس شركته الخاصة في سن 22 ، وهى شركة تعمل في مجال الذكاء الاصطناعى وتكنولوجيا التعلم الآلى ، وكان له دور كبير في تطوير تلك التقنيات في الصين.

7-موتوجيما هيمواري Motojima Himawari ، من اليابان بدأت مشروعها في سن المراهقة ، حيث أطلقت مشروع Fridge Project لمساعدة الفقراء الحصول على الطعام ، وذلك أثناء دراستها في المرحلة الثانوية في طوكيو.

جميع القصص السابقة لأطفال كانوا يراودهم تساؤلات كثيرة ، وجدوا الإجابة عنها في المجتمع وليس في المقررات والمناهج وقاعات الدراسة ، وإنما فكروا في البحث عن الإجابات في استثمار مهاراتهم وقدراتهم العقلية في حل مشكلات أساسية داخل المجتمع حيث ساعدوا المجتمع في انجاز مشروعات ضخمة ساهمت بدورها في حل أزمات اقتصادية واجتماعية وتعليمية وفنية وتكنولوجية داخل المجتمع والعالم أجمع.

هذه هي عقول الأطفال والمراهقين والشباب التي لا يجب الاستهانة بها في تحقيق التنمية الفكرية ، والتنمية المستدامة للمجتمع ككل .

أما صب عقولهم بالمعلومات والمعارف والينبغائيات دون السماح لهم بالتساؤل والبحث عن إجابات لتساؤلاتهم المستمرة في صورة إنجازات حقيقية فهذا لا يحقق أي تنمية فكرية أو مهنية لهم أو استدامة حقيقية للمجتمع .

لهذا فالمناهج والمقررات والاستراتيجيات لابد أن تضع تساؤلات تتعلق بمشكلات المجتمع وأزماته ، وتطلب من الأطفال والطلاب والمراهقين والشباب والكبار البحث عن حلول لتلك المشكلات التي هي جزء من تساؤلاتهم الكامنة في عقولهم منذ النشأة.

ومن ثم فالطفل طوال مراحل تعلمه عندما يجد السياق التعليمى يحاول التفكير فيما يفكر فيه ووفقاً لمرحلته العمرية ووفقاً للمجتمع الذى يعيش فيه بكل مشكلاته وقضاياه ويعرضها له بشفافية في كل مقرر يدرسه سيشعر الطفل والمراهق والشاب أن المدرسة والجامعة والأسرة مؤسسات تعليمية لا غنى عنها ولا يمكن تجاوزها لأن بهم إجابات عما يدور في أذهانهم وفقاً للمواقف الحياتية التي يتعرضون لها . وليس مجرد مقررات ومناهج صماء لا تتماشى ما يحدث في السياق المجتمعى والعالمى .

على سبيل المثال في دروس العلوم مثل الكيمياء والفيزياء والأحياء لماذا لم يتم ربط الموضوعات بفقر الموارد والمعادن والطاقة ، وجعل الطلاب يبحثون في أرض الواقع والدراسات الميدانية ، والبحوث العلمية ، والمقالات والندوات عن حلول لتلك المشكلات ، وتقام المسابقات الدورية لعرض البدائل والحلول الممكنة للطلاب بحضور مسئول في مجال الموارد المائية ، والطاقة المتجددة ، والمعادن وغيرها .

فهذا سيجعل التعلم حقيقياً بدلاً من حفظ نظريات وتواريخ وصبها في أوراق الإجابة بنهاية كل ترم .

وبالمثل في مجالات الرياضيات والجبر والهندسة لماذا لم يقم الطلاب بتصميم هياكل لمنشآت ، أو تصميم مبتكر للطرق والمواصلات والكبارى ، ويتم عقد مسابقات لأفضل مدرسة أو كلية تقدم مشروعات في التصميمات الهندسية وفقاً للحسابات الرياضية والخوارزميات الحديثة ؟

كما يمكن أن يقوم الطلاب في المدارس والجامعات بزيارة مواقع فعلية ميدانية والتدريب من خلالها لمعرفة المقاييس والحسابات وأصول البناء والتشييد . فبدلاً من أن يحفظ الطالب المعادلات والخوارزميات الجبرية والهندسية للعلماء يقوم بالتصميم بنفسه ويطبق ما درسه بشكل عملى ومفيد له وللمجتمع أيضاً.

بل بالعكس يمكن للطلاب أن تكون بحكم بيئاتهم المتنوعة لهم وجهات نظر في شكل التصميم وفقاً للبيئة التي يتم التشييد عليها ، فتصميم مبان لبيئة ساحلية يختلف عن الصحراوية ، ويختلف عن الزراعية ، ويختلف عن الحضرية وهكذا . وهذا سيفيد كثيراً صناع القرار في أصول التشييد والبناء على علم ودراسة بالبيئات المتنوعة .

وفى مجال العلوم الإنسانية التاريخ والجغرافيا والفلسفة واللغات لماذا لم يشارك الأطفال والطلاب في المدارس والجامعات في عروض المتاحف الدولية والمحلية ؟، ويكون لهم وجود من خلال التطبيقات الذكية للترجمة لجميع لغات العالم ، وكتابة المخطوطات الإرشادية للسائحين ، وزيارة متاحف العالم وليس فقط

المتاحف العالمية ، ويكتبون المقالات والتقارير عما شاهدوه وما استفادوا منه من تلك الزيارات المحلية والعالمية .

إذ أن التبادل العلمى والمعرفى مطلوب ليس فقط للمعلمين والأساتذة بل للطلاب أيضاً . فتلك الزيارات ستعمق فهمهم للعالم وعظمة الأصول والمقدسات التاريخية وأهمية الحفاظ على الحدود الجغرافية لكل دولة وصيانتها من أي اعتداء أو محاولات تهديد لأمنها القومى والوطنى .

كل هذا لا يتم غرسه بالحفظ والتلقين للمعلومات من خلال الكتب وحسب ، وإنما يجب أن يشاهد الأطفال والمراهقين والطلاب كل هذا بأعينهم كى يؤمنوا بأهمية التعليم والأمن الفكرى في أوطانهم ويشبوا على وعى وإدراك لا على كره واجبار .

وفى مجالات الفنون والصناعة والزراعة والتجارة والتكنولوجيا لماذا لا تمثل المدارس الفنية بمجالاتها المتنوعة ، والجامعات الفنية والتكنولوجية في التنمية المستدامة للدولة وتكون لها مشروعاتها المتميزة محلياً ودولياً ، ومعارضها التسويقية في كل مكان سواء داخل الوطن أو خارجه ؟

فالطلاب في مثل هذه السن لديهم طاقات هائلة للإبداع والابتكار والإنتاج المثمر والمفيد ، لهذا فيتسنى أن يحققوا ذواتهم بمشروعاتهم الابتكارية ويكون لهم دور حقيقى في المجتمع المحلى والدولى على السواء بمعارضهم الفنية وابتكاراتهم التكنولوجية المبدعة والتي تحل مشكلات لا حصر لها وتوفر الجهد والمال والوقت وتدر أرباحاً كثيرة بالمثل عليهم وعلى الدولة على السواء.

وبدلاً من أن يكون اليوم الدراسى في هذه الحالة محدد بوقت زمنى يجد فيه الطالب أو الطفل او المراهق أو الشاب لديه وقت فراغ كبير لا يعرف استثماره ،

فإن الدولة تضع حدود لانهائية من أجل استثمار طاقات الأطفال والمراهقين والشباب دون قيود الزمن أو أية عراقيل أخرى .

وهذا يتطلب مرونة كبيرة في التعامل خاصةً مع الموهوبين والمبدعين والأذكياء من الأطفال والطلاب والشباب من أجل اطلاق ابداعاتهم الفكرية لتصبح واقعاً ممكناً يخدم قطاعات التنمية المتنوعة .

فالطلاب بحاجة إلى تواجد دائم في المصانع لمشاهدة عمليات التصنيع ، سواء للمواد والمعادن أو الدواء أو الغذاء أو النسيج أو غيرها من المجالات ، ولهذا فلا يتطلب هذا جدول محدد للتواجد في المدرسة أو الجامعة أو غيرها من الأمور الروتينية ، فضلاً عن أن أساليب التقويم والتقييم ستختلف في تلك الحالة ويتم وضع اختبارات فيما أنجزه الطلاب والطالبات ، وليس فيما هو مكتوب وعليه حفظه واسترجاعه .

وهذه الأمور كلها تتم بشكل محدد مع المسئولين والقيادات كى لا يتم اهدار طاقات بشرية مفيدة للمجتمع بشكل كبير . وكى لا يشعر هؤلاء الطلاب والطالبات باليأس والإحباط وعدم جدوى التعليم مالم يطبقوا بأنفسهم ما يتلقونه من نظريات وأفكار مجردة وتنظيرية. وقد أشارت الأمثلة السابقة للأطفال الذين تركوا التعليم وحققوا طموحاتهم وأصبحوا رواد أعمال ناجحين بعد أن وصمهم التعليم بالفشل في التحصيل الدراسى والأكاديمى.

لذلك دمج التعليم بالمجتمع ومؤسساته ضرورة قومية كى يتم استثمار طاقات الأطفال والطلاب والشباب وتحقيق أفكارهم الإبداعية ، وكى يتحقق الأمن الفكرى في صورته العملية وليس النظرية أو الكتابية .

أي أن التعليم له دور بالغ الأهمية في تحقيق الأمن الفكرى ، وليس فقط الدولة وحدها القادرة بأجهزتها المختلفة على تحقيق الأمن الفكرى . فالتعليم هو المفتاح الرئيس لتحريك كافة أجهزة الدولة والمجتمع ومؤسساتها ناصية السلامة والأمن الفكرى .

ويمكن فهم مداخل التعليم التعليم ومنهجياته في الأمن الفكرى كما تطرقنا إلى منهجيات الأمن الفكرى في التعليم في الفصل السابق على النحو التالى :-

المنهج الأول : **الاحتواء الاجتماعى** Social inclusion

تناولت العديد من الدراسات موضوع الاحتواء الاجتماعى بالبحث والدراسة المتعمقة ، وشرحت أهمية ادماج كافة طبقات وأطياف المجتمع في بوتقة التنمية والخدمات المتنوعة للمجتمع ، وعدم اغفال أي فئة أو تهميشها أو استبعادها من الحقوق والخدمات اللازمة لكافة شرائح المجتمع .

أي أن كل الأطفال في سن الإلزام التعليمى يجب أن تستوعبهم المؤسسات التعليمية بكافة الطرق المباشرة وغير المباشرة ولا تترك طفل واحد خارج نطاق التعليم .

والتعليم هنا ليس المقصود به المؤسسات الرسمية وفقط ،وإنما أهمية رعاية واهتمام المؤسسات غير الرسمية بالمثل والتي قد يكون دورها أكبر في جذب شرائح فاتت فرصة التعليم داخل المؤسسات الرسمية سواء كانوا أطفال أو مراهقين أو شباب .

إذ مهما كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأفراد فالتعليم أمن قومى ، ومسئولية تقع على عاتق الدولة وليس الأفراد سواء كانوا فقراء أو متوسطى الحال

أو أغنياء . فالفرصة التعليمية ليست حكراً على طبقة دون غيرها داخل مؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية .

وكلما توسعت الدولة في المؤسسات غير الرسمية لاحتواء الفتيات والنساء والأطفال والمراهقين والشباب من الجنسين وكبار السن وتقديم برامج تعليمية مناسبة لأعمارهم وتتفق مع ثقافة المجتمع كلما تحقق الأمن المجتمعى داخل الدولة الذى يعد الأمن الفكرى جزء منه .

فهذا الاحتواء الشامل أو الفرص البديلة من جانب القطاع الثالث للدولة ممثلاً في المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدنى والسماح لهم بتوفير فرص تعليمية مجانية لكل من فاتتهم فرص التعليم الرسمية لظروف مجتمعية أو سياسية أو هجرة أو مرض أو ظروف قهرية يمكن تعويضها دون شرط السن أو المكان أو الزمان ، لأن تنمية الوعى الفكرى والإدراك لا عمر له ولا سن له .

وقد كثرت الحوادث الأخلاقية من بعض كبار السن تتعلق بالتحرش الجنسى للأطفال ، والاغتصاب للفتيات والأبناء ، وقتل الأزواج والزوجات وغيرها من الأمور التي انتشرت بشكل يدعو لسرعة التدخل وتعليم الفئات التي حرمت من التعليم وبث الوعى والإدراك كى يكونوا على علم بالقوانين والثقافة المجتمعية ، وكى لا يمارسون هيمنة فكرية وتعصب على الصغار وإرغامهم على فعل الموبقات والفواحش كالسرقة ، والبغاء ، وغيرها من الأمور .

الفرص البديلة للاحتواء الاجتماعى حلول مجتمعية لتحقيق السواء الفكرى والنفسى والاجتماعى للأفراد والمجتمعات كى يسلكوا بشكل رشيد وناضج مهما كبروا في العمر أو لم يلتحقوا بالتعليم في صغرهم . وكلما كانت الفرص البديلة للاحتواء في

أماكن معيشتهم وفى السياق من حولهم كلما تفتحت مداركهم العقلية ، وزادت مساحة الحوار الفكرى داخل الأسرة والحى والمنطقة ، وقلت الجرائم الأخلاقية البشعة التي نسمع عنها كل يوم ، وننده ش مما يفعله كبار السن فاقدى الوعى والنضج الفكرى بل الأمن الفكرى .

وفى دراسة حديثة بعنوان " الاتجاهات العالمية في الاحتواء الاجتماعى وسياسات الاحتواء الاجتماعى : مراجعة منهجية وأجندة بحثية " Global Trends in Social Inclusion and Social Inclusion Policy: A Systematic Review and Research Agenda أكد المؤلفان على أن الضغوطات الاجتماعية الأخيرة عمقت من الاستبعاد الاجتماعى للعديد من الجماعات المهمشة ، لذلك تربط الدراسة بين الاتجاهات العالمية في الاحتواء الاجتماعى وبين السياسات المتبعة للاحتواء الاجتماعى على الصعيدين الوطنى والدولى . وأكدت على ضرورة الاهتمام بمن يعانون من الاقصاء الاجتماعى ، وضرورة تدخل المنظمات الدولية حيث قد تؤثر القوى الاجتماعية الناشئة بشكل سلبى على الفئات المهمشة.

وأكدت الدراسة على أن التعليم وبرامج الدعم والتوظيف للفئات المهمشة خاصة في دول الشمال الأوربي وكندا تسهم في تعزيز الاحتواء الاجتماعى لتلك البلدان .

كما أبرزت الدراسة أن الإقصاء لم يعد اجتماعياً وحسب بل اصبح اقتصادياً ، ورقمياً أيضاً بعد التقدم التكنولوجى الهائل .

وقد انتهت الدراسة إلى أن مفهوم الدول عن الاحتواء الاجتماعى ليس ثابتاً بل يرجع لطبيعة كل دولة ، وقد ترى بعض الدول أن الاحتواء الاجتماعى يتضمن المشاركة الاقتصادية والمشاركة في سوق العمل ، واتباع سياسات ضمان اجتماعى تكفل ذلك لكافة المواطنين . وقد ترى دولة أخرى أن سياسات الاحتواء الاجتماعى تشمل الرفاهية الاجتماعية والديمقراطية والوصول الشامل لكافة الخدمات .

وقد بينت الدراسة مدى التخبط والتشتت في تحقيق سياسات الشمول والاحتواء الاجتماعى من حيث وجود صراعات بين المناهج التي تسعى إلى إدماج الفئات المهمشة ضمن الهياكل المجتمعية القائمة ، وبين مناهج أخرى تدعو إلى إعادة هيكلة جذرية لضمان تحقيق الشمول والاحتواء الاجتماعى للجميع . الأمر الذى يستدعى أهمية التفكير في السياسات المستقبلية للاحتواء والشمول الاجتماعى من أجل التخفيف من حدة تلك التوترات(Brik&Brown2024).

من هنا نجد أهمية الاحتواء الاجتماعى في تحسين الحياة المجتمعية، وتحقيق الأمن الفكرى والإنسانى فشعور الأفراد أنهم دوماً مندمجين وممثلين في المجتمع والدولة من خلال التعليم والمشاركة في كافة المجالات الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والطبية والدينية والصناعية والهندسية يجعل تفكيرهم دوماً سليماً ومنتجاً ومبدعاً ، وفى كل ما يخدم المجتمع والدولة دون تعصب فكرى أو جمود .

المنهج الثانى : الممارسة المنتجة Productive practice

عندما تسأل أي انسان قادر على الفعل والإنتاج ويتمتع بالسمات الصحية والجسمية والعقلية ، هل تريد أن تشارك معنا في العمل والإنتاج ؟ يرد على الفور نعم أريد فلا أحبذ الجلوس بدون مشاركة أو انتاج حقيقى .

هذه هي الطبيعة الإنسانية ترغب دوماً في التغريد والعمل كتفاً بكتف مع الأفراد والجماعات والمجتمع ككل . ولهذا فالتعليم الحقيقى الذى يدعم الممارسة المنتجة بمعنى الإسهام المثمر في كل ما يتعلمه الطفل والصبى والمراهق والشاب والكبير ، وأن يكون ثمة صدى فعلى لما تعلمه في صور كثيرة يشعر بها السياق المحيط والمجتمع ككل ، مثل اختراع جديد أو رواية جديدة ، أ تصميم جديد أو تطبيق يسهل معرفة أوقات الأنشطة الصفية واللاصفية ، ولافتات إرشادية للأماكن والطرق وأنواع البيئات ،وأماكن الخطر ، ومشروعات منتجة كالأطعمة

والملابس والجلود واللوحات الفنية ، والتطريز والطلاء والزخرفة باستخدام البرامج التكنولوجية المتنوعة .

فالمؤسسة التربوية المنتجة فكرياً ، تخلق مجتمع منتج بالمثل ، فالإنتاج ليس مادى فحسب، الإنتاج يبدأ في الذهن ويتحدد نوعه وكفائته واستدامته بالمهارات والجدارات التي يمتلكها الأفراد على مدار سنوات حتى يصبح مواطناً منتجاً ومثمراً داخل مجتمعه .

فالإنتاج قد يكون علمياً وإبتكارياً، وقد يكون تكنولوجياً، وقد يكون صناعياً ، وقد يكون طبياً ، وقد يكون تجارياً ، وقد يكون فنياً .....فلا حدود للإنتاج وأنماطه ، بل إن شخصية الإنسان تتحدد من نمط الإنتاج الذى يبدع فيه ويتطور معه خلال سنوات التمدرس والتعلم والتدريب . ومن ثم لا وقت أمام الطلاب إلا اثبات ذواتهم وعقولهم المنتجة ، التي لا تفكر إلا في الإنجاز والإنتاج والعمل وإثبات أنهم بشر على قيد الحياة ولهم انتاجهم الفكرى الذى يشكل الحضارة الإنسانية فيما بعد للمجتمع والدولة .

لهذا فإن الممارسة المنتجة في التعليم ومؤسساته تحقق الأمن الفكرى بشكل تطبيقى وعملى ، وتقلل الجهود المبذولة من قبل الدولة في تتبع الانحرافات الفكرية والأخلاقية والأمنية ذلك لأن الإنتاج والعمل داخل المؤسسات التعليمية تجذب الأطفال والطلاب والمراهقين والشباب إلى العمل الدائم والمثمر حينئذٍ ليست الدولة بحاجة إلى البرامج المتبعة للحماية الأمنية طالما المؤسسات التربوية تؤدى دورها بكفاءة في حماية الأمن الفكرى من الانحراف والتشتيت والاستقطاب والاستلاب الذهنى .

وفى دراسة حديثة في مصر عن الجامعة المنتجة بعنوان " متطلبات تفعيل الجامعة المنتجة في ضوء استراتيجية التنمية المستدامة : رؤية مصر 2030 " عرفت الدراسة الجامعة المنتجة بأنه لا يتعارض مع مفهوم الجامعة ، وإنما يتعداه لممارسة الأنشطة الإنتاجية المناسبة للعملية التعليمية ، ومتابعة مشاكل الإنتاج في حقل العمل الأمر الذى يحقق لها موارد مالية إضافية ، ويقلل من اعتمادها على التمويل الخارجي ، ولكن مفهوم الجامعة

المنتجة ليس معناه تحويل الجامعات إلى شركات تجارية استثمارية ، لأن وظائف الجامعة معروفة في البناء المعرفى والبحثى والخدمى وتنمية المجتمع . وكل جامعة بإمكانها الأخذ بنموذج الجامعة المنتجة حيث الاستفادة من الخبراء والكوادر العلمية والبحثية ، والمختبرات والثروات العلمية في مشروعات إنتاجية تخدم المجتمع " (خطاب & الميهى 2021، 421).

كما يؤكد مفهوم الجامعة المنتجة على زيادة حجم الأنشطة الإنتاجية للجامعة ورفع الكفاءة الداخلية والخارجية للتعليم الجامعى من خلال تسويق المنتجات الجامعية وخدماتها وامكاناتها البحثية والمادية لتوفير موارد إضافية للجامعة ، فضلاً عن حل المشكلات الإنتاجية في المجتمع وتحقيق التقدم الاقتصادى داخل المجتمع(خطاب & الميهى 2021، 431).

وقد أكدت الدراسة على أن أهم أدوار الجامعة المنتجة هي التعليم المستمر ، والبحوث التعاقدية ، والاستشارات العلمية والفنية ، والاهتمام بالبحوث التطبيقية ، والدراسات المسائية ، والتطوير والابتكار وريادة الأعمال ، والتعليم المفتوح ، والتعليم عن بعد ، والدورات التدريبية ، والمشروعات .

كما رصدت الدراسة أهم المتطلبات لتحقيق الجامعة المنتجة منها متطلبات تشريعية بحيث يتم وضع قوانين تسهم في قدرة الجامعات على تلبية احتياجات سوق العمل ، ومتطلبات تعليمية بحيث توفير برامج تعليمية تتيح للمتعلم استثمار قدراته وكفاءاته الشخصية ، توسيع مسئولية الجامعة لتعمل خارج نطاق الحرم الجامعى ، وإنشاء مدارس للتميز ومراكز ريادية داخل الجامعات لإعداد جيل من المبدعين والمبتكرين يمتلك مقومات البحث العلمى والتطوير ، ومتطلبات خاصة بالبحث العلمى من حيث إنشاء مراكز للاستشارات العلمية داخل الجامعة ، وتشجيع الطلاب على البحث العلمى والإبداع العلمى ، والتعاون بين المراكز البحثية والمؤسسات الصناعية الأمر الذى يسهم في صياغة السياسة العامة للدولة ، ومتطلبات خاصة بخدمة المجتمع من حيث تحويل الوحدات الأكاديمية بالجامعات المصرية إلى وحدات بحوث إنتاجية في مجالات العمل والخدمات المتنوعة ، وتقديم المشورة العلمية

والفنية لكافة قطاعات المجتمع ، ودعم وتمويل مشروعات تخرج الطلاب من قبل رجال الأعمال ، والربط بين الجامعات الحكومية والجامعات الخاصة ومؤسسات المجتمع المدنى والقطاع الخاص من أجل تخريج مواطنين يلبوا احتياجات سوق العمل من الوظائف (خطاب & الميهى 2021، 434،433).

ويربط عبد القادر والفار في دراستهما (2021) بين الجامعة المنتجة والتفكير المنتج ، ويؤكدا على أن الجامعة المنتجة لها دور بالغ الأهمية في تنمية التفكير المنتج .حيث تساعد مهارات التفكير المنتج المتعلمين الخروج عن أنماط التفكير التقليدي ، والابتعاد عن التلقائية أو العفوية أوالتسرع عند اتخاذ القرارات المصيرية . وتلعب الأنشطة المقصودة داخل المؤسسة التعليمية دوراً مهماً في توليد الأفكار وانتاجها ، والمشاركة الإيجابية من خلال بيئة تعلم تمكن الطلاب من التفاعل والإدلاء بأفكارهم وأطروحاتهم والسماح لهم بالحديث والتعبير عن أفكارهم بحرية .

ويعرف الباحثان التفكير المنتج إجرائياً " مقدرة الطالب في المرحلة الجامعية على التفاعل الذهنى مع القضايا والمشكلات التي يتعرض لها موظفاً ما لديه من خبرة بغية اكتشاف علاقات جديدة والتوصل لحلول غير تقليدية ، تشبع احتياجاته التعليمية ، وتلبى احتياجات مجتمعه، وتشمل بعض المهارات " تحديد القضية ، البحث عن بدائل ، تعديل القرار ، اتخاذ القرارات" (ص510). وتوصلت الدراسة إلى ضرورة إتاحة الفرصة للطلاب للتفكير الإيجابى مما يشجعه على إنجاز المهام والأنشطة البحثية الرقمية ،والإبداع فيها ، فضلاً عن اكسابه المهارات البحثية المحفزة مثل المثابرة ، والجد والاجتهاد ، والتقييم ، والتفكير في التفكير .

كما توصلت نتائج الدراسة إلى تنمية مقدرة الباحث على إضافة تفاصيل جديدة ومتنوعة لفكرة أو حل المشكلة ما ، وتنمية مقدرته على إصدار الأحكام واتخاذ القرارات في ضوء الأهداف البحثية ، والاستعداد لتعديل الموقف أو القرار عند وجود معطيات وأدلة جديدة ، واستيعاب تقبل وجهات النظر المتنوعة والاختلافات حول الأشياء والموضوعات والأفكار (ص525).

من هنا يمكن استخلاص أن الممارسة المنتجة داخل المؤسسات التعليمية تعتمد بالأساس على تنمية التفكير المنتج Productive thinking ، وأيضاً التفكير الإيجابى Positive thinking

إذ كلاهما يكونا بشكل رئيس الشخصية المنتجة والعقل المنتج والمنجز. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون العقل المنتج الإيجابى عقلاً فاسداً أو مشوشاً أو يحوى أفكار هدامة ، لأن ما ينتجه سيعبر عن الثمار الفكرية التي زرعت وغرست في العقل الإنسانى الإيجابى ، والتي طرحت إبداعات مذهلة لا مثيل لها .

أما نوعية العقول التي غرست فيها بذور فاسدة ، وطرحت أفكار مدمرة وثمار طالحة لا تنم عن إبداع أو عبقرية صاحبها بل تدل على بذور الشر الكامنة في الشخصية المدمرة Destructive personality والتي تستهدف الشتات الفكرى والفرقة بين البشر والهيمنة والتسيد بأفكار شيطانية وخبيثة من أجل الاستبداد والهيمنة الأبدية على البشر . وهذه العقول المدمرة المريضة ليست مبدعة ولا منتجة ولكنها تستغل كل الإمكانات والأفكار الإبداعية والإنجازات التي طرحها آخرون من أجل تحويلها إلى مسارات الشر والتدمير والفرقة وانتزاع الحقوق الإنسانية كما يحدث في حالات الاحتيال والنصب والقتل والإرهاب الفكرى والتسلط والحروب واستغلال الثروات والمعادن والأموال في الشر والحروب والفتن وغيرها من الأمور التي تنزع الأمن الفكرى والوطنى عن الشعوب والمجتمعات من أجل أن يكون الجميع تحت سيطرة العقول المدمرة التي يوسمها علماء النفس بالعقول المريضة المدمرة .

لهذا فالتعليم يعد حلاً لكل مشكلات التفكير التي تنجم عن غير الأسوياء أو المرضى النفسيين بحكم النشأة والسياق أو الظروف المؤلمة والقاسية التي مروا بها سواء حرمان أو قسوة أو تعذيب أو تشريد . وكما كررنا في فصول سابقة الخطورة في أن مثل تلك العقول المدمرة يتم التغاضى عن أفعالها وتتقلد مناصب وتصبح من القيادات المدمرة لأجيال بكاملها وللمرؤوسين دون أن يشعروا أنهم مدمرين وغير أسوياء ويقتلون كل سبل تحقيق الأمن الفكرى، ومن ثم الأمن المجتمعى .

وعن المدرسة المنتجة فقد تطرقت العديد من المشروعات بشأن إنتاجية المدرسة ، وتعدد الدراسات التي تتناول مشروعات المدرسة المنتجة . ومفهوم المدرسة المنتجة يشير إلى المشروعات التعليمية التي تتم داخل المدرسة بهدف إكساب المتعلمين ثقافة العمل والإنتاج والإتقان والجودة في كل شيء ينتجونه ، حيث ترتبط فكرة المدرسة المنتجة بالتنمية وربطها بالمجتمع المحلى ، من خلال التدريب على المشروعات الإنتاجية الصغيرة المدرة للربح وترسخ قيم العمل والإنتاج المثمر ، وتكمن رسالة المدرسة المنتجة في بعدين أساسين بعد تعليمى ، وبعد إنتاجى . أي تستهدف المدرسة المنتجة تبنى مشروعات ومبادرات تعليمية يقوم بها الدارسين بأنفسهم في مجالات متنوعة علمية وتكنولوجية وصناعية وفنية وتجارية من أجل صقل مهاراتهم وخبراتهم واطلاق إبداعاتهم ومعرفة مواطن التميز والتفوق لديهم وتنميتها لتصبح عملاً لهم في المستقبل وبعد التخرج (الحبسية وآخرون 2024 ، ص 8).

لهذا فالمدرسة المنتجة ترحب بالمعارض الدائمة داخل المدرسة والتي من إبداعات الأطفال والطلاب والمراهقين والشباب ، والتي تبدأ بأشياء بسيطة مثل تأليف قصص ، وروايات ، وأبحاث علمية، وترجمات ، واختراعات ، ومصنوعات يدوية ، ومصنوعات جلدية ، وتصميم هياكل سيارات وعربات وموتوسيكلات ، وتطبيقات ذكية ، وسلع معمرة من خلال المدارس التقنية والفنية والمهنية ، وتصميم معادن ثمينة مثل الذهب والفضة ، والأحجار الكريمة ، وكلها مهارات وخبرات يكتسبها الطلاب بالمدرسة المنتجة ، ويحتاج إليها سوق العمل المحلى والعالمى على السواء .

ومثل تلك المشروعات الصغيرة الإنتاجية تتواصل مع الطلاب في مرحلة الجامعة والدراسات العليا لتكون جزءاً من مشروعه العملى الذى سيواصله بعد التخرج من الجامعة . أي أن الوظيفة المهنية للفرد تتحدد في المدرسة المنتجة والجامعة المنتجة من خلال معرفة قدراته وطاقاته ومواطن الإبداع والابتكار لدى الطفل والمراهق وتنميتها حتى يصبح مواطناً له دور حيوى ومعروف في المجتمع بناء على قدراته التي نمت داخل المدرسة المنتجة والجامعة المنتجة .

أي أن فلسفة المدرسة المنتجة تقوم على توفير مصادر تمويلية جديدة عن طريق تحويل المدرسة إلى وحدات منتجة ذاتية التمويل . وهذا ما دعمته دراسة المهاينة ، والزبون بعنوان " تحويل المدارس الأردنية العامة إلى مدارس منتجة استناداً إلى الإتجاهات العالمية المعاصرة".

وقد أكدا على أن فلسفة المدرسة المنتجة تربط بين الدراسة والعمل المنتج ، أي الاستفادة من المقررات والمناهج الدراسية في مشروعات إنتاجية تصقل مهارات وإبداعات المتعلمين .

كما أشار الباحثان إلى أن نظريات اقتصاديات التعليم في رفع كفاءة وانتاجية التعليم تؤكد على أهمية ربط المدرسة بالمجتمع ، وتحويلها إلى وحدة منتجة وحاضنة للابتكار والإبداع واكتشاف العلماء والموهوبين والطاقات الهائلة للمتعلمين ، واستثمار طاقاتهم الذهنية والعملية في أشياء مفيدة تنمى مهاراتهم وجدارتهم. ولهذا تجمع المدرسة المنتجة بين التعليم والتدريب من أجل العمل والإنتاج . كما أن فلسفة المدرسة المنتجة تحول الدارسين تدريجياً من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج ، وبهذا تقل مشكلات تتعلق بالفقر والبطالة والانحراف وغيرها (المهاينة & الزبون 2022).

من هنا يتضح أن فكرة المؤسسة المنتجة تؤسس لفكر منتج وعملى ، ويسعى لخدمة نفسه ومجتمعه ، ويدعم الولاء والانتماء للدولة والمجتمع إذ ينتج من أجل مجتمعه منذ الصغر في المدرسة والجامعة وفى مجتمع العمل ، فكيف لا ينتمى بإنجازاته وأعماله الإبداعية للمجتمع والدولة التي ساعدته في معرفة طريقه ورسمته له منذ الصغر، واكتشفت قدراته ووظفتها في المسار الصحيح لخدمة نفسه ووطنه ؟!

والعمل الإنتاجى الجماعى داخل المدرسة والجامعة والمؤسسات التربوية بصفة عامة يخلق جواً من البهجة والتعاون والرغبة في الإنجاز وحصاد نتائج العمل الشاق . فالكل يعمل سوياً دون مراعاة لعامل الزمن فالجميع داخل المؤسسة التعليمية يتدربون وينتجون ولا يبرحون حتى ينتهون من المشروع الإنتاجى الذى يقومون به ، وقد يتقابل الطلاب خارج المدرسة والجامعة

لإنجاز المشروعات الإنتاجية سواء في النوادى أو المطاعم أو المراكز الشبابية أو أون لاين عبر الشاشات التقنية والبرامج التكنولوجية المتنوعة لعرض ما تم إنجازه وتقييمه فيما بينهم ، وكلهم نشاط وحيوية ودافعية للتعلم والتدريب والعمل والإنجاز لأنهم يشعرون أن أفكارهم تتحقق على أرض الواقع دون عائق مادى أو معنوى فالمدرسة والجامعة توفر كل شيء لهم ، ولا تفرق بين فقير أو متوسط الحال أو غنى فالمبتكر والمبدع والمنجز والمنتج له الأولوية القصوى عن أي فرد آخر ، والمشروع الإنتاجى المثمر والمفيد هو الذى يصعد لمراتب ومراكز متقدمة ويحصد الجوائز المادية والتقديرات المعنوية ، ولا مجال للمحسوبية أو الهيمنة أو التمييز على أساس الطبقة أو النوع أو البلد أو غيره من الأمور التي تعرقل مسيرة الإنتاج والإبداع والتميز وبناء الشخصية التي يحلم بها أي مجتمع ، وتفتخر بها أي دولة تتمتع بالعدالة والديمقراطية وتريد التقدم الحقيقى والتنمية المستدامة .

المنهج الثالث: التفاعل المستمر sustainable interaction

من أهم مقومات التفكير السليم والآمن هو تحوله إلى عمل وفعل ، ومشاركة فعالة داخل المجتمع، والسياق المحيط . حيث أن التفاعل المستمر داخل المؤسسة التعليمية ومشاركة أطراف المؤسسة بكاملها في أنشطة وأعمال وانجازات مثمرة تدل على مدى السواء والأمن الفكرى داخل المؤسسة التعليمية . حيث أن الجميع يفكر في النجاح والإنجاز واحراز الأهداف بإيجابية دون عراقيل أو محاولات تهميش أو استبعاد أو طمس لأفكار وآراء وحلول ومبادرات الآخرين .

ومن ثم التفاعل المستمر منهجية فعالة وحيوية في تحريك الأفراد من طلاب ومعلمين وإداريين ومشرفين وعمال ومديرين داخل المؤسسة إلى طاقة فعل وإنجاز وتفكير صوب العمل الإيجابى لا الهدام أو الأفكار السلبية التي تؤخر مسيرة العمل والإنجاز وتحقيق المقاصد والأهداف .

أي أن منهجية التفاعل المستمر تخلق طاقات إيجابية لا حدود لها تسعى إلى التفكير خارج الصندوق ، فالكل يطرح وجهات نظره دون قيود أو محاولات هيمنة فكرية من جانب فردى أو نخبوى أو سلطوى ، بل الكل يشارك ويتفاعل ويبدى رأيه من أجل تحقيق هدف واحد وهو العمل الإيجابى المثمر والمنتج .

ولهذا لا مجال للتعسف أو فرض الرأي بالقوة ، أو البلطجة الفكرية أو الاستبداد والإرهاب الفكرى من قبل فرد أو جماعات بعينها .

كما أنه لا مجال لترك أحد دون تفكير في صالح المؤسسة ونهضتها ، وتقدمها فالكل يشارك ويتفاعل ويعمل وينجز ، ويحاول ويجرب ويخطأ ، ويحاول ثانياً وثالثاً وينجح وينجز بتعاون وتشجيع ، وحيوية وحب للمؤسسة والمكان والصحبة والعمل الجماعى.

فإذا كان التعليم هو المفتاح لضمان تحقيق الأمن الفكري ، فإن التفاعل المستمر ضمان لتحقيق الأمن الفكرى على أرض الواقع .

وقد انتشرت منصات تفاعلية للتآزر بين الإدارة والمعلمين والأطفال والطلاب والشباب ، وتحفزهم على الإنجاز المثمر والتواصل المستمر والإسترشاد برأى الخبراء من المعلمين ، فضلاً عن تواصل أولياء الأمور عبر تلك المنصات لطرح أسئلتهم ومناقشاتهم حول أداء أبنائهم وانجازاتهم ،وأى صعوبات أو مشكلات يتعرضون لها مع أبنائهم أو مع المعلمين أو مع الإدارة وغيرها الكثير من الفعاليات مثل كندكس Kindix، واستاذى ostedhy، ويوديستىUdacity ، وكورسيرا Coursera، وأكاديمية خان Khan Academy ، أليسون Alison، وماستر كلاس Master class ، وسكيل ساكسيس Skill success، ومنصة

موووكو MOOCs ، ومنصة كاهوت Kahoot، وغيرها العديد من المنصات التي تدشن بيئات رقمية تفاعلية لإدارة منظومة التعليم بشكل تفاعلى ،ويقرب المسافات بين الإدارات التعليمية والمسئولين والمديرين والمعلمين وأولياء الأمور والطلاب في منصات تعليمية شاملة وهادفة وتفاعلية ومجانية وتحقق أهداف المجتمع في التعليم .

وتضمنت رسالة اليونسكو عام 2023 بعنوان " المدرسة زمن الذكاء الاصطناعى" أن الذكاء الاصطناعى أداة ذكية جد فعالة من خلال حوار أجرته أنولينا سافولاينن عن جدوى منصة أكاديمية خان(خانيمغو) في الولايات المتحدة الأمريكية في التعلم والتدريب والتواصل الفعال مع أولياء الأمور ، وكانت النتيجة مذهلة حيث أن المساعد الافتراضى بتقنية الذكاء الاصطناعى AI يسمى خانيمغو Khanmigo مكن الطلاب من تعزيز ثقتهم بأنفسهم ، من خلال الدعم المستمر والإجابة عن التساؤلات وحل المشكلات ، فقد تم التطبيق على جميع مدارس الولايات المتحدة منذ عام 2023 ، وقد كانت ردود الفعل إيجابية حول التقنية المستخدمة لجمع ردود أفعال المستفيدين ، ودعمهم المستمر ، وأكدت البيانات أن الأداة غير ضارة بالطلاب في العديد من المدارس مثل خان لاب سكول khan lab school في ماونتن فيو بولاية كاليفورنيا ، والمدارس في ولايات نيوجيرسى ، والمدارس العمومية وغيرها في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية . بل إن خانيمغو ساعد الطلاب في طرح مزيد من الأسئلة على المعلمين للإجابة عنها والتعمق فيها بالبحث والدراسة ، كما أن غرف الدردشة بين الدارسين كانت هادفة عبر الإنترنت وكلها في نطاق التعلم والتمدرس، حيث كان من الممكن الدردشة

مع شخصيات تاريخية وأدبية وعلماء بشكل افتراضى لمعرفة منشأ العلم والحكاية والأصول التاريخية والمكانية للعلوم (سافولاينن 2023، 12-14).

ما هي خانميغو؟

خانميغو Khanmigo هي أداة تعليمية تشتغل بالذكاء الاصطناعي (جي بي تي-4-GPT) أُطلقت في مارس 2023، وهي حاليًا في طور الاختبار في الولايات المتحدة. وتعمل أكاديمية خان Khan Academy في هذه المرحلة على جمع تعليقات المستخدمين وملاحظاتهم من أجل تجويدها وتحسينها.

وقد صُمّمت خانميغو لدعم الطلاب والإحلال محلّ المساعد البيداغوجي، إذ يمكنها المساعدة في شرح المفاهيم الرّياضية، وإعداد الامتحانات، وامتلاك المفردات اللغوية، وتعليم تشفير النّقاشات وتنشيطها علاوة على أشياء أخرى قادرة على القيام بها من قبيل تولّي مهام إدارية من مشمولات أعضاء هيئة التدريس.

من رسالة اليونسكو (2023) **ص** 14

كما يؤكد سو بينغ في مقاله بعنوان" في الريف الصينى ، الشاشات تقرب المسافات" حيث يتيح اعتماد المناطق الريفية على التقنيات الجديدة فرصة تحسين العرض التربوى وتوسيع آفاق الدارسين . وقد مكن التعليم الافتراضى العديد من الطلاب للدراسة حيث بعد المسافات جعلت هناك عجز كبير في المعلمين ، والمساعدات اللوجستية للريف الصينى ، لذلك تطوع العديد من المعلمين من المدن الكبيرة في التدريس والتعليم الافتراضى لأبناء القرى والأرياف النائية تعويضاً عن العجز والنقص في المعلمين والخدمات التعليمية الأساسية . الأمر الذى كرس ثقافة التطوع للتدريس بين المعلمين والإداريين وكل من لديه القدرة على خدمة أهل القرى والأماكن النائية في الصين ، ولم يقتصر الأمر على تطوع المعلمين فحسب بل تطوعت شركات برمجة المواد التعليمية التكنولوجية في تحسين العرض التربوى

في الريف مثل شركة تانسنت ، والتي توسعت مبادراتها لينضم إليها أكثر من 10 آلاف شخص لتقديم الدروس والمواد التعليمية عبر الإنترنت . ومن ثم فالتعليم الافتراضى مكن الأطفال والطلاب والكبار من الاتصال بالعالم الخارجي بعد أن كانوا يفتقرون إلى خدمات التواصل الفعال مع مجريات الأحداث والأمور في العالم الخارجي ، فعلى سبيل المثال كان التلاميذ في مدرسة زولو بمقاطعة يونان في الريف الغربى للصين لا يعرفون غير اسم (بكين) من بين 691 مدينة صينية. إلا أن التعليم الافتراضى قلل من النفقات البيداجوجية (التعليمية) وعمق تكافؤ الفرص بين المناطق الريفية في الصين خاصة مع انتشار التكنولوجيا الرقمية (بينغ 2023، 15-16).

ومن ثم التفاعل المستمر يقضى بدوره على مشكلات كثيرها أهمها وأخطرها غيبة الوعى والإدراك الفكرى ، التي تنشأ نتيجة الاستبعاد ، والحرمان من التعليم أو توفير فرص للتعلم الحقيقى دون قيود زمانية أو مكانية خاصةً في الأماكن والمجتمعات الأعلى نسبة فقر وبطالة وجهل وغيرها من المشكلات والتحديات التي تقف حائلاً دون تحقيق الأمن الفكرى والمجتمعى داخل الدول .

المنهج الرابع : الخبير الصغير Young expert

فكرة الخبرة أو الجدارات المتراكمة لا ترتبط بسن معين ، وإنما تعتمد بدورها على فكرة الإتقان والقدرة على التعلم السريع ، وتحويل الأفكار الإبداعية إلى إنجاز في وقت قصير . وتراكم الإنجازات التى تشير إلى تحريك سريع في حياة الفرد والمجتمع على السواء ، تحول الفرد تدريجياً لأن يصبح خبيراً في هذا المجال . فقد يكون طفل عمره 10 سنوات خبيراً في مجال البرمجة ، ويكون عاملاً محركاً للاقتصاد والمشروعات المالية بنجاح من خلال قدرته الفائقة على تطوير نظم البرمجة الذكية . وقد يكون شاب عمره 18 عاماً ولديه قدرة على

عزف جميع الآلات الموسيقية بصوته دون استخدام آلات موسيقية ، ويصبح ضمن المصنفين الموهوبين في موسوعة جينس العالمية .

فالخبرة لا يمكن حصرها في العمر ، فكم من العباقرة الذين استطاعوا تحريك العالم بعقول متمكنة ولديها قدرات إبداعية وابتكارية لا توجد لدى كبار السن أو أطفال في مثل عمرهم ؟

وفى مجال التعليم من الأهمية بمكان القول أن الخبير الصغير ينمى ويتم رعايته ، بحيث يكون خبيراً في مجال محدد مثل علم من العلوم أو التكنولوجيا ، والذكاء الاصطناعى، أو اللغات أو المشروعات وريادة الأعمال ، أو الصناعة والهندسة ، أو مجال الصحة والطب ،أو غيرها من مجالات التنمية المتنوعة .

وفكرة الخبير الصغير الذى يتم اكتشافه داخل المؤسسات التربوية ، داخل كل فصل دراسى ، وفى كل حصة دراسية مباشرة أو افتراضية يكون شخصاً ملهماً ودافعاً لزملائه ، ويشجعهم على البحث والتعلم والعمل والإنجاز ، وتحديد أهدافهم من التعليم .

فالخبير الصغير يكون قدوة لزملائه في مجال معين ، ويوجه زملائه الذى بحاجة إلى مشورة واستشارة علمية أو فنية أو تكنولوجية أو تربوية . وهذا تحت اشراف مجموعة من الخبراء التربويين وعلماء النفس والاجتماع .

وهذا بدوره يحد من التوترات التي تحدث داخل الفصول الدراسية وأثناء عملية التعلم بين الطلاب والمعلمين أو المديرين . فالأطفال يحبون الحديث مع أطفال مثلهم ، والطلاب والمراهقين أيضاً يفضلون التعلم من خلال الأقران ،ومن خلال من هم في مثل سنهم .

وبالتالي يتلاشى الخوف تدريجياً من ردود فعل بعض المعلمين أو المديرين أو المشرفين عليهم التي قد تكون سلبية أو عنيفة أو تتسم بالتجاهل لاحتياجاتهم ورغباتهم .

ومن ثم فالخبير الصغير وجوده حيوى داخل كل فصل دراسى ، ويفضل أن يكون لكل مجال خبير صغير في الفصل الدراسى الواحد ، بمعنى يوجد خبير في المواد العلمية وخبير للغات وخبير في التكنولوجيا والذكاء الاصطناعى ، وخبير للمواد الأدبية ، وخبير للمشروعات

والتكليفات الدراسية بحيث يلجأ إليهم الطلاب والأطفال والمراهقين والشباب عند الحاجة وعند طلب المساعدة والمشورة . وذلك تحت اشراف لجنة من الخبراء من المعلمين والفنيين وعلماء النفس والدين والاجتماع . وهذا قد يجعل العملية التعليمية تحقق الهدف منها ، بحيث يتم انتقاء الخبراء الصغار كل فصل دراسى، بحيث بنهاية العام الدراسى يصبح أغلب طلاب المدرسة أو المؤسسة التعليمية خبراء صغار في مجالات التعلم المتنوعة .

أي أن عملية تدوير الخبراء الصغار ستمكن الكثير من الأطفال والطلاب والمراهقين والشباب من الريادة العلمية والفنية والتمكن من مجالات بعينها والحرص على التفوق والإنجاز والعمل في جو مشجع ليس من المعلم والإدارة وولى الأمر فحسب ، وإنما من زملائهم الخبراء الصغار أيضاً.

فالتعلم يكون أسرع بكثير من خلال زميل الدراسة (التختة) Study buddy ، وعند اعداد الخبراء الصغار في مجالات معينة يكون لهم تأثيرات عميقة على زملائهم من حيث طريقة التفكير ناصية التعلم والإنجاز والقيم الاجتماعية المقبولة من المؤسسة التعليمية ، ومن ثم المجتمع .

ومن هنا يتعلم الأطفال والطلاب الالتزام والجدية والانضباط والعمل المنتج من أجل أن يصبحوا مثل الخبراء الصغار ، وأن يأتي عليهم الدور في أن يصبحوا خبراء بالمثل في المجالات التي تفقوا فيها بناء على توجيهات زملائهم في الفصل أو المدرسة من الخبراء الصغار.

وقد يمارس الخبير الصغير دوره بشكل مباشر داخل المدرسة أو بعد الانتهاء من اليوم الدراسى عبر المنصات التكنولوجية وأدوات الذكاء الاصطناعى التي تمكنهم من التواصل بشكل غير رسمي دون قيود للوقت أو المكان أو عائق مرضى أو اجتماعى أو نفسى أو هجرة أو غيرها من الظروف التي قد يمر بها الأطفال أو الطلاب أو المراهقين أو الشباب فى مراحلهم العمرية المتنوعة .

كان ثمة برنامج تلفزيونى شهير يعرض قضايا الأطفال ومشكلاتهم في صورة شيقة وجذابة ، وكان يسمى " البرلمان الصغير " في التليفزيون المصرى ،وكان الأطفال يعرضون في صورة حوارات ونقاشات متنوعة آرائهم وأطروحاتهم المستقبلية ومشروعاتهم على رئيس البرلمان الذى هو طفل مثلهم ، وكانت صورة حضارية مشرفة وواعدة لمستقبل أفضل . وكان البرلمان صورة واقعية مصغرة لما يحدث في الشارع المصرى ، ويعكس نبض الطبقات المتنوعة داخل المجتمع المصرى من خلال ممثلين عن الطبقة الفقيرة الكادحة والعاملة ،والمزارعين والفلاحين والصناع وأصحاب الحرف والمهن اليدوية ، وممثلين عن الطبقة الوسطى من المثقفين ورجال الدين والعلماء والموظفين ، وممثلين عن الطبقة الغنية من رجال الأعمال ، وملاك الأراضى ، وأصحاب الشركات التجارية ، والمصانع ، وأصحاب رؤوس الأموال .

وكانت المشكلات تعرض في صورة بسيطة من الأطفال ، ويتم الإجابة عنها بمختلف وجهات النظر من خلال مجموعة من المستشارين الأطفال بالمثل . هذا الجو الحوارى والديمقراطى الذى يتربى عليه الأطفال منذ الصغر يخلق فيهم نوعاً من الشعور بالأمان والأمن داخل وطنهم ، وأنهم يقدرون التعبير عن مشاكلهم التربوية والتعليمية والنفسية والأسرية والاقتصادية دون خوف أو تهديد من المعلمين أو المدراء أو أولياء الأمور أو المجتمع .

أي يتربى الأطفال على عدم الخوف من طرح الأفكار ونقد أفكار الآخرين طالما تم الالتزام بآداب ومعايير الحوار والنقاش والنقد .

وعند مشاهدة القاعدة العريضة من الأطفال لمثل تلك البرامج التي تعكس صورة المجتمع الأصلية من خلال أطفال في مثل عمرهم فإنهم يتعودوا على التفكير بحرية ودون خوف ، ويتعودون هم وأسرهم على الحوار الهادف الخالى من العنف أو الهيمنة أو الاستئثار بالرأى.

وبالمثل ينعكس هذا الجو على السياق التعليمى ،ويشب الطفل عليه في المدرسة والمنزل والشارع وكل مكان يتواجد فيه ، فلا صوت يعلو فوق العقل المتزن والمفكر والحوار المثمر ،

والمنتج ، والذى يؤدى إلى الوصول إلى أرضية مشتركة ليس شرطاً أن يخسر طرف ،ويكسب طرف آخر ، ولكن يتعلم الأطفال فن التفاوض ومهاراته كى يفوز الجميع بعدل وانصاف ووفقاً للقدرات والإمكانات المتاحة دون أية أجندات أو أيديولوجيات خفية أو تحقيق أهداف شخصية .

ومن ثم أصبح لا يوجد طفل خبير ، بل يوجد أطفال خبراء في مجالات متنوعة بحكم التعاون وتوسيع نطاقات الشراكة ، والسماع للآخر وفهم وجهات نظره ، واكتساب خبرات جديدة

المنهج الخامس : المنهج المتحرك Dynamic curriculum

المقصود بالمنهج المتحرك عكس الثابت ، بمعنى لماذا يكون هناك منهج ثابت على مرحلة تعليمية معينة بنفس المسمى ونفس المحتوى دون ابتكار مناهج جديدة ، وتحديث خريطة المناهج لتضم مناهج أكثر تفاعلية وأكثر مرونة ، وتعرض قضايا معاصرة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية والتجارية والصناعية والتكنولوجية ؟

أي مناهج متحركة وفقاً لطبيعة العصر ، ومناهج تشرح الفكر الحديث والمعاصر للمجال العلمى وليس الركون إلى تاريخ العلم والاستطراد فيه ،وفى نظرياته في حين أن العالم تجاوز تلك النظريات التقليدية ، وبنى عليها الجديد والمعاصر الذى يتسنى تدريسه وتعليمه وتطبيقه في المعامل والحقول التطبيقية المتنوعة .

فالمنهج متحركاً ليس من خلال المحتوى المعروض فحسب ، وإنما من خلال الفكر الذى يقف وراء تصميم المناهج بحيث تعرض قضايا معاصرة ، ونظريات معاصرة وقابلة للتطبيق في هذا الزمن ،وهذا العصر وليس في عصور سالفة .

لأن الأطفال والطلاب يتربون وفقاً للنهج الذى نربيهم به فإذا كان ماضوى بحت سيكون تفكيرهم في الماضى وأمجاده دون التفكير في الحاضر ومشكلاته والمستقبل وأهدافه وآماله ، وإن كان النهج الذى نربيهم به معاصر وواقعى سيفكرون بشكل واقعى وتطبيقى وعملى ، ويسعون إلى رسم المستقبل بالمزيد من الأفكار والآراء والمشروعات المنجزة والتي تبنى العقول وتؤسس لمجتمع أفضل .

أي أن المنهج المتحرك هو المنهج المرن الآخذ بكافة أساليب وأسباب العصر الذى يوجد فيه ، وقد يكون منهجاً افتراضياً يدرس قضايا متنوعة على منصات تعليمية رسمية وغير رسمية من أجل الحث على التفكير الإبداعى للبحث عن حلول تطبيقية وعملية للمشكلات والقضايا المجتمعية من خلال العقول الصغيرة والشابة القادرة على العمل والإبداع والتفكير السليم عندما نرسم لهم مسارات للنمو الفكرى والذهنى الآمن بعيداً عن أية تشويشات أو تضليلات أو أغراض هيمنة أو سيطرة على عقولهم لبقائهم بلا علم ولا معرفة أو وعى أو خبرة نظير عدم التقدم والتأخر ، والرجوع إلى الوراء .

فالمناهج أداة قوية لتشكيل العقول ، وتكوين الآراء والأفكار والخبرات ، ومن ثم فالمناهج تعد مساقات ومسارات يسير عليها عقل الطفل والطلاب والمراهقين والشباب ، وزاوية الرؤية التي تنطلق منها تلك المناهج هي التي تشكل مصير الأجيال الحالية وتأثيراتها المستقبلية على الأجيال اللاحقة .

ومن ثم فالمنهج المتحرك هو منهج دينامى يراعى احتياجات المتعلمين ويتمركز حولهم ، ويوثق الحياة العصرية بكافة ظروفها ومشكلاتها ، ويطلب من الدارسين البحث فيها وإيجاد بدائل لتلك المشكلات المستعصية .

فالمنهج المتحرك عكس المنهج التقليدي في قابليته للتجديد المستمر والتغيير وفقاً للمتطلبات العصرية ، ووفقاً لاحتياجات الدارسين وقدراتهم ، وقدرات المعلمين وجداراتهم في التدريس والشرح والتوجيه والتقييم المناسب للحياة المعاصرة ، وليس باستراتيجيات تقليدية ، ونظم تقييم وتقويم تقليدية .

لذلك يعتمد المنهج المتحرك على الخريطة الزمنية الدورية لتطوير المناهج الدراسية واستيفائها كافة متطلبات العصر وأدواته التكنولوجية والفنية والعقلية وإعداد الجدارات اللازمة للتعامل مع عصر المعرفة والمعلوماتية .

إذ أن الطفل أو الطالب في العصر الحالي لديه ألعاب على موبايله توظف الذكاء الاصطناعى ، والتواصل مع كواكب أخرى وعوالم فضائية أخرى ، ويعرف الكثير من خلال تلك الألعاب والقصص التي تروى عن رحلات فضائية لكواكب وعوالم أخرى ، والمخلوقات الغريبة والمتنوعة على تلك الكواكب ، بل تجسد له بالتقنيات الذكية المتنوعة تلك العوالم الغريبة لتجذب انتباهه ، وتصور له حياة الإنسان المختلفة عن حياة البشر على كوكب الأرض ، وشكل وملامح الإنسان في كواكب أخرى .

وأنماط العيش والتعلم والحروب المعرفية والتكنولوجية المتنوعة ، والانتصار في تلك الحروب أو الغلبة تكون في التمكن من أدوات الصراع ،والتي أساسها التمكن من التكنولوجيا وأدواتها من أجل الابتكار والإبداع في كافة المجالات الزراعة والتعدين والثروات الأخرى الحيوانية والنباتية والصناعية والتجارية والصحية والتعليمية . فالذكاء البشرى يتحرك مع الذكاء الاصطناعى وتطوراته المذهلة والأجيال التكنولوجية الناشئة كل يوم نتاج تلاقح الذكاء البشرى مع الذكاء

الاصطناعى المتطور بشكل مرعب وسريع وبحاجة إلى عقول بشرية على نفس النهج معدة من خلال المؤسسات التعليمية بمناهج متحركة تتصف بالذكاء والمرونة والقدرة على التجديد الدينامى والمفيد للفرد والمجتمع على السواء .

وفى تقرير منظمة التعاون الاقتصادى عام 2024 OCED بعنوان " curriculum flexibility and autonomy promoting a thriving learning environment " مرونة واستقلالية المنهج : تعزيز بيئة تعليمية مزدهرة " ، وقد عرف التقرير مرونة المناهج " بالقدرة على التكيف مع السياقات المتنوعة من خلال التحديد الدقيق لأهداف التعلم ، واحتياجات المتعلمين الحقيقية من التعليم .أما الاستقلالية فتعنى مدى قدرة المعلمين والمدارس والمؤسسات التعليمية على اتخاذ قرارات بشأن محتوى وأساليب التعليم والتقييم ، وفقاً لطبيعة السياق التعليمى داخل كل مدرسة أو مؤسسة تعليمية .

كما يعرض التقرير للتحديات والضغوطات نتيجة السياسات المركزية الصارمة والتي تقلل قدرة المعلمين على التكيف مع احتياجات طلابهم ، كما تناول التقرير التحديات المتعلقة بالاختبارات والتقييم والتي تحد من الابتكار في التعليم .

وقد أوصى التقرير بأهمية التدريب المهنى المستمر للمعلمين أثناء الخدمة ، وتشجيع التعاون بين صانعى السياسات والمعلمين ، ووضع أهداف واضحة لكل منهج وتوضيح مدى الحرية الممنوحة للمعلمين في اتخاذ القرارات التي تتماشى مع طبيعة السياق التعليمي واحتياجات المتعلمين . وتعزيز ثقافة المساءلة للقيادات التعليمية والمعلمين والإداريين دون تقليل من قدرة المعلمين على الابتكار .

وقد حدد التقرير خمسة عوامل تحقق المنهج المرن والمستقل وهى :

الأهداف النظامية من حيث وجود رؤية واضحة للمناهج ، والمسائلة النظامية بحيث إحداث التوازن بين الرقابة والحرية ، والقدرة النظامية من حيث بناء القدرات البشرية والاجتماعية ، والسياق السياسى والاقتصادي من حيث توفير الدعم والموارد اللازمة، والنظام البيئي المؤثر على الحياة العامة والمجتمع ككل، وانعكاسه على عملية التعليم والتعلم .

كما يؤكد التقرير أن المرونة والاستقلالية في المناهج ليست خيارات تعليمية ، بل تعد ضرورات لمواكبة التحديات التعليمية المعاصرة من خلال بيئات تعلم مرنة ومستقلة وتعمل على تحفيز الطلاب والمعلمين وتحقق نتائج تعليمية أفضل (OECD 2024) .

المنهج السادس : المقرر الفارغ Empty course

المقصود ب"**المقرر الفارغ**" هنا هو مقرر يترك فارغاً دون محتوى علمى أو موضوعات ، ولكن يوجد فيه إرشادات عامة لتصميم المقرر من موضوعات وأنشطة ، وتقييمات ، ويعد الطفل أو الطالب أو المراهق أو الشاب المقرر بالعنوان والموضوعات والأنشطة والتقييمات بنفسه دون تدخل في قرار المتعلم .

هنا يبدأ المتعلم في قراءة الإرشادات المكتوبة وفقاً لطبيعة المرحلة العمرية إما بشكل مصور في المراحل المبكرة من التعليم أو مصورة ومكتوبة بشكل مبسط في المراحل التالية من التعليم ، أو مكتوبة بشكل واضح ومحدد في المراحل الأعلى من التعليم .

وبعد قراءة الإرشادات المصورة والمكتوبة يبدأ المتعلم أياً كان عمره في وضع عنوان للمقرر وفقاً لاحتياجاته من التعلم ، فإذا كان يرغب في تعلم "تقنيات الذكاء

الاصطناعى " فسيكون عنوان المقرر هو " تقنيات الذكاء الاصطناعى" وموضوعاته

يحددها المتعلم بنفسه فيضع خمس موضوعات وفقاً للإرشادات المصورة أو المكتوبة لصياغة الموضوعات ، ثم يبدأ يضع الأنشطة المصاحبة لكل موضوع ، ويضع التقييمات المتعلقة لكل موضوع وفقاً لطبيعة الموضوع ووفقاً للإرشادات المتعلقة بكتابة التقييمات المتنوعة .

ويقوم المعلم أو الميسر بمتابعة المتعلمين في مقرراتهم المتنوعة التي صمموها بأنفسهم ووفقاً لاحتياجاتهم التعليمية ، ويقيم المعلم كل مقرر على حدى بشكل دورى ، ويوجه الدارس إلى أهمية اتباع الارشادات المكتوبة أو المصورة من أجل تنفيذ المقرر بشكل سليم .

يشعر هنا التلاميذ والطلاب أن لهم دور كبير في تصميم المنهج الذى يدرسونه من خلال منهجية " المقرر الفارغ " فقد بنى بنفسه المقرر من الألف إلى الياء وفقاً للإرشادات التي تم وضعها لتصميم المقرر.

ومن ثم يتم تقييم الطفل أو الدارس في المقرر الفارغ وسؤاله في مشروعه الذى صممه بنفسه ، ولماذا صممه ، وما أهم الموضوعات التي وضعها فيه ، وما الاستراتيجيات التي استخدمها للتعلم والتمدرس ، وما نوعية التقييمات التي وضعها ، وماذا أضاف هذا المقرر في بناء شخصيته ؟

وسيكون هذا المقرر هو المقرر المفضل لدى الطفل والطلاب لأنهم صنعوه بأنفسهم وبنوا كل جزء فيه . وسيكونوا متفوقين في المقرر الفارغ ، ويعرفون كل جزء فيه .

سواء كان المقرر الفارغ يحمل عنوان يتعلق بالطب أو الفلك أو الهندسة أو العلوم أو الفضاء أو التكنولوجيا أو الذكاء الاصطناعى أو التاريخ أو الفلسفة أو الدين أو الجغرافيا ، أو الرياضيات أو اللغات أو الموسيقى أو الفن أو الزخرفة أو الطباعة أو التصنيع أو صناعة الدواء ، أو غيرها من العناوين التي تشغل فكر الطفل والطلاب والتي تظهر إلى النور وتتكشف في إبداعات صممها الأطفال والدارسين بأنفسهم دون قيود أو تدخلات من القيادات التعليمية أو المسئولين .

ومن ثم من خلال المقرر الفارغ يمكن اكتشاف مواهب وقدرات الأطفال في سن مبكر وتنميتها في المراحل التعليمية المختلفة من خلال تعميم المقرر الفارغ في جميع المراحل العمرية من رياض الأطفال حتى الجامعة ، كى يقوم الدارسين بمتابعة هذا المشروع الإبداعى أو المقرر الذى أبدعوه بأنفسهم دون تدخل أو محاولات تشتيت أفكارهم أو أذهانهم من قبل أية مؤثرات خارجية.

وهذا ما يجب التنبيه إليه هو أن التوجيه والإرشاد من قبل المسئولين والإدارات والمعلمين والمشرفين وأولياء الأمور لا يعنى تدخلهم في تصميم المقرر مع الطفل أو الدارس ، لأن الهدف من هذا المقرر هو معرفة ما يدور في أذهان الدارسين من أفكار ومعلومات ، وإطلاق قدراتهم الكامنة ومواهبهم الحقيقية ، ثم العمل على تصحيح الأفكار المغلوطة أو المعلومات الخاطئة عند تقييم المقرر وموضوعاته وأنشطته وتقييماته المتنوعة .

ومن ثم هذا المقرر الفارغ سيصبح الشغل الشاغل للدارس يقدم فيه أفضل ما لديه مع تقدم المراحل العمرية معه ، فهو مشروعه الذى يكبر ،وينمو معه طوال سنوات

التمدرس، وهو النبتة التي يرويها بيده ، ويفكر كل عام دراسى في تطويرها وإنضاجها كى تطرح أفضل الثمار وأينعها .

وهذا المقرر سيكون عنصر جذب للدارسين داخل المؤسسة التعليمية ، حيث يتسابق الطلاب في التطرق إلى موضوعات متقدمة ، ويتبارزون في عرض مهاراتهم وجدارتهم الفكرية والعلمية والعملية ، بل قد يمكثون طيلة أجازة العام الدراسى في التفكير في كيفية تصميم المقرر الفارغ ، والموضوعات المبتكرة التي ستحويه .

وهذا هو المطلوب هو شغل أوقات الدارسين بأشياء مفيدة وشيقة ، وتطلق جداراتهم ومهاراتهم في أشياء يفضلون الحديث عنها ومعالجتها وحلها وطرح البدائل بصددها مثل الطاقة والمياه والأقمار الصناعية ، وعلوم المستقبل الفلك والفضاء والكواكب والمسارات، والتلسكوبات ، واختراعات جديدة مستقبلية قد تنمو في هذا المقرر الفارغ على مدار سنوات التمدرس والتعلم .

إذن ما معالم تفكير الطفل والطالب والمراهق والشاب عند تصميم مقرر من الألف للياء بنفسه ، ويضع أنشطته وتقييماته دون تدخل من أي جهة ، بل يتم اختباره في هذا المقرر الذى صممه وأنتجه بعقله وفكره ومجهوده ؟

ستنمى لدى المتعلم القدرة الفائقة على التنظيم وإدارة الوقت ، والتحليل ، والنقد ، ومهارات الكتابة والتأليف ، والقدرة على ربط الموضوعات والقضايا بعضها البعض ، بل تتكون لديه ملكة التقييم الذاتي ، ونقد نفسه بنفسه ، وتقييم تصميمه للمقرر وللموضوعات ، بل يتعلم كيف يطرح قضية ويحللها ، ويبحث عن حلول مبتكرة لها بعقله الصغير الذى تتكون فيه بذور الإبداع الحقيقى ، التي ستظهر مع

المقرر المفضل لديه ، والذى صنعه بيده ومقتنع بكل ما فيه من أدوات واستراتيجيات وأنشطة وتقييمات وفقاً للإرشادات الموضوعة فيه لتصميم المقرر الفارغ ، والتي تعطى للمعلم وولى الأمر وللطفل من أجل تدريبهم عليها .

كما تتكون لدى الدارسين فيما بينهم مهارات الحوار والمناقشة في تبادل عناوين وموضوعات المقررات المصممة مع بعضهم البعض ، وأخذ الرأي فيها ، والمرونة في تعديل التصميم وفقاً لوجهات النظر المتنوعة بين الدارسين .

ومن ثم فقد تدهشنا النتيجة الغير متوقعة ، وتدهشنا المقررات المصممة من قبل الطلاب ، وتدهشنا طريقة العرض والتناول لقضايا معاصرة يطرحها العالم ، والأنشطة المعدة للتطبيق ، والتقييمات الموضوعة المبتكرة، وتدهشنا الحلول المقدمة لتلك القضايا من هذه العقول الصغيرة والأنامل الصغيرة التي صممت مقررات مدهشة لقناعاتهم بأن هذا ما هم بحاجة إليه في الحقبة المعاصرة .

فإذا كان عدد الدارسين في مراحل التعليم الثلاث الإبتدائية والاعدادية والثانوية مجموعهم 10 مليون طالب وطالبة في دولة ما ، فسنتحصل على 10 مليون مقرر مصمم بأيدى الطلاب أنفسهم ، ومتضمناً إبداعات وأفكار خارج الصندوق تعبر عن قدراتهم وجداراتهم وملكاتهم الحقيقية التي تم اكتشافها من خلال منهجية أو مدخل " المقرر الفارغ " التي أطلقت أفضل مالدى أطفالنا وطلابنا من ابداعات ترسم معالم المستقبل.

ومن ثم فالمنهجيات التعليمية السابقة لتحقيق الأمن الفكرى والسلامة الفكرية والأمان الفكرى ليست وحدها كل شيء ، وإنما جهود الدولة في تحقيق بيئة آمنة ومستقرة للمجتمع ككل لاسيما مؤسساته النظامية ومن بينها المؤسسات التعليمية

التي تعد أجيالاً للمستقبل وتشكل بنية المجتمع الثقافية والمعرفية والاجتماعية والسياسية والصناعية والتجارية والاقتصادية وتترك لهم زمام الأمور لقيادة المجتمع بعقول راجحة وناضجة وخالية من الأمراض الأخلاقية والنفسية والاجتماعية والفكرية التي تهدد وحدة المجتمع وأمن واستقراره وتعطل مسارات التنمية في مجالاتها المستدامة.

مخطط رقم (3) يوضح منهجيات التعليم في الأمن الفكرى

.....

الفصل الرابع

فلسفة التعليم والأمن الفكرى .

الفصل الرابع

فلسفة التعليم والأمن الفكرى

الحديث عن فلسفة التعليم لا يمكن أن تسطره كتب أكاديمية أو مقالات علمية أو مقولات فلسفية أو تربوية أو ندوات علمية ، بل دوماً ينظر إلى فلسفة التعليم من واقع الحياة التعليمية ، والسياق الذى يحكم العملية التعليمية برمتها ، وبعدها تظهر فلسفة التعليم جلية وواضحة وبارزة للمجتمع بأكمله .

فإذا كان المجتمع يكرس تعددية المناهج التعليمية والتى تحترم الفكر البينى ، والعلوم البينية ، وتداخل التخصصات العلمية ، ودمج العلوم بالآداب والتكنولوجيا والفضاء في بوتقة علوم بينية جديدة فإن فلسفة التعليم في هذا المجتمع تتسم بالمعاصرة والمواكبة لكل ما هو عصرى في مجتمع المعرفة والتكنولوجيا.

كما تشير فلسفة التعليم في هذه الحالة إلى التكاملية والشمولية كأحد أهم سمات فلسفة التربية من حيث وجود ذهنية شاملة تستوعب كافة المتغيرات العالمية ،وينعكس هذا بالضرورة على المنظومة التعليمية من حيث استحداث علوم متكاملة تدمج بين الآداب والعلوم والتكنولوجيا والفضاء والصناعة والطب والتجارة والبيئة وغيرها بحيث تخدم تلك العلوم المتداخلة والبينية المستحدثة أكثر من قطاع في آن واحد مثل علم نفس الهندسة ، والكيمياء الفيزيائية ،والتقنية النباتية ، والزراعة التكنولوجية ، والصناعة الفضائية ، والذكاء الاصطناعى وعلوم الأعصاب ، والنانو تكنولوجى ، والأخلاق الاجتماعية ، والطب الحيوى ، والبيوانفورماتيك الذى يجمع بين " الأحياء ، وعلم الحاسوب ، والرياضيات ، والإحصاء) ،

والجيومعلوماتية (الذى يجمع بين الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية GIS ، وعلوم الحاسوب) ، والكيمياء البيئية ، وعلم الوراثة السلوكى ، وعلم الجريمة الرقمى ، وعلم المدن الذكية ، والصحة العامة الرقمية ، والفيزياء الحيوية ، والطب الحيوى (الذى يجمع بين الهندسة والطب) ، وعلم التنقيب عن البيانات ، علم الجينيوم الوظيفى ، والاقتصاد السلوكى ، والكيمياء الحيوية الطبية ، والعلوم العصبية الإدراكية ، وعلم الأخلاقيات التطبيقية ، وعلوم الفضاء البيولوجية .

كل تلك العلوم البينية والمتكاملة والمتداخلة جميعها تنم عن وجود فلسفة تعليمية معاصرة تعكس نبض التغير العالمى المعاصر ، والنقلة النوعية المتجذرة التي غيرت مجرى الحياة في العالم أجمع ليس من أجل الإنجاز العلمى والتقدم في مجالات التنمية المستدامة وقطاعاتها برمتها فحسب، بل من أجل البقاء الإنسانى والوجود فى معركة الحياة المعاصرة التى يقودها العلم بأسلحته المتنوعة الفكرية والذهنية ، والتي يتجسد صداها على أرض الواقع .

وعندما تدمج منظومة التعليم علم الحروب والشئون العسكرية والسياسية ، وتدشن مناهج للتعليم بشكل متدرج في كافة مراحل التعليم العمرية ، فإن فلسفة التعليم في هذا الصدد تستند إلى الأمن الفكرى والسلامة الفكرية .

ومن هذه المناهج الدراسية علم النفس العسكرى ، والعلاقات الدولية والأمن الاستراتيجي ، والذكاء الاصطناعى في الشئون العسكرية ، وعلم الحروب السيبرانية ، وعلم الاستخبارات والتحليل الأمني ، والحروب البيولوجية والكيميائية ، وحرب المعلومات والدعاية ، وحروب الجيل الرابع والخامس والسادس ، وعلم الحرب الهجينة ، وعلم القرار العسكرى ، والجغرافيا العسكرية ، وبحوث العمليات

العسكرية ، وعلم الاجتماع العسكرى ، والطب العسكرى ، والتأثير البيئي للحروب ، وهندسة إعادة الإعمار بعد الحرب ، والروبوتات العسكرية ، والاقتصاد العسكرى ، والإعلام الحربى ، وعلم الأمن الجوى والفضائى ، .....

أي أن فلسفة التعليم لا يمكن أن تنعزل عن المحيط العالمى بإنجازاته العلمية البينية ، والمتداخلة ، وأيضاً فلسفة وتقنيات الحروب ، وطبيعة الذهنية التي تفكر وتخطط للتدمير أو الحرب أو الدفاع، أو التنافسية العلمية والتكنولوجية .....

ومن ثم فإن علوم الحرب بكافة أنماطها التكنولوجية والفيزيائية والكيميائية والمعنوية ، و استراتيجيات الدفاع والأمن لا تقتصر في دراساتها على مؤسسات سياسية أو عسكرية أو دبلوماسية أو دفاعية فحسب ، بل من الأجدى عمومها على المنظومة التعليمية بشكل مبسط ويسير وعملى من أجل الوعى والمعرفة ، والتعرف على العوامل النفسية والاجتماعية والتاريخية التي تقود البشر إلى الحروب سواء الفيزيائية أو العلمية أو الكيميائية وأدواتها المتنوعة ، وصناعاتها ، والمواد والتقنيات المعاصرة لصناعة المعدات القتالية أو الدفاعية ، وأيضاً التعرف على فلسفة الأمن القومى والوطنى ، والأمن العام ، وفلسفة بناء السلام ، وفلسفة الدفاع عن الوطن ،وأخلاقيات الحروب ، والاتفاقيات والبروتوكلات الملزمة للأطراف المتنازعة ، وعلوم التفاوض والوصول إلى أرضيات مشتركة من أجل عموم الأمن والسلام الفكرى ، فدراسة تلك المناهج والمقررات للوعى والمعرفة والدفاع جزء لا يتجزأ من التكوين الإنسانى من أجل تكوين عقول تعى قيمة السلم وتثمن قيمة العيش في حرية ، وأمن وأمان دون أية تهديدات أو تحديات مستقبلية تعرقل مسيرة التنمية والتقدم .

أي أن ملامح فلسفة التعليم قد تغيرت وأصبحت مشتبكة مع الحياة والواقع والعالم أجمع ،لأن منتجات التعليم ستحرك العالم أجمع إما بشكل سلمى وإيجابى وآمن ، أو بشكل غير آمن واحتمالات توقعه قد تتسم بالتعقد الشديد والغموض نتيجة عدم الدراسة القبلية والوعى والدراية بالصناعات الفكرية والعلمية والأيديولوجية المتنوعة للسلم والحرب على السواء .

ولا يمكن تدريس تلك العلوم المستحدثة التي تعكس فلسفة تعليم معاصرة ومواكبة للتغيرات العالمية دون وجود معلم متميز ومتمكن من أدواته التعليمية والمعرفية والتقنية ، إذ ليس من المطلوب من المعلم التبحر في أعماق محتوى كل تلك العلوم بل المطلوب منه هو كيف يجعل الطفل والمتعلم والدارس يبحث ذاتياً بنفسه ، ويضع الموضوعات والقضايا الخاصة بتلك العلوم ويناقشها ويحللها بذهنية مبدعة ومهارات تحليل وتفكير ناقد واستدلالى واستنباطى واستقرائى وابداعى ينم عن وجود منظومة تعليمية تصنع مواطن يعرف كيف يصطاد بنفسه السمكة ، وليس كيف يأكل السمكة جاهزة.

أي منظومة التربية يجب أن تعد المعلم على أحدث المداخل المنهجية والطرائق والاستراتيجيات المتنوعة للتعليم والتعلم الذاتي ومهاراته ، أما البحث المتعمق والتمكن من المحتوى واتقانه ، وتطبيقه ، وإبداع موضوعات ومشروعات جديدة كلها من صميم عمل الدارس والمتعلم وليس المعلم . إذ أن المعلم وضع الأطفال والطلاب والمراهقين على الطريق للتعلم والبحث والاستقصاء ، وهذا يتسنى أن يكون مكتوباً ومقروءاً في إرشادات التعلم للمعلم والمتعلم وداخل المناهج الدراسية على السواء.

وقد كشفت دراسة حديثة بعنوان " الفلسفة الحاكمة لنظام الثانوية العامة الجديد في مصر بين الواقع والمأمول دراسة اثنوغرافية " عن العديد من جوانب التطوير على المستوى المثالى والورقى والفلسفى أما الواقع يكشف عكس ذلك ، إذ تنادى فلسفة التطوير بتخفيف الأعباء على كاهل الأسر وأولياء الأمور فيما يتعلق بالدروس الخصوصية والمصروفات ، ولكن لا تزال الأسر تعانى من كل هذا ، كما أنه يوجد انفصال بين نظم الامتحانات وبين فلسفة التطوير ، وفكرة تطبيق النظام التراكمى في التقويم لم تطبق حتى الآن على جميع سنوات الثانوية العامة ابتداءاً من الصف الأول الثانوى حتى الثالث الثانوى . وقد اوصت الدراسة بأهمية التخلص من نظام الفرصة الواحدة في الثانوية العامة وأن تكون فلسفة التعليم الثانوى قائمة على التقويم التراكمى لإعطاء الطلاب فرص كثيرة للنجاح ، فضلاً عن الاعتماد على التكنولوجيا والأدوات واتاحتها للطلاب وتيسير الدخول على المنصات التعليمية ، كما أوصت الدراسة بإلغاء نظام التشعيب علمى وأدبى في الثانوية العامة وبدلاً منه التركيز على العلوم العصرية المتداخلة في العلوم والآداب والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعى . كما أوصت بأهمية الانتقال من التعليم التليقنى إلى التعلم القائم على نشاط المتعلم ، ومن التعلم النظرى إلى التعلم المرتبط بحياة المتعلم وسياقه وقدراته ومهاراته في بيئته (مدكور 2022).

ويؤكد محمد عيسى الكويتى في مقاله بعنوان " فلسفة التعليم في الوطن العربى " على أن التعليم له وظيفة إصلاح المجتمع ، وبناء الدولة ، والتأكيد على الوظيفة الأخلاقية والاجتماعية للتعليم في الحفاظ على هوية وقومية العالم العربى . كما يؤكد على أنه من خلال فلسفة التعليم ينبغي على الجهات المعنية استعادة العلاقة العضوية بين التعليم والحياة الاجتماعية ، والتركيز على الحريات المدنية ،

وأخلاقيات الحياة ، وضمان الحرية الدينية والسياسية وتعظيم المسئولية الاجتماعية والإنسانية ، دون تعصب أو جمود أو انحيازات أيديولوجية (الكويتى 2025) .

أي أن فلسفة التعليم ترتبط بالحالة العامة داخل أي مجتمع ولا يقف الأمر عند حدود الدولة فحسب ، بل إن فلسفة التعليم ترتبط بالقطر والإقليم والعالم كله . لأن فلسفة التعليم تعكس الفلسفة المجتمعية داخل كل مجتمع ، ونمط العيش ، والحضارة ، والتمدن ، ونسبة الفقر ، ونسبة البطالة، ونسبة الأمية ، ونسبة الجرائم ، ومعدلات العنف والتحرش والجرائم الأخلاقية والإنسانية ، ومعدلات الهجرة ، ومعدلات الجذب السياحى ، ونسبة المتاحف ، والمنشآت الأثرية والفنية والثقافية ، ومراكز وقصور الثقافة ، ونسبة الملتحقين بالمدارس ، ونسبة الملتحقين بالجامعات ، ونسبة عمالة الأطفال في سن التعليم ، ونسبة أطفال الشوارع ، والأطفال المشردين ، والأطفال في مؤسسات الأحداث ، ونسبة عمالة المرأة ، ومعدلات الوعى الصحى ، ومعدلات الإنجاب ، ومعدلات ختان الإناث ، ومعدلات الأخذ بالثأر ، ومتوسطات أعمار البشر ، وعدد المصانع التكنولوجية المتطورة ، وجودة المزارع النباتية والحيوانية ، والثروات السمكية ، وجودة الملاحة البحرية والسفن ، وجودة الحياة البرية ، وجودة الحياة الجوية واستخدام التقنيات المعاصرة في الخدمات الجوية والسياحية والطيران ، ومتوسطات دخول المواطنين مقارنة بالدول المتقدمة .....كل تلك الأمور وأكثر بكثير تشير وتدل على مستوى التعليم وتقدمه داخل أي دولة ، وتعكس مدى مستوى تقدم الأمن الفكرى وراء تحقيق إنجازات متقدمة وملموسة للعالم كله ، كما تعكس فلسفة تعليمية معاصرة ليست نظرية أو مثالية أو ماضوية تتحدث عن فلسفات قديمة وتحاول أن

تعكسها على الحقبة المعاصرة . وإنما فلسفة ترتبط بالواقع والحياة العصرية وببقاء البشر على قيد الحياة .

نعم التربية والتعليم هما أساس بقاء البشر وضمان وجودهم في حياة شديدة التعقيد القيمى والأخلاقى والمادى والإنسانى والحضارى والتكنولوجى.

فمتى ترتبط فلسفة التعليم بالحياة نفسها وبالمجتمع ومشكلاته وقضاياه ، وتتوغل في دراسات عملية دون خوف أو تقييد في حل تلك المشكلات والقضايا ، ستتسم فلسفة التعليم آنذاك بالمعاصرة والتقدم ، والتنمية المستدامة بعيدة المدى للأجيال الحالية والقادمة لقرون عديدة .

إذن الفلسفة ترسم معالم الطريق للتعليم وتحدد زوايا التوجه التي أدناها المحتوى النظرى ، وأعلاها الحياة والواقع والممارسات وتعلم القيم وتطبيقها ، والمهارات العلمية والفنية والتكنولوجية والذكية ، والنقدية ، والإبداعية ، وحل المشكلات الكبرى ، والدخول في عوالم كثيرة وفضاءات واسعة ، وتشبيكات وعلاقات معقدة من أجل التقدم وإحراز الإنجازات المشتركة واسعة المدى داخل المجتمع الواحد والمجتمعات الأخرى ، وبين الشركات والمؤسسات والمصانع وغيرها كى تتحقق إنجازات واسعة المدى في نطاق الشراكات التعليمية والصحية والعلمية والتكنولوجية والصناعية والفنية والهندسية والتصميمية والفضائية والابتكارية والجغرافية واللغوية وغيرها من المجالات التي لزم انصهارها في بوتقة واحدة لتقديم خدمات لامتناهية ، ومشروعات صغيرة ومتوسطة وكبرى لا حدود لها عبر الدولة والإقليم والعالم والعوالم الأخرى الفضائية .

فليس ببعيد علينا وجود حيوات وعوالم أخرى في كواكب أخرى بعد الاكتشافات التي تحدث كل يوم والدراسات عبر الفضائية وعلاقتها بالأرض ، والدراسات الجيوفضائية والتي تدهشنا بوجود كائنات على كواكب المريخ والمشترى وزحل وغيرها. فلنستعد لمجالات تنموية جديدة مع ذكاءات وعوالم أخرى ستتجلى في المستقبل القريب وعلينا أن نجهز لها بالعلم والدراسة والتعليم من الآن .

ليس هذا كل شيء فالتقدم المذهل في علوم البحار يكشف عن دراسات متقدمة لوجود حيوات كثيرة وكائنات بحرية في أعماق البحار على العلماء والبيولوجيين والقادة تسهيل الدراسات للبحث عن موارد جديدة في أعماق البحر قد تكون ثروات دفينة بحاجة إلى استكشافات عميقة لمعادن وثروات كاللؤلؤ والذهب والمناجم وغيرها التي توجد في أحشاء الثروات السمكية وفى أعماق البحار والمحيطات .

كل هذا على التعليم اقتحامه بأبحاث ودراسات قوية لتتجلى قوة وتقدم الدولة في اقتحام كل ما هو مجهول سواء في الفضاء أو أعماق البحار أو في الحياة البرية من خلال الاستعانة بأحدث التقنيات وأدوات وبرامج الذكاء الاصطناعى ، ومن ثم مشروعات كثيرة تدر أموالاً وأرباحاً مادية ومعنوية وانجازات وقوة معرفية لا نظير لها من جراء تلك الاكتشافات المذهلة التي تعمل على تحسين مجالات الطب والهندسة والطرق والبناء والغذاء والتعليم والصناعة وغيرها من مجالات التنمية .

وربط فلسفة التعليم بالأمن الفكرى في هذا الصدد يؤكد على مدى السلاسة الفكرية والسلامة العقلية التي تتمتع بها المجتمعات المنجزة في نظم التعليم من بداية الإعداد والتكوين الهيكلى لشكل مبانى التعليم وفقاً لمقاييس نفسية وتربوية وعلمية يصممها مهندسون بناء على توجيهات خبراء في التعليم والتربية وعلم النفس

والإدارة والفلسفة ، والتكوين النفس اجتماعى والتربوى والفلسفى للمعلمين والمشرفين والإدارين على كيفية ممارسة مهنة التعليم والإشراف والإدارة التربوية والتعليمية بحرفية وجدارة وفقاً لمواصفات ومعايير أخلاقية وعلمية معدة مسبقاً من قبل الدولة من أجل عمومها على مؤسسات إعداد المعلم والمشرف والإدارى من قبل الخدمة وأثنائها .

لهذا ليس من المستغرب أن تضم مؤسسات إعداد المعلم أقساماً لإعداد المشرف التربوى لمن يرغب في سلك مهنة الإشراف والتوجيه بدلاً من التدريس ، وأيضاً وجود أقسام للإدارى التربوى لمن يرغب في سلك مهنة الإدارة التربوية والقيادة التربوية في المدارس .

إذ ليس شرطاً أن يتم تأسيس المعلم داخل كليات الإعداد التربوى على مهنة التدريس وفقط ، بل لمن يرغب أن يمارس مهنة التعليم في صورة أدوار أخرى مثل الإشراف والتوجيه التربوى ، والإدرة التربوية ، والقيادة التربوية يجد فرصاً في أن يتخصص في ذلك دون الإضطرار إلى أخذ تدريبات أو دبلومات في الدراسات العليا كى يسلك تلك المهن ، بل يحصل على ليسانس تخصص الإشراف التربوى ، أو تخصص الإدارة التربوية ، أو القيادة التعليمية ، أو غيرها من الأدوار المتنوعة داخل منظومة التعليم فالتركيز على الإعداد المهنى والتربوى للمعلم كى يقوم بمهنة التدريس كدور رئيس في تخصصات أكاديمية معينة هذا ما هو شائع في مؤسسات الإعداد التربوية والمهنية أما ما هو معاصر هو الإعداد المهنى والتربوى في التوجيه والإشراف والإدارة والقيادة التربوية والحصول على شهادات لمزاولة تلك المهن ، ومن لم يحصل على تلك الشهادات كرخصة لمزاولة مهنة

مشرف تربوى أو موجه أو إدارى أو قائد تربوى لا يمارس المهنة مهما كان حاصلاً على تدريبات متنوعة . ذلك من أجل حماية منظومة التعليم من العديد من الممارسات الغير أخلاقية والغير مهنية التي تحدث من الكثير من القيادات والإداريين واستغلال السلطة للهيمنة أو التلفظ بشكل غير لائق أو التحريض على ممارسة سلوكيات يرفضها المجتمع والقيم ، أو بث أفكار مغلوطة وسهولة تشبع الأطفال والطلاب حيث أنه من المفترض أن يكون هؤلاء المدراء والمشرفين والموجهين والقيادات قدوة ونموذج بالنسبة لهم يحتذون بهم .

ناهيك عن الفكر التقليدي وقلة الوعى العلمى والمعرفى والتكنولوجي بكل ما هو معاصر في مجال الإدارة والإشراف والتوجيه والقيادة ، والتعامل بأساليب تقليدية قد يشوبها التعصب والجمود الفكرى ، والاستبداد والسلطوية في الإدارة والإشراف والقيادة دون مرونة أو حوار جماعى أو مراعاة للفروق الفردية أو غيرها من فلسفات التعليم المعاصرة التي قد يكون الكثير من الإداريين والمشرفين والقياديين ليسوا على دراية بها أو قراءاتها والتدريب عليها .

لهذا فإن صورة وتصور وفلسفة التعليم كى تنعم بالأمن الفكرى يتسنى أن تتغير لتصبح شاملة ومستوعبة لكافة أدوار المنظومة التعليمية والإعداد المهنى والتربوى على هذا الأساس ، أي يوجد إعداد للمعلم القائم بمهنة التدريس ، وإعداد للمعلم المشرف التربوى ، وإعداد للموجه ، وإعداد للإدارى ، وإعداد للقيادة التربوية داخل مؤسسات الإعداد التربوى والمهنى فى المرحلة الجامعية الأولى ، وليس شرطاً الإنتظار إلى مرحلة الدراسات العليا كى يدرس المعلم القائم بالتدريس بالفعل في مؤسسة تعليمية ما الإدارة أو الإشراف أو القيادة كى يسلك مهنة مدير أو مشرف

أو منصب قيادى في التعليم . أي يكون التخصص منذ بداية دخوله مؤسسة الإعداد بعد الثانوية العامة مباشرة ويكون هذا من ضمن أدوار مؤسسات الإعداد التربوى وأقسامها المتنوعة في إعداد المعلم والمدير والمشرف والقائد التربوى . ويتم تدوين هذا في رغبات الطلاب عند اختيار الطلاب للكليات في أوراق التنسيق كى يحدد الطالب ماذا يريد ، ويجد أمامه خيارات متنوعة في مزاولة مهنة التعليم وليس خياراً واحداً أن يكون معلماً قائم بالتدريس إذ قد يجد البعض صعوبة في أن يصبح مدرساً ، لكن يرى في نفسه أنه مدير جيد أو قائد تربوى متميز أو مشرف أو موجه وهكذا من أدوار متعددة ومتنوعة لمهنة التعليم يتسنى أن تبرز على السطح وأن يكون لها مكان على خريطة التنسيق والسياسات التعليمية المستقبلية .

على هذا النحو يتسنى فهم المقصود بالفلسفة عندما تدخل على التعليم ، فالفلسفة مدلولها عميق الأثر في النفس وكمجال فهو خصب وملئ بالعديد من الأفكار والمذاهب المتنوعة والمتناقضة والمتداخلة التي شكلت عقول كثيرة على مر العصور ، ولا يمكن انكار الفلسفة ، إذ أن أي شخص عاقل يمارس الفلسفة سواء كان على فهم ودراية بهذا أم لا . إلا أن فلسفة التعليم تتخطى فكرة المذاهب والأفكار المجردة والمطلقة ومحاولات إعادة إنتاجها أو سطرها في الكتب والمناهج الدراسية والمقولات والشروح وغيرها للفلاسفة في كافة الحقب أجمعها ، بل إن فلسفة التعليم هنا تعكس مدى وعى وإدراك الكيانات والقيادات التعليمية بوجود رسائل محددة للتعليم يتسنى الأخذ بها ووضعها نصب الأعين والتفكير المستمر ، بل وتأسيس لفلسفة التعليم في المستقبل .

أي أن فلسفة التعليم تنحو ناصية الصورة الكلية للتعليم في الوضع الراهن والمستقبلى ، والمبادئ والمنطلقات والركائز التي يتسنى أن تنطلق منها، وما السياسات التعليمية المحققة لتلك الفلسفة في مراحل التعليم المتنوعة؟ وما نظم التدريب والإعداد الكافية لجميع أطراف المنظومة التعليمية ؟ وما سبل التقييم والمتابعة للأداءات داخل المنظومة التعليمية ؟ ولماذا يجب أن تكون فلسفة التعليم في الدول المتقدمة أن تكون متقدمة بالمثل ؟ وعلى أي نحو يتسنى أن تكون فلسفة التعليم منجزة ومتقدمة ؟

وما البرامج التعليمية والتدريبية والتكنولوجية والفنية والصناعية والصحية والغذائية التي سيتم اعدادها من أجل ضمان تحقيق فلسفة التعليم وبيئة تعلم آمنة فكرياً ومتقدمة وتحقق إنجازات ملموسة تتجلى في سلوكيات المواطنين ، وتحضرهم ورقيهم وطرائق التعامل مع غيرهم .

إذ تعكس فلسفة التعليم أخلاقيات وقيم المجتمع التي تحرص على ممارساتها ليس فقط في أماكن العبادة والخطابات والدروس الدينية ، وإنما أن تصبح القيم الأخلاقية نمط حياة ، فكثيراً ما يؤدى الأفراد الصلوات في أماكن العبادة ويخرجون منها ليتشاجروا باليد أو ويتبادلون الشتائم والألفاظ البذيئة ، ويمارسون العنف في صوره المتنوعة ، والتحرش والبلطجة وغيرها ، الأمر الذى يدل على أن ما كان يحدث كان شكلياً ومظاهر عبادة لم تنعكس على الفكر والسلوك لتهدى الإنسان إلى السلوك المهذب والمتحضر . وإنما رسخت قناعات سلبية في الذهن وتجلت في مظاهر سلوكية موبقة ومشينة وضد مبادئ المجتمع وقواعده . الأمر الذى يدل على أن الخطب والدروس الدينية وغيرها من المظاهر اللفظية والكلامية قد لا

تؤثر في نفوس رسخت فيها عقائد الشر والفكر السئ ، والسلوكيات المريضة ، وقد يؤدون الصلوات في أماكن العبادة من أجل تحقيق سمعة ظاهرية أو ينظر إليهم المجتمع على أنهم صالحين ويعتمد عليهم في الكثير من أمور وقضايا المجتمع كى يلجأ إليهم الناس ، أو يخفون حقائق عنهم مثل الفساد والرشوة وهتك حقوق الناس وغيرها من الأمور التي تعبر عن الأمراض والجرائم الأخلاقية التي تتخفى تحت ستار دور العبادة المتنوعة ، والأعمال الخيرية ، والحديث المستمر عن الأخلاق والقيم دون قناعة وممارسات فعلية ، وغيرها من الأمور .....

تلك الصور المشينة من المواطنين لا تعكس حقيقة أي مجتمع ، ولكن رغم أقليتهم إلا أن مثل أنماط التفكير تلك تؤثر على الحياة العامة إذ نتيجة ثقة البشر في هؤلاء البشر المزيفين والفاسدين يتقلدون مناصب أو يصبحوا قادة ويشيعون الفساد داخل المجتمع سواء في دوائرهم ومحيطهم الثقافي أو في المجتمع ككل نتيجة قلة بصيرة البشر بحقيقة ونوايا البشر وما يرويدون من مكاسب على حساب الغير ، وما يريدون من تحقيق أهداف ضمنية استبدادية أو سلطوية أو نخبوية أو فساد وسرقة ونهب وغيرها من الأمور التي تنم عن وجود خلل في منظومة القيم والأخلاق في المجتمع.

لهذا كان الأمن الفكرى ضرورة حياة ، فالأفكار السليمة تؤدى إلى ممارسات سليمة ، والأفكار السليمة تنبع من قيم إيجابية مثل الرحمة والعطاء والحب والعدالة والإنصاف وعدم سرقة المال العام أو شيوع الفساد ، وإعطاء المناصب للجدارات وذوي الإنصاف وليس بشكل نخبوى أو اختيارات لحماية مصالح أشخاص فاسدين ودوائر فساد كائنة وتتسع بفضل اختيارات تقلد مناصب بناء على حماية مصالح

الفاسدين وليس بناء على القيم الإيجابية والأخلاقية التي يرتضيها المجتمع ويدشنها ، وتحقق من خلالها مصالح البشر دون تعديل أو هتك ونهب حقوقهم وأموالهم وغيرها من الأمور التي تنم عن خلل في منظومة الأمن الفكرى داخل المجتمع التي تنتشر فيه دوائر الفساد والمحسوبية واعتلاء المناصب لقيادات بناء على حماية مصالح نخبوية.

وتصبح الصورة قاتمة وبائسة ويعيش المجتمع أو المحيط الاجتماعى والثقافى الذى تنتشر فيه دوائر الفساد في حالة سكوت وصمت وعدم رغبة في العمل والتعامل مع الحياة بأكملها ، ويقل الإنتاج لأشخاص يشهد لهم المجتمع بكفاءاتهم ، وتعلو فقط على السطح أفراد وجماعات فاسدة من يتصدرون المشهد وحدهم في كل شيء دون شراكة لباقى أفراد المجتمع أو السياق المحيط . حتى وإن كان ثمة مشاركة لباقى أطراف المجتمع فتكون من باب المظاهر السلوكية لإثبات النوايا الطيبة والكائن ورائها عبث وفساد وتزييف للحقائق دون محاسبية لهؤلاء وذلك لحماية مصالح نخبوية لأشخاص فاسدين ،ويريدون تحقيق أجنداتهم الخاصة على حساب المجموع .

وتنتشر حالات الخرس المجتمعى خوفاً من العقاب ونيل الأذى ، ويسير الفاسد والمتسلط والظالم في خطواته الثابتة مستغلاً كافة الأشخاص والأدوات المساعدة لتحقيق مآربه السلطوية والهيمنة على أفكار وممارسات الأشخاص سواء في محيطه الثقافي أو المجتمعى .

كل تلك الصور المشينة والتي تؤدى إلى تدهور حالة المجتمعات ووقوعها في براثن الجهل والفساد والمرض يمحوها التعليم القائم على فلسفة قوامها العدالة

والإنصاف والتعليم للجميع مهما كانت طبقته أو لونه ، والتعليم المستند إلى الجدارات ، والأولوية للأكفاء وليس للأغنياء في تولى المناصب القيادية ، أو الذين يحمون مصالح نخبوية وفئوية تشوبها الفساد ، أو الذين يراقبون الأفراد ويكتبون التقارير بشأنهم لنيل مناصب عليا ، أو الذين يتملقون دون أية مهارات حقيقية ويعتلون مناصب قيادية ، بل الأولوية لذوى المهارات والجدارات والأهم من كل هذا حاملى القيم الإيجابية وتربوا على إعلاء المصلحة العليا للمجتمع على المصالح الفئوية أو الشخصية.

أي أن تدشين فلسفة تعليم قوية تقضى بدورها على الخلل في التفكير وفى الأمن الفكرى داخل المجتمع ، وتحمى أبناء المجتمع من كل تلك الممارسات للقيادات أو الأفراد المتسلطون في محيطهم التعليمى والثقافى والاجتماعى ، والتي قد تحبطهم وهم في مقتبل حياتهم كما يحدث من بعض القيادات الذين تقلدوا المناصب كى يعكسون تربيتهم القاسية ، وما عانوه في طفولتهم البائسة ويؤخرون مصالح الناس وحاجاتهم بناء على تركيبات نفسية واجتماعية دفينة ومعقدة منذ طفولتهم .

فالتعليم الحقيقى القائم على فلسفة وقيم إيجابية تجعل الأبناء في حالة صمود وقدرة على المواجهة والنقد والخروج من كل تلك الدوائر المظلمة وتصحيحها ، وتعديلها ناصية الفكر الصائب والسلوك السليم معاً.

وقد كثر الحديث عن القهر الوظيفى workplace oppression والذى يشير إلى حالة الاستنفار العامة من ممارسات الإدارات المتعسفة والمهيمنة على العاملين والموظفين ، والتي ينجم عنها الصمت الوظيفى Employee silence ، والسكوت قهراً عن الممارسات الإدارية المتسلطة والظالمة والغير عادلة ، وهذا

يؤدى إلى ضعف الإنتاجية للعاملين ، والموافقة القهرية على القرارات الظالمة للإدارات المستبدة، الأمر الذى يتحول تدريجياً إلى الانسحاب الوظيفى job withdrawal كنوع من أنواع الهروب الوظيفى سواء بشكل واقعى أو فعلى كالاستقالة أو التغيب ، أو نفسياً مثل فقدان الحافز وعدم الانخراط في العمل.

هذا الشعور بالقهر إذا تسرب إلى أي مؤسسة إنتاجية أو خدمية يعطل الكثير من عمليات التنمية داخل المجتمع ، ويضعف الدافعية للإنجاز نتيجة الشعور بالظلم والقهر مع صعوبة الشكوى أو التظلم نتيجة تداعيات الشكوى أو التظلم على الموظف أو الشاكى أو عدم سماع شكوى الموظفين من أساسه وإعطاء صلاحيات لا نهائية للقيادات الظالمة تفعل ما تريد ، وتمارس تهديدات لا تنته لكل من يتصدى لها ، وذلك لأنهم يحققون مصالح خاصة لدوائر وجماعات الفساد التي لا تأبه إلا لمصالحها الأنوية وفقط وتستغل سلطاتها لتحقيق مآربهم من خلال القيادات الظالمة والمتسلطة كأدوات لاعبة في سياقات متنوعة لتنفيذ أوامرهم وفقط.

وانعكاس هذا على مؤسسات التعليم والإعداد للمعلمين يشكل كارثة حقيقية لامحالة ، لأن ممارسات القهر الوظيفى على الطلاب أو المعلمين أو القائمين بإعداد المعلمين أو المشرفين والموجهين والمديرين سيؤدى إلى عودة ثقافة الصمت داخل المؤسسات التعليمية والجمود الفكرى والشعور بالخوف الدائم ، وعدم الإبداع والتطوير والنقد ، وينشئ المجتمع أفراداً ومواطنين خانعين واعتماديين وليس لديهم قدرة على العمل أو الإنتاج ، وتتراجع معدلات الإنتاج داخل الدولة لأن منظومة التعليم أفرزت الخوف والاعتمادية والصمت لدى الأبناء الذين أصبحوا مواطنين

ومن المفترض أن يكونوا فاعلين في التنمية . لكن الأمر أصبح عكس ما هو متوقع نتيجة اختيارات غير ذكية وتبعد عن النزاهة والموضوعية للقيادات التعليمية الذين يتشبعون بالقهر والتسلط والتعسف الإدارى ولا يعرفون كيف يتعاملون مع جميع أطراف منظومة التعليم من أولياء أمور وطلاب وأطفال ومراهقين وشباب ومعلمين وأساتذة ومشرفين وإداريين....

وقد أوضحت دراسة حديثة عن التجاهل الوظيفى workplace ostracism بعنوان" عواقب التجاهل الوظيفى مراجعة ميتاتحليلية " consequences of workplace ostracism: A meta analytical review" ، وبينت الدراسة أن التجاهل الوظيفى ينظر إليه على أنه " الموت الاجتماعى " social death وله آثاراً سلبية خطيرة على الموظفين ، ومستقبل عملية التوظيف ، وحوكمة الرضا الوظيفى للعاملين ، والرفاهية النفسية لهم وتأثيراتها على الإنتاجية والتنمية . وقد أكدت الدراسة باستخدام مقياييس متعددة مثل مقياس المواقف والاتجاهات وتقدير الذات المؤسسى ، أن هناك علاقة قوية بين تقدير الأفراد لذواتهم ، وتقديرات المؤسسية لهم ، وأن عمليات التجاهل الوظيفى تتعلق بالسلوك المؤسسى والثقافة الوطنية ، والالتزام التنظيمى للمؤسسات ، الأمر الذى بات يشكل خطورة وعوامل ضاغطة على الموظفين والعاملين داخل المنظمات التي تمارس التجاهل الوظيفى ، وتؤثر على رفاهيتهم النفسية ودافعيتهم للعمل والاندماج مع جماعة العمل ، ويزداد الشعور بالتجاهل الوظيفى وسلبياته مع الأفراد أكثر من الجماعات (Li et al , 2021) .

ولعل تفسير ذلك أن الجماعات لديهم شعور قوى بقدراتهم سواء داخل المؤسسة أو خارجها لذلك قد تؤثر عليهم عمليات التجاهل الوظيفى وعلى سلوكهم الوظيفى لكنهم لديهم حلول سريعة إما بالهروب والانسحاب الوظيفى لمكان يتمتعون به بتقديرات مؤسسية عالية ، أو التغاضى عن ممارسات التجاهل الوظيفى وإثبات وجودهم بطرق مشروعة مثل الشكاوى أو التظاهر السلمى أو غير شرعية بأفكار تخريبية وتدميرية .

لهذا فإن بيئة العمل الآمنة فكرياً تتمتع بالصحة النفسية والاجتماعية ، والروح الخالية من الضغائن ، والمصالح الخاصة أو محاولات طمس العاملين من أجل التسلط والهيمنة .

فدائرة السلوك لا يمكن أن تتجزأ أو تقاس بشكل جزئى فالسلوك الفردى يؤثر على السلوك الجمعى ، والسلوك المهنى ، والسلوك التنظيمى ، والسلوك القيادى ، والسلوك الاجتماعى ، .....إذ أن حلقات الدوائر للأداءات السلوكية تتسم بالمنظومية وليست الخطية أو الممارسات الجزئية فكل سلوك ينعكس على الآخر ليشكل السلوك المنظومى للمجتمع ككل .

هذا ما يتسنى على فلسفة التعليم إدراكه ومعالجته قبل البدء في تصميم السياسات التعليمية والقرارات التي تتعلق بالمنظومة التعليمية .

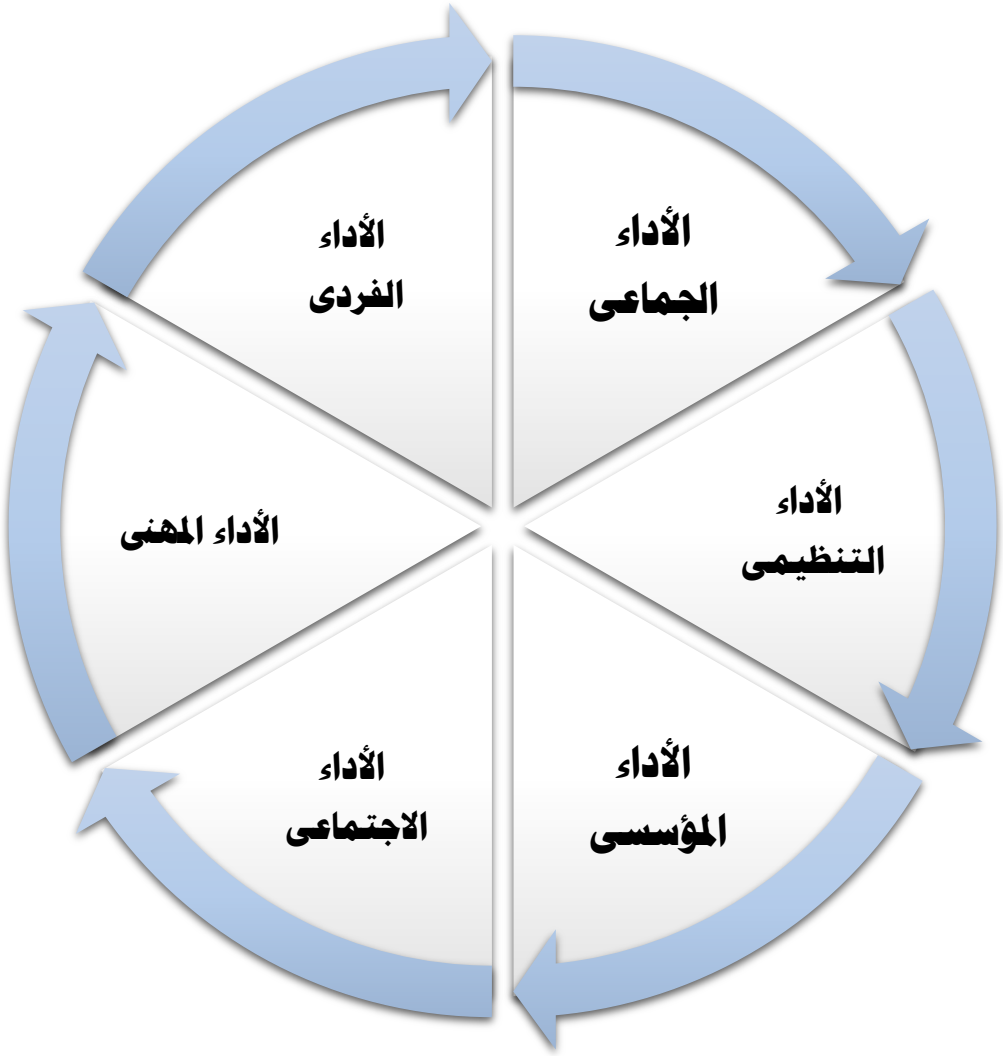

مخطط (4) **يوضح منظومة الأداءات**

ولهذا السبب كان الأمن الفكرى جزء لا يتجزأ من فلسفة التعليم الحالية والمستقبلية لأى دولة ، **وتحقق فلسفة التعليم الأمن الفكرى في الأبعاد الإدراكية التالية** :-

أولاً : الفهم الشامل للسياق التعليمى

لا يمكن بأى حال من الأحوال تحقيق الأمن الفكرى دون دراية كافة بالمنطلقات الفكرية والأيديولوجية والاجتماعية والثقافية للسياق التعليمى المحيط ، وفلسفة

المجتمع الذى تنطلق منه فلسفة التعليم . فإذا كانت بيئة التعلم في بيئات اجتماعية بسيطة ومتوسطة تكرس العلاقات الاجتماعية والروابط الاجتماعية والمناسبات، وتقدس الشعائر الدينية والاحتفالات الاجتماعية وتتسم بالتماسك الاجتماعى القوى ، فإن فلسفة التعليم يتسنى أن تعكس تلك الروابط الاجتماعية والمناسبات التي تحقق التماسك الاجتماعى ، وتعززها بشكل إيجابى يحفز الدارسين وأبناء المجتمع على التعليم والتعلم وربط المناهج والمقررات والأنشطة بالبيئة التي يحدث فيها الموقف التعليمى ، وذلك لأن ليس هدف فلسفة التعليم في تحقيق الأمن الفكرى هو طمس الثقافة أو معالم هوية الأبناء وإنما تعزيزها بشكل إيجابى ومحفز للعمل ، والتصدى لكافة الممارسات المنحرفة أو الأفكار المغلوطة التي تعرقل مسيرة العمل والإنتاج والتعلم والرقى .

إذ قد تكون السياق التعليمى وسط بيئة تنتشر فيها الأسواق للبيع والشراء الخضروات والملابس والأدوات المنزلية وغيرها من الأمور ، وقد تنتشر الممارسات السلوكية المنحرفة الغير محببة والتي يستهجنها المجتمع أثناء ذهاب الأبناء للمدرسة وعودتهم ويتشبعون بتلك الألفاظ البذيئة والممارسات العنيفة التي أشبه بالبلطجة . لذلك لا يمكن تحقيق الأمن الفكرى داخل هذا السياق دون معالجة شاملة للسياق المحيط بالتعليم وتقنين المكان وتجميله ، وخلوه من الممارسات المنحرفة والسلوكيات المستهجنة من الباعة أو التجار وغيرهم . وأيضاً هذا السياق الاجتماعى الاقتصادى المحيط بالبيئة التعليمية ، والذى تكثر به الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية يعد فرصة كبيرة للتعلم ومعرفة الكثير عن عمليات البيع والشراء والتجارة ، وكيفية التعامل مع الزبائن ، والمكسب والخسارة ، ودراسة اقتصاد السوق ، وكيفية الحصول على الأرباح .....هذه الأنشطة

الاقتصادية الاجتماعية داخل السياق المحيط ببيئة التعليم يجب استثمارها لخدمة التعليم بمعنى توظيفها في مناهج التعليم والتدريبات على آليات السوق ، وتكوين رواد الأعمال من خلال المشروعات الصغيرة ، وإن كانت الظروف المادية مواتية يمكن تصميم نفس بيئة السوق والتجارة داخل المدرسة كنماذج محاكاة حقيقية لما يحدث داخل المجتمع والسياق الذى اعتاده وألفه الأطفال كل يوم أثناء ذهابهم وعودتهم إلى المدرسة .

في هذه الحالة لا يمكن أن يخجل الطفل أو الطالب أو المراهق أو الشاب من بيئته لأنها مصدر الثروات التجارية والاستثمارية وأدرك ذلك عندما مارس أنشطة وتدريبات حثته على ممارستها مناهج التعليم والمقررات التي تربط التعليم بالبيئة ، فتعلم الطالب عالم السوق والتجارة بشكل علمى ومدروس ، وأعد مشروعاً تجارياً متكاملاً به خطة محكمة وتصور عن اقتصاد السوق ، والاستثمار الأمثل ، والتنظيم وترتيب الأولويات الذى يمكن أن يحقق أضعاف الأرباح الحالية التي يحكمها عشوائية السوق ، ومن ثم يبدأ الأطفال والطلاب يفكرون ويبحثون عن تطوير للمشروعات التجارية وتبزغ هنا النواة الأولى لرواد الأعمال في المستقبل .

وبالمثل هذا ينطبق على البيئة الزراعية المحيطة بالسياق التعليمى ، والبيئة الصناعية المحيطة بالسياق التعليمى ، والبيئة الساحلية المحيطة بالسياق التعليمى . من هنا فإن تصورات الطلاب الذهنية عن مستقبل البيئة التي يعيشون فيها ينبع من المشروعات والأطروحات والأنشطة الكثيرة التي يمارسونها داخل المدرسة وخارجها من أجل تطوير وتحسين واستثمار أفضل للبيئة المحيطة بالتعلم سواء تجارية أو صناعية أو زراعية أو ساحلية .

ومن هنا لا وقت للعبث الفكرى أو الانحرافات السلوكية أو التطرف الفكرى لأن الأبناء يتعلمون ويدرسون كيف يطورون بيئاتهم ،وكيف يقنعون بمساعدة الدولة والمحليات العاملين داخل البيئة بأهمية التحسين والتطوير والاستثمار الأمثل لخلق بيئة متحضرة وراقية وتتمتع بالثقافة الأصيلة بالمجتمع والروح الاجتماعية والروابط في المناسبات والأجازات والاحتفالات بشكل يدل على الاستقرار والأمن الفكرى للمجتمع .

ثانياً :تحريك كافة الجهات المنوطة والمساعدة لمنظومة التعليم

إذ لا تجدى أي محاولات لبث الأمن الفكرى في التعليم دون إدراك ووعى وحركة ملموسة للجهات المعنية بالتعليم والمساعدة مثل الصحة والداخلية والنقل والبيئة ، وكل الجهات التي تسهم بدورها في ضمان تحقيق الأمن الفكرى داخل منظومة التعليم من حيث التعليم الحقيقى المثمر ، والصحة الجيدة للمتعلمين ، ووسائل نقل وطرق آمنة للمواطنين وأبنائهم ، وبيئة صحية خالية من التلوث والعشوائيات ، وحياة آمنة لها ضوابط قانونية وأخلاقية لمنع العنف والتطرف والإرهاب وغيرها المتطلبات التي من صميم عمل الداخلية لحفظ الأمن والاستقرار.

تحريك كل هذا على أرض الواقع يعكس قيمة وفلسفة التعليم في تحقيق أسمى أهدافها وهو الأمن الفكرى للأبناء، وتخريج للمجتمع مواطنين ملتزمين وفاعلين ومنتجين ومشاركين ومبدعين كل في مجاله ،ومنتمين للدولة بإنجازاتهم وأفعالهم وليس بجنسياتهم أو مقولاتهم أو خطاباتهم اليومية .

وهذا الأمر يتسنى أن يشعر به المواطن العادى كى يدرك أن بيئة التعليم آمنة ومتوفرة ومحاطة برعاية من جهات كثيرة تكرس جهودها من أجل تعليم أفضل

وآمن ، وركيزة التقدم والرقى والحياة الفكرية والسلوكية الآمنة ، وبدون التعليم بهذه الصورة الشاملة والكلية يحدث الشتات والدمار المجتمعى .

وهذا لا يحدث ما بين ليلة وضحاها بل يأخذ الكثير من السنوات كى يحدث ، ولكنه يبدأ بصورة تدريجية ومرحلية تحدث مع تغير المجتمع، وسلوكيات الناس التى يغيرها ويحركها للأفضل التعليم والتربية الحقيقية المبنية على ممارسات واقعية وليست نظريات أو مقولات وخطابات تربوية وتعليمية خاوية من الأفعال وردودها التي تحكم المعاملات والتعاملات بين البشر .

فعندما تكثر التقارير الدولية والأبحاث والدراسات والأطروحات العلمية عن العنف والبلطجة والطلاق والانحرافات السلوكية والجرائم الأخلاقية والقانونية ، والفساد ، والمحسوبية ، والفقر ، والحرمان والمعاناة والسرقات ، .....يدل هذا على عموم تلك الجرائم وانتشارها بكثرة داخل المجتمعات بنسب كبيرة لدرجة أنها أضحت ظواهر تستدعى الدراسة والبحث . كما يشير إلى أن التعليم والتربية لم يجديا في شيء طالما كثرت الممارسات السلوكية الخارجة عن نهج المجتمع وقوانيه الوضعية والخلقية والإلهية أيضاً . ويشير بالمثل إلى أن النظريات والمقولات والخطابات الكلامية والنصائح المباشرة لم تفض إلى شيء ولم تعدل سلوكيات الناس للأفضل ، وتحسن وتهذب من تعاملاتهم داخل المجتمع .

لهذا كانت المواقف التربوية العملية والأنشطة السلوكية المستمرة ، وتقييمها باستمرار بأدوات ومقاييس مبتكرة وفعالة تعدل من أفكار الناس وتصوراتهم الذهنية نحو أنفسهم والمجتمع والناس والدولة ، وتعمد إلى مشاركتهم في كل أنشطة المجتمع الحيوية دون تهميش أو استبعاد ، كل هذا سيحرك تدريجياً المعاملات

والسلوكيات البشرية ناصية التوازن والتصرف الأخلاقى والمجتمعى المقبول والمتفق عليه داخل المجتمع سواء المحلى أو الدولى .

3-التفكير الأحادى والتفكير الجمعى

تحتاج منظومة التفكير إلى دراسات علمية مستمرة ، إذ تعد منظومة التفكير موطن الحياة داخل أي مجتمع وأى مؤسسة وأى كيان سواء رسمي أو غير رسمي.

وعندما يتعارض التفكير الأحادى للفرد مع التفكير الجمعى تحدث مشكلات كثيرة مالم يثبت صاحب التفكير الأحادى بالأدلة المنطقية القوية أهمية الزعم الذى يطرحه ، وأنه سيفضى إلى نتائج إيجابية عليه وعلى السياق المحيط به أو المجتمع ككل.

أما ،وإن تعارض التفكير الفردى مع التفكير الجمعى دون أدلة واضحة أو نتائج إيجابية وفعالة ، فهذا يشير إلى خلل ما في التفكير لدى الفرد الذى يقترح أو يمارس بالفعل أفكاره غير المجدية ، ويحاول فرضها على المجتمع أو الجماعة التي ينتمى إليها إما باستغلال السلطة والقوة أو باستخدام الحيل والدهاء وكافة الأساليب الغير مشروعة كى يحقق أفكاره التي تؤثر على الجموع ، ويتحول حينئذ التفكير من أحادى إلى تفكير جمعى بفعل حالة التأثير الفكرى التي يمارسها الفرد المتسلط على الجماعات أو المؤسسة أو المجتمع . وفى تلك الحالة يتسم الجموع بالوعى السالب أو غائبى الوعى والإدراك بمخاطر الطرح أو الأفكار التي يحاول بثها الفرد أو النخبة على المجموع .

ومن ثم فالعلاقة بين التفكير الأحادى والتفكير الجمعى علاقة جدلية وتناقضية ،حيث لا يمكن التنبؤ بها إلا في إطار السياق الفكرى وتاريخه والممارسات المتبعة في تلقى الأفكار والتعليمات وغيرها ، ومساحة المناقشات والتحليلات والنقد الممكنة داخل السياق الفكرى . فقد يكون السياق الفكرى طارد وقاهر بحيث يتشبع بثقافة السكوت والصمت نتيجة ممارسات استغلال السلطة والقهر الفكرى على التفكير الجمعى . ومن ثم فالتفكير الأحادى في تلك الحالة هو نفسه التفكير الجمعى حيث الموافقة والتأييد دون تحليل أو نقاش أو نقد أو طرح بدائل أو محاولات تقريب وجهات النظر والوصول إلى أرضيات مشتركة .

وقد يتصف المبدعون بالتفكير الأحادى ، إلا أن أفكارهم البراقة والإبتكارية عليهم ثبوتها بالأدلة العلمية والعملية والنتائج المثمرة كى تتحول الفكرة الإبداعية إلى ممارسات إيجابية تخدم الفرد والمجتمع على السواء .

والحال هذه فالأمر يكون محموداً ويتطلب حضانة الأفكار الإبداعية الفردية لأنها تؤدى إلى مستقبل أفضل . أما في حالات التفكير الأحادى التي تفتقر إلى المنطق والاتساق الفكرى ولا يمكن أن يصدقها عقل ، وتؤدى إلى الشتات والتفرقة والتخريب والفجوة المجتمعية فإنها بحاجة إلى مقاومة من أجل حماية المجتمع من عمليات الاستلاب والضلال الفكرى القائم على القهر والعنف والإرهاب الفكرى.

والسؤال هل التفكير الجمعى إيجابى على طول الخط؟

الإجابة لا بالطبع ، لأن التفكير الجمعى يعتمد على الثقافة التي يتشبع بها المجتمع ، فإذا كانت الثقافة قائمة على الصمت والطاعة العمياء دون أخذ الرأي ، والمفاوضات ، والاعتدال والقسط ، فإن التفكير الجمعى قد يؤدى إلى انهيار

تدريجى للمجتمع نتيجة قلة الوعى وتغييب جموع الناس عن المشاركات والتحليل والنقد . وكل هذا ينبع من تدنى حالة التعليم ووقوفه على الجانب النظرى دون تقييمات لتأثيرات التعليم على سلوكيات البشر وطرائق تفكيرهم .

أما إذا كان التفكير الجمعى مبنى على قواعد يعلمها المجتمع جيداً ، وأصول فكرية سليمة وإيجابية ، سيتحول إلى حلقات ابتكار وابداع وإنجازات وليس مجرد تفكير لجموع الناس أو جماعة أو سياق مؤسسى معين .

وفى المجتمعات التي تحكمها الثقافة الأنوية أو الفردية يتسم التفكير الجماعى Group think بالتفكير التآمرى أو التفكير الضاغط الذى يحقق مصالح خاصة على حساب الآخرين من خلال اتخاذ قرارات تحمى المصالح الخاصة وليس مصالح جموع فئات المجتمع أو الكيان المؤسسى . لهذا في كثير من الأحوال يتحول التفكير الجماعى إلى تفكير لرأى فرد واحد وفقط دون استقلالية فكرية أو اتخاذ قرارات موضوعية تخدم جموع الناس بشكل عادل ومتوازن ويفتقر إلى الإبداع .

لهذا فالتوازن بين التفكير الأحادى والتفكير الجمعى مهم جداً بأساليب متوازنة ليس من بينها القهر الفكرى أو استلاب الوعى ، وإنما بالحوار والتحليل والنقد والأدلة القوية ، والتي تتسق مع منطق العقل ، والتوصل لحلول عملية وأرضيات مشتركة ، وقرارات تخدم جموع الناس ، وليس فئات خاصة على حساب الجميع .

ومن ثم فتصميم المناهج بهذه الفلسفة المتوازنة، وتدريب المعلمين والطلاب وأولياء الأمور والقيادات على هذا الإتزان الفكرى بين الفرد والمجتمع ،وبين التفكير الأحادى والجمعى ، فإن ذلك سيفضى إلى تحقيق الأمن الفكرى بشكل انسجامى

وتوافقى ، بل يتسرب الأمر إلى إطلاق ابداعات وانتاجات فكرية غير متوقعة من الجميع ، فضلاً عن الشعور بالأمان الوظيفى والتعليمى والمجتمعى داخل المؤسسة أو البيئة أو الدولة كلل .

4-بيئة تعليمية خاوية من الخوف على المستقبل

متى يعرف المجتمع أن كل فرد خلق وله دور محدد في المجتمع ، وأن كل فرد يختلف في المهارات والقدرات وطرائق التفكير عن الآخر ، وليس الجميع بنفس نمط الشخصية أو قوالب معرفية وإدراكية واحدة ، فمتى أدرك المجتمع والدولة كل هذا سيصبح التفكير آمن ، وفلسفة التعليم تتسم بالمرونة والإبداعية دون قيود . بل يعرف الأطفال والطلاب والكبار والمعلمين والمسئولين أن لعبة الدرجات والشهادات ما هي إلا رخصة للوصول إلى مرحلة تالية أو التعيين في وظيفة ما ، أو الترقى للمناصب ، أما التقييم الحقيقى يتجلى أثناء العمل لا قبله أو بعده ، وأثناء عملية التعلم والتدريب ، وليس فقط في الاختبارات النظرية أو في نهاية العام. وليس أيضاً هذا هو المقصد ، بل الغرض أياً كانت نتيجة التقييم سواء شفهياً أم تحريرياً أم عملياً أو قبل التعلم أو أثناءه أو بعده .....أياً ما كانت النتيجة فلازال التعلم قائم ، ولازال الإنسان موجود ويستطيع أن يصل إلى ما يصبو إليه بالعمل والإنتاج والاجتهاد ، وصقل المهارات والجدارات كى يصل إلى هدفه الذى قد رسمه لنفسه وليس للآخرين ،أو ترك الوالدين تشكيل حياة الإبن أو الإبنة بشكل كلى دون أخذ رأيهم أو معرفة قدراتهم الحقيقية .

كل انسان خلق من أجل أن يشكل مصيره بمجهوده وكده ، ولا يمكن لأحد أن يحكم على الآخر أنه جيد أو سئ في قدراته أو مهاراته ، ذلك لأن القدرات متنوعة

والذكاءات متنوعة ، ولهذا يمكن الحكم على المستوى الذى يؤهل المرء للدخول في مجال معين أو مكانة معينة أو وظيفة معينة وفقاً للمعايير والتقديرات الموضوعة للعمل أو المراحل التعليمية لكن من الصعوبة بمكان الحكم على قدرات إنسان بأنه ناجح أو فاشل دون تحديد المجال أو المستوى الذى نجح فيه أو أخفق فيه .

فقد لا تحرز فتاة أعلى الدرجات في الثانوية العامة للالتحاق بالكلية التي تريدها منذ الطفولة ، ولكنها عندما اضطرت الدخول في كلية أخرى حققت إنجازات وابداعات وتفوقت وأصبحت معيدة في مجال آخر يتفق مع قدراتها العقلية والمهارية والعملية.

وقد يفشل طالب في الثانوية العامة ، ويحاول مراراً وتكراً دون جدوى لأن قدراته على التركيز وامتلاك المهارات المعرفية ضعيف جداً ، في حين أن الأعمال الحسابية والتجارية والتكنولوجية ينجزها بسهولة ، وعندما اضطر لتحويل المسار إلى ثانوى فنى تجارى تفوق بشكل أدهش الجميع ، بل استطاع دخول كلية التجارة ليصبح بعدها مؤسساً لأكبر شركة تجارية في الأنشطة التكنولوجية والسيبرانية على مستوى الشرق الأوسط ثم العالم وحقق استثمارات مذهلة في هذا الصدد وأصبح ملياردياً .

ولحظة واحدة لإدراك ماذا فشل هذان الطالبان فيه ؟ سنجد الإجابة أنهما لم يفشلا بل لم يجدا من يكتشف قدراتهم الأساسية وينميها كى يتفقوا فيها مثلما اضطرتهم الظروف لاكتشافها .

أي أنه ثمة أكذوبة اسمها " الفشل" فالفشل مصطلح أرداه الكسلاء كى لا يكتشفوا مهارات الحقيقية أو كى يحبط الآخرين الأفراد من أجل مزيد من الهيمنة الفكرية عليهم .

لهذا السبب لا توجد أماكن تعلم أعلى من أماكن أخرى ، فلا توجد مدارس أفضل من مدارس ، ولا كليات أفضل من كليات في الترتيب والدرجة والمستوى ، بل توجد قدرات في كل مدرسة وفى كل كلية وفى كل مؤسسة تعليمية علينا العمل على أدوات استكشافية لوضع الأبناء في المسارات التي يقدرون الإبداع فيها دون تهميش أو استبعاد أحد .

لهذا فالجميع يتعلمون ، ويتدربون ويكتشفون قدراتهم لا من أجل الدرجات والتقديرات والعلامات وغيرها من الأمور الشكلية ، والتي قد تكون أدوات للإحباط واليأس ، وإنما تعمل المؤسسات التعليمية والقيادات التعليمية على بث روح الطمأنينة للجميع ، وأنه ثمة تخصصات متنوعة لجميع القدرات والجدارات وثمة بالمثل أماكن للجميع سواء للتعليم النظرى أم التكنولوجى أو العملى أو الطبي أو الهندسى أو التقنى أو الفني أو العلمى أو الأدبى أو الفضائى .....المهم دوماً أن يكون ثمة هدف يسعى الإنسان لتحقيقه . أما عند ضياع الأهداف أو عدم وضوح الرؤية أمام الطفل والطالب والمعلم وولى الأمر والقيادات التعليمية فالنتيجة لن تكون سلبية على الطفل أو الطالب وحده بل على المجتمع ككل لأن منظومة التعليم قد ساهمت في إحباط وعرقلة مسيرة الأطفال أو الطلاب نظراً لعدم توجيههم ووضعهم في المسارات التي تناسب ذكاءاتهم المتنوعة وقدراتهم المختلفة .

إذ أنه متى تسرب الوعى والإدراك لجموع الناس بأن الأبناء لا يمكن تحديد مصائرهم بشكل مطلق ، أو من خلال الدرجات او التقديرات ، وإنما بالقدرات الحقيقية التي يمتلكونها ، وسوف يتفوقون فيها في المستقبل دون خوف على مستقبلهم .

وما يحدث كل عام من قلق الثانوية العامة وحوادث الانتحار التي تحدث من قبل الكثير من الفتيات والفتيان إما بسبب الطموح الزائد دون معرفة القدرات الحقيقية ، أو بسبب الضغوط الغير مبررة من الأهالى وأولياء الأمور والأقارب وآمالهم في التحاق الأبناء كليات بعينها أسموها بكليات القمة . وتلك التسمية خالية من الصحة تماماً إذ أن كل كلية تخدم قطاع بعينه من قطاعات التنمية ، وتتحدد نسب القبول كل عام ، وشروط الالتحاق بتلك الكليات يرتبط بالمجموع النهائي ليس الطالب هو العامل الرئيس في هذا ، وإنما كل دولة تدرس احتياجاتها السنوية من عدد الملتحقين والمنتسبين للكلية ، وليس شرطاً أن يكون مجموع الطالب صغيراً أم كبيراً في تلك الحالة . لهذا فإن أولياء الأمور يحملون الطالب أو الطالبة فوق طاقاتهم بسبب الدرجات والتقديرات التي لم تؤهلهم للالتحاق في كلية معينة رغم أن هذا الأمر تحكمه ظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية أهمها احداث التوازن بين قطاعات التنمية داخل المجتمع لتلبية كافة متطلبات واحتياجات المجتمع في كافة مجالاته وليس في مجال أو مجالات محددة مثل الطب والهندسة والصيدلة وحسب .

ومن ثم فإن التفكير على هذا النحو من قبل جموع الشعب لا يمكن أن يحقق الأمن الفكرى المنشود في مواطني المستقبل ، بل دوماً يضعون أبنائهم في حالة

خوف وقلق دائم على مستقبلهم سواء في مراحل التعليم أو التوظيف أو اعتلاء المناصب ، فهذا الترقب الشديد لمصير الأبناء أمور تسترعى الدراسة والانتباه والوعى الدائم بأن مصائر البشر بأيديهم وليس بأيدى ذويهم ، بل ما على الأهل أو المعلمين أو القيادات التوجيه والنصح والمساعدة والإرشاد للوصول بالأبناء إلى عتبات الأمن والأمان والتقدم والإنجاز.

وفى هذه الحالة ليست فقط فلسفة التعليم هي من تحقق الأمن الفكرى ، وإنما فلسفة المجتمع بالمثل التى عليها أن تتغير وتدرك أهمية الإنسان ووجوده في الحياة، واكتشاف قدراته المتنوعة وتوظيفها بصورة صحيحية أكثر من الاعتماد على الدرجات والتقديرات والشهادات ، وغيرها من الأمور التي من الصعوبة الاعتماد عليها بشكل كلى في الوقت الراهن مع تعقد الحياة العصرية التي تتطلب امتلاك حزم من المهارات والجدارات كى يحيا الإنسان فكرياً وعملياً بشكل أفضل .

.....

الفصل الخامس

سيكولوجية الأمن الفكرى

الفصل الخامس

سيكولوجية الأمن الفكرى

مثلما يبدأ الإنسان في التفكير بمفرده، فإن أمنه الفكرى مرتبط بعملية التفكير تلك التي تستحوذ على عقله لتتحول إلى ممارسات سلوكية إما إيجابية أو سلبية .

ومن ثم فالتحليل السيكولوجى لتفكير الإنسان يعد أساس لفهم الفكرة التي انطلقت وصارت نمطاً سلوكياً. وكما أوضحنا في فصول سابقة أن الفصل القاطع بين ما هو نفسى أو اجتماعى أو دينى أو بيئى أو ثقافى أو سياسى يكون على مستوى البحث والدراسة فحسب لكن في الواقع العملى قد يشتبك ما هو نفسى بما هو اجتماعى ثقافى وبيئى وسياسى ودينى ليشكلوا شخصية الإنسان ، والمنطلقات الفكرية التي تنبع منه .

أي أن نسبة عملية التفكير للفرد بشكل مجرد من السياقات المحيطة به من الصعوبة بمكان التفكير فيها ، ذلك أن الإنسان يتشبع بالمحيط الثقافي والاجتماعى والسياسى والدينى الذى جبل عليه أو يعيش فيه .

ومحصلة التفكير البشرى تعد جملة تلك العوامل مجتمعة ، ولا يمكن فهم تفكير الإنسان ونواياه في التفكير دون دراسة السياقات المجتمعية المحيطة به خاصةً في موضوع متداخل ومتشعب مثل الأمن الفكرى .

وقد أعد كلاً من أحمد عزازى وحسام محمود "مقياس للأمن الفكرى" عام 2022 ، وقد تم تعريف الأمن الفكرى من وجهة نظر الباحثان على أنه " قدرة الفرد على التصدي للأفكار الهدامة من الناحية الشخصية متمثلاً في رفض التبعية الفكرية ،

ومدى قدرته على مواجهة الأفكار المتطرفة وثقته بذاته ، ومن الناحية الدينية في ثقته بدينه والتسلح بالمبادئ والقيم ، ومن الناحية النفسية متمثلاً في انفعالاته تجاه الاتجاهات الفكرية من الرضا والطمأنينة والاحتواء إلى القلق والتوتر والضيق والقدرة على التعبير عن انفعالاته ، ومن الناحية الاجتماعية متمثلاً في شعور الفرد بالمسئولية الاجتماعية تجاه مجتمعه ومشاركته في المناسبات ، ويقاس الأمن الفكرى بأبعاده الإجرائية التي وضعها الباحثان والدرجة التي يحصل عليها المفحوص عند الإجابة على بنود المقياس" (عزازى ، على 2022، 190).

ويتكون المقياس من 35 مفردة موزعة على أربعة أبعاد " الجانب الشخصى ، الجانب النفسى ، الجانب الدينى ، الجانب الاجتماعى " والعبارات ثلاثية التقدير " نعم ، أحياناً ، لا)، ويصلح المقياس للتطبيق الفردى والجماعى .

ويعد هذا المقياس هو الأول من نوعه عن الأمن الفكرى وتطبيقه في البيئة المصرية(عزازى ، على 2022، 190-194).

ومثل هذه المقاييس تكشف مدى الأمن الفكرى الذى يتمتع به أفراد المجتمع ذلك لأنها تتضمن أبعاد متشعبة تمس حياة الإنسان بأكملها النفسية والاجتماعية والشخصية والدينية والعملية . ومن ثم الإكثار من تلك المقاييس داخل جميع المؤسسات وتحليل الاستجابات المتعلقة بها تبرز المشكلات النفسية الخطيرة التي يتعرض لها الإنسان من جراء طرائق تفكيره التي هي بالأساس نتاج المحيط الثقافي والمجتمعى الذى يعيش فيه .

وقد صممت دراسة أخرى مقياساً للأمن الفكرى على طلاب التربية الأساسية بجامعة المستنصرية ببغداد بعنوان" بناء مقياس الأمن الفكرى لدى طلبة كلية

التربية الأساسية الجامعة المستنصرية"، وصمم الباحث المقياس وفقاً لستة أبعاد رئيسة مؤثرة في الأمن الفكرى للطلاب وهى : بعد المواطنة ، والبعد الأخلاقى ، والبعد الأمني ، والبعد الثقافي ، والبعد العقائدى ، والبعد الإعلامى .

وأكدت الدراسة أن الأمن الفكرى يستند إلى بعدين أساسيين يشكلا شخصية الإنسان ،وهما التصور العقلى السليم ، والمسلك النفسى القويم . فالعقل يربط المعلومات الحسية بالواقع ، والنفس تلبى احتياجاتها وغرائزها واشباعها بربطها بالمفاهيم الفكرية.

ولهذا يوجد نمطين للشخصية بناء على هذا :-

الشخصية المتسقة والمتزنة عقلياً ونفسياً: وهى التي تتفق طبيعتها الفكرية والعقلية مع الطبيعة النفسية ومن ثم يحدث الاعتدال والسواء النفسى .

الشخصية المتناقضة والغير سوية : وهى التي تنفصل فيها القاعدة الفكرية والطبيعة العقلية للفرد والمفاهيم التي جبل عليها ، عن القاعدة النفسية والتكوين النفسى ورغبات الفرد ودوافعه التي تقاس بمفاهيم مختلفة عن التي تكونت بها عقليته. ومن ثم يحدث خلل الاتزان الفكرى والسلوكى للشخصية .

وقد حددت الدراسة ثلاث عوامل رئيسة مؤثرة على الأمن الفكرى هم العامل الاجتماعى مثل التحول في القيم والسلوكيات الاجتماعية ، واتجاه الأفراد والمجتمع نحو الاستهلاك والسعى إلى اشباع رغباتهم واحتياجاتهم في الرفاهية والعيش الكريم .

والعامل الاقتصادى وهو العامل المشترك بين معظم أنواع الجرائم ، ويسهم في انتشار الفقر والبطالة والعجز عن تلبية الاحتياجات الأساسية والثانوية للأفراد والجماعات.

وعامل الإعلام : الذى يتضمن البث الفضائى المرئى والمسموع والانترنت وما بها من إيجابيات وسلبيات ، الأمر الذى جعل مصادر تلقى التربية والتعليم متنوعة ومتباينة وتختلف توجهاتها الفكرية في كثير من الأحيان عن ثقافة المجتمع .

وقد طبقت الدراسة مقياس الأمن الفكرى متدرجاً وفقاً لمقياس ليكرت الخماسى (دائماً، غالباً، أحياناً ، نادراً، أبداً) ، وفقاً للأبعاد الست للمقياس. واقترحت الدراسة تطبيق المقياس في الدراسات الأمنية للكشف عن مستوى الأمن الفكرى لدى فئات مختلفة من الأفراد ، واجراء دراسة تستهدف معرفة العلاقة بين الأمن الفكرى وسمات الشخصية ، وبناء برنامج ارشادى لتنمية مفهوم الأمن الفكرى لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة (جبر 2018، 570-587).

مما سبق يتضح أن السلامة الفكرية للعقل ترتبط بنمط الشخصية واتزانها ، كما يرتبط بمحددات السلوك الإنسانى في علاقاته المتشبعة واختلاف الأدوار داخل المجتمع .

وقد ربطت دراسة صبحية أحمد عبد القادر بين انعدام الأمن الفكرى وبين السلوك المتطرف بعنوان " **The Predictive Value Of Intellectual Security Of Extremist Behavior In A Sample Of Adolescents** القيمة التنبؤية للأمن الفكرى للسلوك المتطرف لدى عينة من المراهقين . على عينة من المراهقين بمحافظة القاهرة قوامها 245 طالب في العام الأكاديمى 2021 -2022 .

وقد استخدمت الدراسة مقياس الأمن الفكرى صممته الباحثة من أجل التعرف على العلاقة بين الأمن الفكرى والتطرف الفكرى للمراهقين ، وأوضحت الدراسة أنه توجد علاقة سلبية بين الأمن الفكرى والتطرف الفكرى للمراهقين ، حيث أنه كلما كان تأثير مستوى الأمن الفكرى عالياً ، قلت مظاهر التطرف الفكرى والسلوكى للمراهقين .

وقد صممت الباحثة مقياساً للأمن الفكرى بناء على أربعة أبعاد : البعد الاجتماعى ، والبعد المدنى ، البعد المعنوى ، والبعد النفسى . كما وضعت الباحثة أبعاد أربعة للتطرف الفكرى وهم : بعد الجمود الفكرى ، وبعد التعصب، وبعد الرؤية الأحادية ، وبعد الاستبداد .

كما أبرزت نتائج الدراسة بوضوح أهمية الأمن الفكرى في حياة المراهقين في تلك السن الخطيرة ، للوقاية من التطرف الفكرى وأبعاده المتشعبة ، والعوامل الاجتماعية والحضارية الثقافية والسياسية والروحية والنفسية لها دور كبير في تحقيق الاعتدال والاتزان الفكرى والفكر الوسطى.

وقد أوصت الدراسة بضرورة نشر ثقافة الأمن الفكرى بين المراهقين في مرحلة الثانوية ، وتدريب معلمى المرحلة الثانوية على استراتيجيات وطرق للتعامل الفكرى السليم ، وتقديم محتوى هادف للأمن الفكرى يتسم بالعملية والإجرائية ، مع أهمية عقد الندوات والدورات التدريبية والمحاضرات التوعوية حول مجالات الأمن الفكرى في المدارس الثانوية وتوظيفها في مناهج التعليم ، مع أهمية مشاركة أولياء الأمور ورفع وعيهم بالأمن الفكرى والسلوكيات الإيجابية المعتدلة مع أبنائهم ومع المجتمع . كما أوصت الدراسة بضرورة تصحيح السلوكيات المتطرفة بكل الطرق كى يفهم المراهقون أن تلك السلوكيات منافية للمجتمع وقواعده وتقاليده ، واتخاذ التدابير النفسية والتدخلات المبكرة لعلاج كافة المشكلات النفسية التي تحدث خلل في التفكير والسلوك لدى المراهقين الذين يعانون من التطرف الفكرى في المدارس الثانوية .(Abdelkader,. 2022

النظريات المفسرة لسيكولوجية الأمن الفكرى

تعد النظريات المفسرة لعلم النفس الفكرى أو الذهنى من أهم النظريات النفسية والمفسرة للحياة الفكرية والعصبية والسلوكية للأفراد من وجهة نظر نفسية . لهذا فإن التحليل الدقيق لتلك النظريات النفسية يسهم في التقرب أكثر وأكثر من الحياة الفكرية لبنى البشر ، وطبائعهم الذهنية والتصورات العقلية والخيالات التي تحكمها دوافع نفسية وغرائز وسياقات تحيط بالفرد تجعله في حالة تفكير ذهنى عميق كى يلبى احتياجاته ورغباته .

ومن ثم يمكن عرض هذه النظريات كما يلى :-

أولاً : نظرية الأمن النفسى Psychological safety

تعد أولى النظريات المفسرة لعلم نفس الأمن الفكرى أو سيكولوجية الأمن الفكرى نظرية الأمن النفسى . وتتبع تلك النظرية من نظرية ماسلو للحاجات حيث تعد من المطالب النفسية للسواء والنمو والتوافق النفسى ، كما أشار إليها فرويد وإريكسون في نظريات عن الشخصية الإنسانية .

ولعل حاجة الإنسان إلى الأمن النفسى لا تقل أهمية عن حاجته إلى الطعام والشراب والتعليم والعمل والمأوى والملبس ، بل يمكن القول أن شعور الإنسان بالأمن والأمان النفسى يحقق له الحاجات الأولية والثانوية كى يحيا ويبقى على قيد الحياة .

وهذا الأمر لا يسرى على الإنسان وحده بل إن جميع الكائنات الحية بحاجة إلى الأمن النفسى لأنها كائنات تشعر مثل الإنسان تماماً وتبحث دوماً عن بيئات أكثر أمناً للنمو والتكاثر والعيش في بيئة خالية من الخوف والتهديد الأمني . ومثال على ذلك الطيور المهاجرة في فصول السنة التي تبحث عن بيئات أكثر استقراراً وأقل تقلبات جوية أو رياح أو أمطار ، وكذا الحيوانات التي تعيش في المناطق القطبية مثل البطاريق وفصائل من الدببة حيث حين يشعرون أن جبال الثلج قد تنصهر فإن هذا تهديد أمنى لحياتهم ، ومن ثم يهاجرون إلى مناطق جليدية أكثر إشباعاً لطبيعتهم الحيوانية التي خلقوا بها .

والإنسان لا يجد أمناً في بيئات تشوبها النقص في الموارد نتيجة الفقر أو المعاناة أو المجاعات أو الأمراض أو بها صراعات وحروب وتهديدات لبقائه وحياته فيرحل إلى أماكن أكثر أمناً وراحة ورخاء من أجل النجاة والبقاء على قيد الحياة كما هو الحال في البلدان التي يضطر فيها البشر إلى الهجرة القسرة والنزوح كلاجئين إلى بلدان أخرى نتاج للحروب والنزاعات المسلحة المستمرة التي تشكل خطراً وتهديداً على حياة البشر خاصةً الأطفال الصغار والنساء وكبار السن والشيوخ .

ويعرف "ماسلو" الأمن النفسى بأنه حالة شعورية لدى الفرد بأنه محبوب ويقبله الآخرون وله مكانة فيما بينهم ، وأنه يعيش في بيئة خالية من الإحباط ، بيئة صديقة له تتسم بندرة الخطر والتهديد والقلق . ويعرفه بلخير فايزة " أنه الشعور بالحماية والاطمئنان مرتبط بغياب الخطر والتهديد وحصول على القبول والتقبل عند مواجهة المواقف ، والحاجة إليه ضرورية لتوجيه السلوك" (فايزة 2022، 983).

وقد أشارت العديد من الدراسات أن الشخص الآمن نفسياً ، هو شخص آمن فكرياً وعقلياً أيضاً حيث لا يمتلك مشاعر الكراهية أو العدوان بل يشعر بالرضا عن حياته وذاته ، كما لا يسعى للانتقام ، ويجد في البحث عن ذاته واشباع حاجاته قيمة كبرى ، ولديه قدرة كبيرة على التحكم في مشاعره عند الغضب والعصبية ، ويدرك قيمة ذاته جيداً ، ويدير المواقف الصعبة بكفاءة واتقان ، ويعرف حدوده ويمتلك ثقافة عالية عن العنف وأنواعه من أجل تجنب استخدامه ، ولا يحاول تبرير تصرفاته ولا يستخدم أساليب عنف في معالجة الأمور الصعبة (Spihenkova, et al, 2018) .

أي أن الأمن حق إنسانى ، والأمن الإنسانى يدفع صاحبه إلى الإنجاز والتقدم والإنتاجية ، أما الكراهية ونوازع الانتقام التي تكمن في الشعور أغلبها بدوافع عدم الشعور بالأمن النفسى سواء منذ طفولة الشخص أو الظروف التي يعيشها إما صراعات أو حروب أو عنف ، أو اغتصاب الحقوق والإهانات، وغيرها من الظروف القاسية التي يمر بها بعض الأفراد وتؤثر

على أنماطهم السلوكية ، وتتملكهم رغبة الانتقام بالنيابة القائمة على الكراهية vicarious retribution

based on hate عن طريق الإزدراء والاستياء والصور النمطية السلبية ، وهو ما يسمى بالكراهية المزروعة cultivated hate داخل المعايير الاجتماعية والقواعد لبلد ما والتي تنتقل من جيل إلى جيل ، وهذه الكراهية الممتدة ليس لها أساس عقلانى وتؤدى إلى عواقب مأسوية مثل العنف الدموى ، والقتل العمد ، والتدمير والإرهاب ، والصراعات العسكرية ، وانفجارات العنف فهذا النوع من الكراهية يسمى الكراهية النشطة The active hate والتي تسبب أضراراً بالغة لمسبب أو مسببى الكراهية (هدف الكراهية) ، وهناك نوع آخر من الكراهية وهو الكراهية السلبية The passive hate وهذا النوع لا يؤذى إلا صاحبه فقط حيث ينطوى وينزوى على النفس والهروب دون محاولة إيذاء مسبب أو مسببى الكراهية(Spihenkova, et al, 2018) .

وتتعدد أبعاد الأمن النفسى والتي تبدأ بالشعور الداخلى للإنسان بالرضا ، والسعادة ، ثم إحساس الآخرين تجاه الفرد بالقبول والرضا والتقدير ، والمحبة ، ثم محبة المجتمع ، والشعور بالسلام الداخلى وأن العالم يسعى للحب والأمن والسلام كغريزة أساسية من طبائع البشر .

وتؤثر في هذه الأبعاد عوامل متعددة منها التنشئة الاجتماعية ، والبيئة النفسية والاجتماعية المحيطة بالمرء ، والعوامل الوراثية والأمراض النفسية المزمنة مثل القلق المرضى ، والخوف ، والاكتئاب ، والتوحد ، والإنطواء ، والصرع ، وغيرها من العوامل، كما أن الثقافة والمستوى التعليمى للفرد لهم تأثيرات قوية في التغلب على صعوبات ومعوقات الأمن النفسى . كما أن العمر أو السن يعد من العوامل المؤثرة في الأمن النفسى ، وكذلك النوع (ذكر أم أنثى) حيث أن النساء أكثر بحثاً عن الأمن النفسى والاستقرار الداخلى ، والتحرر من مخاوفهن أو اتجاههن نحو الآخر سواء رجلاً أم امراءة . كما أن العامل الدينى له أبلغ الأثر في تحقيق الأمن النفسى وما يبثه من قيم ومواقف تحكم السلوك الإنسانى من عادات وتقاليد .

كما أن الطبيعة الجغرافية للمجتمع والتي تؤثر في مدى الترابط بين بنى البشر كما في المجتمعات الشرقية التي يحكم أغلبها البيئات الزراعية والصناعية والتجارية ، والتي يكثر فيها التعاون والتآزر بين البشر من أجل تحقيقهم أهدافهم في الأمن والاستقرار والرخاء المادى والمعنوى . في حين أن المجتمعات المستقلة التى تتسم بالتباعد الاجتماعى نتيجة الفلسفات مثل الرأسمالية والليبرالية والحرية الفردية مثل أغلب المجتمعات الغربية ، والتي يكثر فيها أمراض من مثل القلق النفسى والاغتراب والشعور بالوحدة ، والخوف من المجهول ، وعدم الشعور بالأمن والأمان في الشوارع والأماكن العامة ، وتنتشر أعمال البلطجة والسطو والسرقات ، والعنف ، نتيجة الاستقلالية المطلقة والفردانية والحرية المطلقة .

وعلى الرغم من التقدم الصناعى والتكنولوجى الهائل في المجتمعات الغربية إلا أن الأمن النفسى والمجتمعى في تلك المجتمعات المتقدمة بحاجة إلى دراسات علمية متعمقة حيث كثرة الأمراض النفسية والجرائم الأخلاقية والاجتماعية ، الأمر الذى يفسر أن التركيز على الجانب المادى والاستهلاكى والتكنولوجى وحده لا يحقق الأمن النفسى ، وإنما التلاحم الاجتماعى والتشبيك الجمعى وتحقيق أهداف مشتركة سواء من أجل العمل والانجاز أو من أجل الرفاهية الاجتماعية مثل الأنشطة الاجتماعية والرحلات والحفلات والمعارض والمسابقات ،والأجازات والعطلات وغيرها من الأمور التي تشعر الأفراد والمجتمع بالأمن والسعادة النفسية ، والوجود الجمعى لكافة أفراد المجتمع والتحامهم .

الأمر الذى بدوره يحقق التوازن والاتزان النفسى والأمنى للمجتمع ، إذ ليس على حساب الانتعاش الاقتصادى والنقلة التكنولوجية المتقدمة ، أن نهدم الأمن النفسى للإنسان ، ونهدم شعوره بأنه انسان له حق العيش في جماعة ، وفى مجتمع ليس هدفه المادة وفقط وتحويل الأشخاص إلى آلات للعمل أو في سباق دائم من أجل البقاء ومعركة مع الوجود المادى وحسب.

ولعل مواقف كثيرة تذكرنا بأن الحياة الاجتماعية والإنسانية ضرورية لبقاء الإنسان مثل الحياة المادية والاقتصادية والاستهلاكية ، فعندما كان كل شيء متوفر العقل الإنسانى والموارد

المادية والتكنولوجية ، عجز الإنسان أن يقف أمام مشكلة طبيعية واحدة مثل الفيروسات الفتاكة والقاتلة التي قتلت ملايين البشر في العالم في ظرف عامين مثل فيروس كورونا . فلم يتصدى له إلا العقل الجمعى الذى تآزر وعكف بالدراسات والبحوث الجماعية والتجريبية ، وانضمام شعبى ودولى ومؤسسى ومدنى وخدمى من أجل إيجاد لقاحات وأدوية للتخلص من الوباء.

هذه اللحمة الاجتماعية والوقوف الجمعى مصدره الشعور بالتهديد الأمني لبقاء الإنسانية ، والنجاة والخلاص لم تأتِ إلا بالموقف الجمعى ، والرأى الجمعى السديد ، وتحييد كافة الصراعات والحروب والمشكلات الدولية من أجل التصدي لخطر الطبيعة الفتاك ، والتخلص من الوباء الذى قضى على ما يقرب من ربع سكان العالم في فترة وجيزة .

هذا التفكير الجمعى هو ما أفضى إلى سرعة الحل ، والنجاة ، وشعور الإنسانية بالأمن والأمان النفسى والمجتمعى ، والقدرة على التفكير في الإنجازات المستقبلية .وأضحت المشكلة الطبيعية تاريخاً علمنا معنى الشعور بالأمن النفسى في عالم ملئ بالمفاجآت الغير مأمونة العواقب.

2-**نظريات تحليل الشخصية** Personality analysis theory

تعد نظريات التحليل للشخصية الإنسانية في علم النفس من أهم النظريات المفسرة لسيكولوجية الأمن الفكرى حيث أنها تقترب من بواطن وتبريرات التفكير لدى الإنسان.

ويعد سيجموند فرويد هو رائد المدرسة التحليلية في علم نفس الشخصية ، وتفسيراته التي يعرفها المتخصصون والمهتمون بتحليل الشخصيات ، والتي فيها قسم الذات الإنسانية إلى ثلاث مكونات (الهو) وتحكمها الطبيعة الغريزية للإنسان ، والأنا (وهى التي تحكمها عقل الإنسان وبنية شخصيته) ثم الأنا الأعلى (ويمثل ضمير الإنسان وإدراكاته وفهمه للعالم وقوانينه ومبادئ الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها) . ومن ثم فالأنا يجب أن تتزن لتتحكم في جنوح الهو أو الهوية ودوافعها وغرائزها ، وفى اعتدال القيم واتزانها في الأنا الأعلى

بحيث تكون الشخصية سوية وواقعية ولا تقع دوماً في طيات وخز الضمير في حالة تأثير الأنا الأعلى ، أو السقوط في الشهوات والغرائز دون عقل مدبر كما هو الحال في تأثير (الهو) .

وهذا التفسير العبقرى للشخصية الإنسانية حقيقة يدل على أهمية ربط الشخصية الإنسانية باحتياجات المجتمع ومتطلباته وقوانيه ونظمه وتقاليده ، وثقافته كى لا ينأى الشخص عن سنن المجتمع وضوابطه فيقع فريسة للرذائل والشهوات والغرائز المفرطة أو يشعر بتأنيب الضمير والخزى والانطواء وصعوبة الاندماج في المجتمع . وفى كلتا الحالتين تضعف لديه القدرة على التفكير الإيجابى السوى والمرن والمنتج الذى يسهم به في رقى ذاته ومجتمعه على السواء .

وقد كان كارل روجرز أكثر ارتباطاً بالواقع وبالحياة الإنسانية في تحليلاته للشخصية الإنسانية ، حيث أسمى نظريته في العلاج النفسى " العلاج المتمركز حول الشخص" حيث أدخل البعد الأسرى والقيمى والتعليمى في إرشاداته العلاجية والنفسية .

لهذا نظر روجرز للإنسان نظرة إيجابية ، وليست سلبية أو مرضية ، وإنما رأى أن البشر عقلانيون واجتماعيون ، وقد يمروا بظروف تكون ضاغطة على انفعالاتهم ، ويظهر هذا بوضوح عند جلسات العلاج الإرشادية والإيجابية والتي تشعرهم بذواتهم ، وأنهم فاعلون في المجتمع ومرغوب فيهم وليس العكس .

لهذا يرى روجرز أهمية عدم كبت الدوافع العدوانية تجاه النفس أو الآخرون أو المجتمع بل ينبغي البحث عن الحاجات المضادة لتلك الدوافع السلبية والعدوانية وتنميتها لدى الأفراد العدوانيين مثل الحاجة إلى الأمن والحب والانتماء والتعاطف والصداقة . فكل هذا سيحدث توازناً ويقلل الرغبة في ممارسة السلوكيات العدوانية أو التفكير فيها.

وتلعب الخبرة دوراً مهماً في نظرية روجرز عن الشخصية ، وأن الخبرات المتراكمة هي ما تولد السلوك السوى أو العدوانى . ويؤكد روجرز على أهمية توافق الخبرات مع ميول الإنسان.

ويرى روجرز أن الخبرات التي يمر بها الإنسان لابد أن تختبر بالواقع ، وإن لم تختبر بالواقع فتضر الإنسان وتؤلمه . أي أن ميول الأفراد وتصرفاتهم وخبراتهم لابد أن يحكمها معايير موضوعية ترتبط بالواقع الخارجي ، وإلا ضرت الإنسان وتعد خبرات سيئة وغير متفقة مع الواقع (السرحانى 2016).

ولهذا وضع روجرز مجموعة من القيم التي ينبغي أن توفرها بيئة الفرد كى ينمو بشكل آمن نفسياً وعقلياً وهى الصدق والانفتاح والاحترام والقبول والتفهم والتعاطف ، حيث جعل هذه القيم محور للتفاهم بين بنى البشر والعلاقات الإنسانية الصحية .

وقد وضع ريموند كاتل عالم النفس الأمريكي في نظريته عن السمات الشخصية مجموعة من السمات التي تميز الشخصية مثل الإنبساط ، والضمير ، والانفتاح ، والتوافق ، والعصابية ، حيث تحدد سماته المزاجية سواء الرضا أم الغضب أم السعادة أم الحزن. ويرى أن الشخصية هي تلك التي تتيح لنا التنبؤ والتوقع بما سيفعله الشخص في موقف ما .

أي أن شخصية الإنسان تتحدد بناء على سلوكه الصادر منه ، وليس على ما يفكر فيه المرء أو ما ينوى فعله ، ولهذا فتفكير المرء هو ما يؤدى إلى السلوك الصادر عنه أو رد فعله واستجاباته للمواقف التي يصادفها في حياته . ومن ثم فالسلوك يعد جزءاً من تفكير المرء وتصوراته الذهنية عن العالم والتي ليست بالضرورة أن تكون مماثلة للواقع الذى يعيشه فقد تتجاوزه إلى ما هو أبعد من الواقع الحالي لتحدث تصورات ذهنية مجاوزة وإبداعية للنظر في المستقبل ، وتحقيق إنجازات ممتدة لا يمكن إدراكها في الواقع المعاش ولكن لها تأثيرات قوية في المستقبل قد تغير مجرى الحياة داخل المجتمع مثل عباقرة الزمان أينشتاين ،

ونيوتين ، وبيل جيتس ، وغيرهم ممن ارتبطت تصوراتهم الذهنية وخيالاتهم الواسعة بإنجازات أدركتها المجتمعات لاحقاً .

إلا أن الشخصية الإنسانية قد تنحرف تصوراتها الذهنية لتنحو ناحية العقلانية المدمرة Destructive mind وتفكر في أشياء تتسم بالعبقرية والدهاء الشديد ، ولكن في صور تدميرية وتخريبية مثل استخدام المواد الإشعاعية والموارد المتاحة في تخليق أسلحة نووية تدمر البشرية ، أو تطويع العقل الإنسانى باستخدام التكنولوجيا المتقدمة والخوارزميات لممارسة أفعال شيطانية تؤثر على مستقبل الإنسانية والحدود البشرية . وغيرها من الأمور التي يعيشها العالم الآن بفعل جنوح العلم وعدم وضع حدود وأكواد ومواثيق تدشن أخلاقيات العلم في مجالات مثل البيولوجيا والكيمياء والفيزياء والرياضياء والهندسة والعلوم المركبة والمتداخلة والتي يتم استخدام تلك العلوم في مركبات وأشياء ضد الإنسانية والبشرية لصالح مجتمعات ودول أخرى تجيد استخدام التكنولوجيا والخوارزميات وتطويع تلك العلوم ونظرياتها وتطبيقاتها في التدمير والتسيد على العالم .

في تلك الحالة فالشخصية المدمرة مهما كانت مستويات العبقرية التي تحملها أو الدهاء العقلى إلا أنها تفتقر للأمن الفكرى والسلامة الفكرية بفضل مواقف طفولية وشبابية مرت بها الشخصية، ولم تستطع التعبير عن مشاعر الغضب أو الاستياء أو الخوف أو الحرمان أو التعذيب في سياقات آمنة وتستوعب تلك المشاعر الاضطرابية والسلوكيات المأزومة كى يتم علاجها بالأساليب الإرشادية والنفسية والاجتماعية لتصبح شخصية سوية في المجتمع . وبدلاً من كل هذا تفاقم لدى الشخص المدمر شعور الانتقام والغضب والاستياء والكره حتى تحول تفكيره بالكامل إلى تفكير مدمر وعقل مدمر يجد في حالات السلم والعيش المستقر والآمن نوع من أنواع الوهن والضعف العقلى والإنسانى ، لذلك يكون في حالة تدمير مستمرة وقلق مالم يحقق رغبته في الانتقام والتدمير والتخريب . ففكرة الأمن والأمان من منظور الشخصية والعقلانية المدمرة فكرة ضبابية وغامضة ،ولا يمكن أن تحقق له إنجاز واقعى

وملموس ، بل التدمير والهدم هما أساسا تسيد وبقاء العقول المدمرة والتي تفكر في تدمير أفراد وشعوب كى تتسيد وحدها على العالم أجمع .

ومن ثم كان من الأهمية بمكان قياس الأمن الفكرى للشخصية الإنسانية من منظور نفسى منذ نشأة الإنسان والمواقف التي تعرض لها في طفولته ومرحلة المراهقة والشباب ، وإعداد مقاييس نفسية متنوعة لهذا الغرض وتطبيقها على المجتمع والأفراد من أجل تكوين أفراد أسوياء نفسياً واجتماعياً ، ومعالجة كافة المشكلات التي تعرضوا لها منذ طفولتهم من خلال برامج متنوعة في التربية وعلم النفس والاجتماع والدين والأخلاق والقيم وغيرها كى تستقيم الشخصية الإنسانية وتصبح مقبولة اجتماعياً وتتوقف عن أفعال الأذى النفسى سواء للمريض النفسى ذاته أو للمجتمع المحيط .

ولهذه الأسباب كانت ضرورة تطبيق تلك المقاييس النفسية للأمن الفكرى على القيادات ورؤساء الدول والمسئولين في القطاعات المتنوعة التعليمية والتربوية والطبية والهندسية والتجارية والصناعية والزراعية والتكنولوجية والأمنية ، والعسكرية .....وغيرها وقياس مدى سلامتهم الفكرية ومدى تمتعهم بصفات الإنسانية ، والأخلاقية والقدرة على التعايش الآمن فكراً وسلوكاً داخل المجتمعات .

ومن الأهمية بمكان أن تتدرج المقاييس في صعوبتها ولا تكون فقط صور أسئلة وأجوبة أو ورقية بل ينبغي أن تكون ثمة مواقف واقعية لمعرفة مدى قدرتهم على التصرف فيها وتحملهم الصعوبات ، وكيف سيتعاملون مع الآخرين ، ومقدار تقديرهم للآخرين واحترامهم للمرؤوسين أو الشعب وتلبية طلباته ، وغيرها من الأمور والسمات السلوكية التي يجب أن تكون في القيادات والمسئولين .

ولعل أعمال التخريب والتدمير وصور الاعتراضات والمظاهرات والعنف الممارس والعنف المضاد في العالم كله ينذرنا بالضرورة القصوى في التأنى عند اختيار القيادات والمسئولين وتطبيق مقاييس نفسية كثيرة عليهم ومعرفة دوافعهم النفسية والأخلاقية وتوجهاتهم ناصية

المجتمعات والشعوب وأفكارهم وطرائق تفكيرهم وغيرها من الأمور التي ستؤثر لامحالة على مستقبل الشعوب سواء إيجابياً أو سلبياً . وفى كلتا الحالتين فالشعوب والأفراد هم الذين يتلقون ردود أفعال وسلوكيات هؤلاء القيادات والمسئولين سواء كانت إنتاجية أو تدميرية .

3-نظريات السلوك الإنسانى

ترتبط نظريات السلوك بالتعلم في علم النفس ، بمعنى أن التعلم لا يحدث إلا من خلال عمليات تعديل السلوك وتغييره للأفضل . فالسلوك والتعلم مرتبطان بعضهما ببعض .

بل إن قياس أثر التعلم يرتبط بقياس ردود الفعل والاستجابات على عمليتى التعليم والتعلم .

ومن ثم كانت فكرة المثير والاستجابة ، والمثير هو المحفزات للتعلم وتعديل الأنماط السلوكية. والاستجابة هي رد الفعل بعد تلقى المثير أو محفز التعلم . وتعرف الاستجابة بالسلوك إما المتوقع نتيجة المرور بخبرة ما (المثير) أو غير متوقعة (الإتيان بنمط سلوكى جديد).

لهذا اهتم علماء النفس بالمثيرات والمحفزات ومدى شدتها وقوتها ومستوياتها ووضعوا نظريات اشتراطية تتدرج في صعوباتها أسموها بالاشتراط الإجرائى المرتبطة بالسلوك .

وقد طبق علماء النفس نظرياتهم السلوكية على الحيوانات والبشر ، مثل بافلوف وسكنر ، وثورنديك ، وباندورا ، ووالترز وأير وغيرهم .

وترتبط عمليات تغيير السلوك وتعديله بالملاحظة الدقيقة لسلوك المستجيب والتغيرات التي تطرأ عليه .حيث قد تنطفى الاستجابة وتخمد مالم يقدم المحفز غير الشرطى مثل (الطعام) في حالة تجريب أو تمرين الجرس عند بافلوف على الكلب ، الذى أعطاه محفز شرطي (الجرس) ، وغير شرطي (الطعام) فعندما يسمع الكلب صوت الجرس يسال لعابه ، ثم يحصل على الطعام بعدها ، فصوت الجرس ارتباطاً شرطياً بحدوث الاستجابة السلوكية (سيل لعاب الكلب).

أما في حالة عدم تقديم الطعام بعد سماع الجرس فتنطفى استجابة الكلب ولا يسال لعابه عند سماع الجرس (سلطان 2015).

وبالطبع ما ينطبق على الإنسان ليس شرطاً أن ينطبق على الحيوانات أو النباتات ، فالمقاييس النفسية المخصصة لتقديرات السلوك الإنسانى يحكمها التفكير العقلانى أيضاً ، وليست دوافع الغريزة وحدها كما هو الحال عند الحيوانات أو النبات أو الكائنات غير العاقلة أو المفكرة .

ولهذا فقد تكون هناك عوامل متعددة مؤثرة على السلوك الإنسانى مهما كانت المحفزات الشرطية أو غير الشرطية مثل المرض أو العمر أو البيئة أو الضغوط الاجتماعية أو المعتقدات أو القدرات العقلية للفرد مثل سرعة الانتباه أو التشتت العقلى أو اللامبالاة أو الخجل أو صعوبة التركيز أو سلم الأولويات عند المرء ،ولهذا فمن أصعب المقاييس هي المقاييس النفسية للسلوك الإنسانى .

وهذا ما ركز عليه جون واطسون في نظريته السلوكية حيث اهتم بالسلوك البشرى بشكل علمى ومنهجى ، ورأى أن السلوك الإنسانى يمكن دراسته بشكل موضوعى وعلمى وقياسه. ويرى أن الأفراد يعكسون المواقف التي يتعلمونها في بيئاتهم في ردود أفعالهم وسلوكياتهم . لهذا اعتبر واطسون أن السلوك الإنسانى سلوك مكتسب وليس فطرى . واهتم من خلال نظرياته في سلوك الإنسان عن كيفية إزالة مخاوف الإنسان وعوامل القلق لديه ، وذلك من خلال عمليات التكيف والتحفيز ، والتعلم والممارسة . لذلك اهتم واطسن في إزالة عوامل الخوف والقلق لدى البشر خاصة الأطفال بتعزيز السلوك الإيجابى واطفاء السلوك السلبى من خلال عدم تقديم الإثابات أو الحوافز عند فعله .

ومن ثم فإن النظريات السلوكية تم الاستفادة منها كثيراً في عمليات التعليم والتعلم من حيث التحفيز والإثابة والعقاب ، والدافعية للتعلم ، وتنمية السلوكيات الإيجابية ، وتعديل السلوك الطلابى ، والنضج النفسى والتعليمى .

لهذا ساهمت النظريات السلوكية من خلال قابليتها للإجراء والتطبيق وربط السلوك الإنسانى بالمجتمع والتعلم والحياة بأكملها أن تصبح أكثر قبولاً ورواجاً ليس في مجال علم النفس وحده بل في مجالات علم النفس الإكلينكى ، والطب ، وطب الأسنان ، والتعليم ، والإرشاد النفسى ، وعلم الاجتماع السلوكى ، وعلم الأخلاق ، حيث تم تضمين النظريات السلوكية في دراسة العلوم المختلفة وتوظيفها من أجل تطبيق تلك العلوم وفقاً للطبائع السلوكية للمجتمعات الإنسانية.

ومن خلال تعديل الأنماط السلوكية للأطفال والمراهقين والكبار في مراحل التعليم المختلفة باستخدام النظريات السلوكية المتنوعة ، يتم تعديل أنماط التفكير البشرية ناصية التفكير الإيجابى الذى يبرر تصرفاتهم السلوكية الإيجابية والفعالة والنشطة في المواقف المتنوعة سواء كانت صفية أو لاصفية ، تعليمية أو اجتماعية في السياقات المحيطة بهم ، وداخل المجتمع ككل .

4-**نظريات التعلم الاجتماعى** Social learning theories

ارتبطت نظريات التعلم الاجتماعى بالنظريات المعرفية والسلوكية ، إذ تجد نظريات التعلم الاجتماعى أنه يمكن التنبؤ بالسلوك البشرى من خلال المواقف الاجتماعية المعقدة ، ومعرفة الشخصية الإنسانية من خلال السلوك الاجتماعى للفرد ، وليس فقط في السلوك الفردى.

لهذا تركز نظريات التعلم الاجتماعى على أن السلوك الإنسانى يتم اكتسابه من خلال التفاعل الاجتماعى مع الآخرين ، وأن أغلب أنواع السلوك تحدث في بيئات اجتماعية ، ومن ثم فالفرد يتعلم اكتساب السلوك الإيجابى من الآخرين ، حيث أن الفرد نفسه يشعر بأنه مقبول اجتماعياً ويحصل على الإثابة الاجتماعية من الآخرين من خلال عمليات التعزيز التي يعطيها له المجتمع لكونه فرد مقبول اجتماعياً لأنه يمارس سلوكيات مرغوب فيها داخل المجتمع .

وتلك النظرة النفس اجتماعية قد أسس لها عالم النفس الأمريكي جوليان روتر حيث اهتم بفكرة التعزيز الثواب والعقاب ، في اعلاء السلوك الإنسانى الإيجابى المقبول اجتماعياً وتزكيته ، وإثابته ، وعقاب السلوك الإنسانى السلبى والغير مقبول اجتماعياً ، وطمسه لتهديده لأمن المجتمع والحياة الإنسانية .

حيث أكد روتر أن السلوك الفردى مرتبط بالسلوك الاجتماعى ، ويتم تعديل السلوك الفردى بناء على السلوك والمواقف الاجتماعية المتنوعة .

وقد أسس روتر نظريته في التعلم الاجتماعى على أربعة مكونات رئيسة : توقع السلوك ، وحصاد التوقع ، وقيمة التعزيز ، والموقف النفسى (فيصل & نوال 2024) :-

توقع السلوك : أي أن سلوكاً معيناً سيحدث في وقت معين ، تتبعه استجابات اجتماعية معينة وردود فعل انفعالية بناء على هذا التصرف سواء إيجاباً أو سلباً. كمصادفة طالب اختبار صعب ولا يعرف الحل فيجد نفسه في حالة انفعالية إما تضطره إلى السلوك الإيجابى ومحاولة تذكر ما يعرفه ، أو يلجأ إلى السلوك السلبى وهو محاولات الغش أو احداث الفوضى في مكان الاختبار . أو تنتابه حالة هيستيرية كرد فعل للاختبار غير المتوقع بالنسبة للطالب . وفى كل الأحوال فإن التوقعات للسلوكيات الإدراكية للفرد تكون متعددة الاحتمالات بناء على حالة الفرد النفسية وقدراته على تحمل المواقف الصعبة .

-**حصاد التوقع** : وتعنى توقع الفرد الذاتي عما بدر منه من سلوك إيجابى أو سلبى ، وعواقب هذا التصرف سواء الإثابة أو العقاب . ففي حالة ثبوته أمام تحدى الاختبار وحاول تذكر ما يعرفه واتسم بالثبات الانفعالى فيتوقع احتمالية نجاحه في الاختبار بنسبة معينة ، أما في محاولات الغش أو اثارة البلبلة أو حدوث نوبات هيستيرية لاإرادية فاحتمال التوقع يكون أعلى وهو الفشل في الاختبار والعقاب على السلوك الغير مقبول وذلك في حالة القيام بالغش أو إثارة الفوضى في مكان الاختبار .

-**قيمة أو تقدير التعزيز** : وتختلف قيمة التعزيز من فرد لآخر حسب الطبيعة الاجتماعية للفرد ، والبيئة الاجتماعية حيث تكون أولويات التقدير عند بعض الأفراد على السلوكيات الإيجابية المعززة هي القبول الاجتماعى والتقديرات المعنوية ، والاحتواء الاجتماعى ،والمكانة الاجتماعية المرموقة ، والحب والشعور بأنه عضو فعال داخل المجتمع . وبعض الأفراد ترى في الإثابة المادية أو العينية تقدير لمجهودات الفرد والتزامه بمسئولياته وواجباته ، وأنها حاجة أساسية تحفزه على العمل والإنتاج بجانب التقديرات المعنوية أيضاً .

وكلا النمطين يعكسا حالات شعورية وأولويات حياة للأفراد ولا تشير إلى أن بعض الأشخاص ماديين ولا يعملون إلا من أجل الحصول على الأموال ، وغيرهم يكتفون بالتقديرات المعنوية والتشجيعية . فالإثابة المادية والمعنوية كلاهما أساسا الحياة ولا يمكن أن يعيش أي انسان بدونهما معاً . حيث أن التقديرات المعنوية وحدها لا توفر للإنسان حياة كريمة أو تلبية حاجاته الأساسية ، بل تشعره بأنه لم يتم تقديره مادياً بشكل كافى ويجعله يبحث عن عمل آخر يقدر إمكاناته وقدراته مادياً ومعنوياً ويعطيه ما يكفيه كى يحيا حياة كريمة .

وهذا ما جعل روتر يربط نظريته في التعلم الاجتماعى بالحاجات والدوافع النفسية للفرد ، حيث لا يمكن توقع السلوك الإنسانى والتنبؤ به دون معرفة حاجات الإنسان الأساسية .

-**الموقف النفسى** : وهذا يشير إلى المحيط النفسى الذى يستجيب فيه الفرد للموقف الاجتماعى بناء على نظرية التعزيز الإثابة أو العقاب. فعندما ينهر معلم بعنف طالباً داخل الفصل ، فتكون لدى الطالب رغبة في الرد والتصرف بعنف ، ولكنه يكبت هذا الشعور خوفاً من العقاب.

ولهذا يتحدد الوضع النفسى حسب الموقف الذى يوضع فيه المرء ، وحسب خبراته في التعامل مع المواقف المتنوعة . وحسب عمره العقلى والإدراكى . وغيرها من الأمور.

ولعل هذا يؤكد على أهمية تدريب الأطفال والطلاب والشباب على المواقف الاجتماعية المتنوعة ، وقياس مدى تطور ونضج استجاباتهم السلوكية للمواقف المتدرجة في الصعوبة ، والمواقف المعقدة ، ومدى الخبرات والمهارات التي اكتسبوها من تلك المواقف .

إذ أن استجابات الأفراد صغاراً وكباراً مروا بمواقف اضطروا لمواجهتها مثل الحروب والمجاعات والتشريد والهجرة القسرية تكون مختلفة تماماً عن استجابات من هم في مثل أعمارهم ولم يتعرضوا لتلك المواقف المأزومة من قبل . فالأطفال الذين شاهدوا ممارسات عنف وقتل وتدمير لأهلهم وذويهم جراء ويلات الحرب لم ولن ينسوا تلك المشاهد المؤلمة والخبرات المريرة ، ولن يقدروا محوها من ذاكرتهم ، وقد تكون تلك المواقف اكسبتهم خبرات ومهارات قوية أهمها هو قوة التحمل والجلد والصبر ، وأيضاً تحمل الألم والجوع والحرمان بالمثل . إذ ليست الخبرات كلها إيجابية ،وإنما تولد المواقف المؤلمة خبرات ومهارات سلبية بالمثل ، مثل الشعور بالرغبة في الانتقام وممارسة العنف والعدوانية والتخريب والأذى وغيرها من الأمور .

وقد ارتبط اسم نظرية التعلم الاجتماعى بوضوح باسم عالم النفس الكندى ألبرت باندورا ، حيث أعطى للنظرية بعداً جديداً ، وهو اكتساب الفرد سلوكاً جديداً من خلال ملاحظة النموذج القدوة أو المثل الأعلى أو الأشخاص الاعتبارية المحيطين به .

وقد أبرز باندورا أن الإنسان ليس متلقى سلبى للعوامل الخارجية البيئية أو المواقف البيئية المتنوعة ، بل إن الإنسان له دور في تغيير واقع بيئته للأفضل من خلال تنمية التفكير الإيجابى ، والسلوك الإيجابى . بمعنى أن الفرد له دور فاعل في التنمية وتغيير الواقع الاجتماعى بأفكار إيجابية وإبداعية يتبعها سلوك اجتماعى إيجابى وسوى . ومن ثم فليس الفرد فقط في حالة انتظار دائم للحصول على الإثابة أو التعزيز من المجتمع ، بل هو فاعل هذه الإثابة وتلك التقديرات الاجتماعية لأنه جزء من المجتمع والسلوك الاجتماعى الحادث.

أي أن النموذج القدوة أو المحاكاة يشكل السلوك الاجتماعى التي يكتسبه الأشخاص وفقاً لنظرية التعلم الاجتماعى لباندورا . والتعلم الاجتماعى في هذه الحالة قائم من قبل الفرد على الملاحظة الشديدة والانتباه لسلوك القدوة أو النموذج ، والتي يكون من خلالها الاستجابات الإدراكية المعرفية التي تسلك على أساسها الفرد اجتماعياً . ومن ثم إما أن يكون هذا النموذج إيجابياً ويؤدى إلى ممارسات سلوكية مقبولة وإيجابية أو نموذج عدوانى وسلبى تجاه المجتمع ، ويتبعه ممارسات سلوكية سلبية وعدوانية تجاه المجتمع من خلال الأفراد المحاكين للنموذج السلبى أو العدوانى حيث يجدون فيه صورة البطل أو القوى أو القاهر وغيرها من المدركات التي يتمثلها خاصةً الأطفال في سنواتهم المبكرة نتيجة خبراتهم المحدودة بالحياة .

والأمر لا يقتصر على الأطفال فقد يقع بعض الأفراد لنقص خبراتهم الكافية ووعيهم الإدراكى الكافى في براثن نماذج تدعى القدوة وتستدرجهم تلقائياً إما بالقوة الفكرية أو المادية أو تحقيق متطلبات لهؤلاء الأفراد ليسوا في استطاعتهم تحقيقها من أجل امتلاكهم والاستحواذ عليهم فكرياً وعاطفياً من أجل تطويعهم لخدمتهم وتنفيذ كافة مطالبهم وأوامرهم .

وفى هذا الصدد يعد نقص الوعى والخبرة والتوجيه الاجتماعى عوامل قوية لوقوع الأفراد ضحايا للاستقطاب الاجتماعى من قبل بعض الأفراد أو الجماعات بدعوى النموذج والقدوة وغيرها من الأكاذيب الهادفة للسيطرة والهيمنة الفكرية والاجتماعية على الضعفاء أو محدودى الخبرة .

ومن ثم تقوم نظرية باندورا على فرضية مفاداها أن الإنسان كائن اجتماعى يتأثر باتجاهات الآخرين وسلوكياتهم ومشاعرهم .

لهذا قامت نظريته على أربعة عمليات أساسية وهم الإنتباه ، والاحتفاظ ، وإعادة الإنتاج الحركى ، والتعزيز (فايد وآخرون 2023).

-**الإنتباه** : من خلال التعلم بالملاحظة ، وتقليد الآخرين أو النماذج المحاكاة .

-**الاحتفاظ** : بمعنى تحويل المعلومات عن النموذج المراد تمثله إلى رموز في الذاكرة كى يسهل استرجاعها ، ومحاكاتها .

-**إعادة الإنتاج الحركى** : وهو استعادة السلوك القدوة ، وتكرار السلوك الذى صدر عن النموذج أو القدوة . مثل تقليد الأطفال لحركات سوبر مان كرمز للقدوة والمحاكاة ، وغيرها من النماذج البطولية الكرتونية الخارقة.

-**التعزيز** : أي وجود عوامل مشجعة ومحفزة لتكرار السلوك ، فقد يرغب الفرد في تقليد النموذج أو القدوة لكن لا يقدر على تكرار السلوك نتيجة غياب التحفيز أو التشجيع .

وفى هذا فرصة جيدة لتعليم الأطفال والكبار السلوكيات المرغوب فيها وتعزيزها وتشجيعها بالمحفزات الإيجابية والتقديرات المعنوية والمادية ، وانطفاء السلوكيات الغير مرغوب فيها أو الغير مفضلة أو التي تحدث ضرر على الطفل أو الكبار أو المجتمع ككل . مثل فكرة الإنسان الخارق أو السوبر مان ومحاكاة الأطفال لهم وتصورهم على أنهم خارقين بمجرد ارتداء نفس ملابسهم .

وقد تسبب تلك المحاكاة السلبية إلى خسائر في الأرواح نتيجة تقليد الأطفال لهم بشكل تام وسقوطهم من أماكن مرتفعة لرغبتهم في الطيران في الجو بارتداء ملابس سوبر مان أو سبايدر مان وغيرها من الأفكار التي يتم ترسيخها عن فكرة الإنسان الخارق في الأفلام الكرتونية والألعاب التكنولوجية المتنوعة ، أو الدعاية للمنتجات الغذائية التي يقبل عليها الأطفال ووضع هدايا بداخل أكياس الحلوى أو المواد الغذائية بها أفكار عن نماذج تمثل على أنها بطولية وخارقة للمجتمع وليسوا مثل البشر العاديين ويقوم الأطفال بتقمص نفس شخصياتهم الأمر الذى يشكل خطورة على الأمن الفكرى للأطفال والمجتمع على السواء .

مما سبق من تناول بعض نظريات متنوعة لسيكولوجية الأمن الفكرى يتضح لنا ما يلى:-

أولاً: الأمن الفكرى يرتبط أشد الارتباط بالأمن النفسى للأفراد منذ نشأتهم وحتى مماتهم .

ثانياً: المقاييس النفسية للأمن الفكرى ركيزة اكتشاف الشخصية الإنسانية وطريقة تفكيرها والظروف المتنوعة التي أجبرتها على التفكير على نحو ما .

ثالثاً: سيكولوجية الأمن الفكرى ترتبط بالمواقف الاجتماعية ، وكلما ازدادت حدة وتعقد المواقف الاجتماعية تتعقد الأبعاد النفسية لدراسة الأمن الفكرى ومعتقدات واتجاهات الأفراد والجماعات بل والمجتمعات أيضاً.

رابعاً : تبدأ التوجهات الفكرية في مرحلة المراهقة والبلوغ ومالم يتم ملاحقتها وتصحيحها ستترسخ الأفكار المغلوطة في أذهان المراهقين والمراهقات وتصبح سلوكاً غير مرغوباً يصعب السيطرة عليه .

خامساً: النصائح المباشرة لا تفيد في تصحيح الأفكار والمعتقدات والسلوكيات الخاطئة ، ولا أساليب العقاب القاسية ، وإنما الأجدى هو برامج علاجية تصحيحة وبيئات تكيف تعمد على تصحيح السلوك بسلوك آخر بديل ومرغوب ومتكيف مع السياق وثقافة وعادات المجتمع وقوانينه .

سادساً: وسائل الإعلام بكافة أنماطها الإلكترونية والمعروفة مثل التلفاز والراديو ومواقع التواصل الاجتماعى ، والألعاب الالكترونية والبرامج الإلكترونية تلعب أدواراً كبيرة فيما تبثه من محتوى سواء من قبل هيئات الإعلام أو الأفراد ، وسواء بشكل منظم ومخطط له أو بشكل عشوائى ، جميعها تؤثر في تشكيل فكر الطفل والمراهق والشباب والكبار لذلك وضع ضوابط مقننة وتخطيط ومراقبة لكل ما هو متداول في وسائل الإعلام لهو أمر في غاية الأهمية من أجل حماية الأطفال من العنف والجريمة والوقوع في عمليات الاستقطاب . وليس الأطفال وحدهم بل المراهقين والشباب والكبار بالمثل .

ومن ثم صعوبة السيطرة على أفراد المجتمع أو الشباب نتيجة ما تم دمجه في أذهانهم ناصية التخريب والدمار والعنف والإرهاب وغيرها من المخاطر التي تهدد الأمن القومى والوطنى والمجتمعى .

كما أن انتقاء واختيار القيادات والمسئولين بعد خضوعهم لمقاييس نفسية كثيرة لهو واجب قومى من أجل غربلة طرائق تفكيرهم ومعرفة مستوى ودرجة سواءهم النفسى والفكرى، وما حدث في طفولتهم وما يعكسوه من جراء ما تربوا عليه على المجتمع والبشر من أعمال عنف وتخريب وقسوة وانتقام على من هم تحت أيديهم نتيجة البيئة التي عاشوا فيها ولم يجدوا فيها الرعاية الكافية . ومن ثم جراء عشوائية الاختيار دون وضع المرشحون للاختبارات النفسية المتنوعة والمواقف المتدرجة الصعوبة وقياس الثبات الانفعالى لديهم ، دون كل هذا سيعانى المجتمع من قيادات تكرس ثقافة البلطجة والعنف الممنهج والمحسوبية والامتيازات للأكثر طاعة للأوامر حتى إن كانت خاطئة ، فضلاً عن خلق بيئات طاردة وشيوع ثقافة الكره والإحباط والاكتئاب لدى الكثير من المخلصين والقادرين على العمل والإبداع ولكن بيئات العمل طاردة وغير محببة أو مشجعة لهم نتيجة سوء اختيار القيادات والمسئولين سواء داخل المؤسسات أو الحكومات التي تقود شعوب بأكملها .

لهذا فإن سيكولوجية الأمن الفكرى أمر ضرورى لتمتع المجتمع والأفراد بالاستقرار والتفكير السوى والمنتج والفعال دون أية ضغوط نفسية تعتلى داخل الأفراد بسبب عوامل أغلبها نابعة من التفكير الخاطئ الذى يتبعه بالمثل سلوكيات وممارسات خاطئة ، تنبع من ذوات أنانية ولديها مشكلات نفسية كثيرة لتحقيق مآرب خاصة وسلطوية لا تخلو من إرهاب وسيطرة فكرية تخلو من العيش في مجتمع آمن ومستقر نفسياً وفكرياً واجتماعياً .

.....

الفصل السادس

سوسيولوجيا الأمن الفكرى

الفصل السادس

سوسيولوجيا الأمن الفكرى

مثلما لا يمكن قياس الأمن الفكرى بدون دراسات عميقة لسيكولوجية الأمن الفكرى أو علم نفس التفكير ، فإن سوسيولوجيا التفكير (علم اجتماع التفكير) التي قد تحقق الأمن الفكرى من عدمه تعد من ضرورات تحقيق الأمن الفكرى في أي مجتمع .

والمقصود بسوسيولوجيا الأمن الفكرى التفكير الجمعى والمجتمعى في شئون وقضايا الحياة ، وما تعكسه الذهنية الاجتماعية من أفكار وأيديولوجيات نابعة من ثقافة المجتمع وعاداته ومنطلقاته الفكرية ، وقناعاته بممارسات وطقوس معينة قد تجلب له الرزق أو البركة أو التفاؤل أو العمل المنتج أو الجيد وغيرها من الأمور الشائعة والمعروفة والتي تميز دولة عن دولة أخرى .

وعندما تتعلق سوسيولوجيا التفكير بالأمن والحياة والسلوك الإنسانى وتأثيراته على الحياة والناس والأمن القومى هنا تكون الدراسة في غاية الأهمية من أجل استخلاص أهم الدلالات والاستنتاجات الفكرية المؤثرة على سلوكيات الجماعة أو المجتمعات وقد تؤدى بالمجتمع إلى حياة أفضل وأكثر تقدماً أو حياة ركون وركود ورجوع للوراء والتخلف .

ومن ثم يصبح الأمر أكثر تعقيداً لأن الدراسات أو النظريات في تلك الحالة تصف حالة الجموع وليس حالات فردية أو أشخاص معينين ، وإنما أنماط ثقافية

ومجتمعية تصف المجتمع ككل . بمعنى أن السلوك الإنسانى له صفة اجتماعية تظهر في تصرفات الأفراد في المجتمع وفقاً لعادات وتقاليد وطقوس ونواميس وأعراف وقوانين قد وضعها البشر بأنفسهم من أجل العيش في سلم واستقرار وأمن مجتمعى .

وسوسيولوجيا التفكير تبدأ من العائلة أو تفكير العائلة أو الأسرة ، والمقصود بالأسرة هنا ليس شرطاً الأسرة بالمعنى العام أي الأم والأم والأبناء والأجداد والأعمام وغيرهم. بل ثقافة العائلة أي اجتماع الناس حول أفكار معينة أو طقوس معينة أو تناول أطعمة معينة أو ممارسات جمعية مثل العبادات . فمصطلح العائلة في تلك الحالة يعد رمز لمفهوم الجماعة أو التفكير الجمعى في الممارسات الحياتية . وقد يمتد مفهوم العائلة ليشمل الوطن بأكمله ، بل العالم إذا انتهج سمات توحد الإنسانية وصفات الإنسانية المعروفة لبنى البشر وتحققت فكراً وسلوكاً على أرض الواقع .

لذلك فإن علم دراسة الثقافات والشعوب ليس بالرفاهية بمكان، وإنما من أجل معرفة طبائع التفكير والوعاء الفكرى الذى يحكم فكر المجتمع ، إذ تختلف التصرفات والطقوس والعادات والتقاليد والسلوكيات ومفهوم الذات من مجتمع إلى مجتمع آخر حسب القوانين والأعراف والطقوس التي يعتنقها. ومن ثم فإنه من أجل التعامل السلمى مع المجتمعات والشعوب المختلفة يتسنى دراسة أحوالهم وثقافاتهم ولغاتهم كأوعية فكرية تحمل مضامين الثقافة لتلك الشعوب والمجتمعات.

فاللغة ترتبط بهويات المجتمعات وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ، وما أضحى عليه العالم الآن من تقارب فكرى وتواصل عبر حدودى وتجاوز لكافة الحدود الجغرافية

، والانتشار الواسع للأقمار الصناعية والفضائيات يحتم على البشر ضرورة دراسة اللغات العالمية للتعرف على الثقافات والشعوب المؤثرة في العالم ، وعوامل نجاحها وما المنطلقات الفكرية والمعتقدات التي تعتنقها وترسخها في مناهج التعليم والعلوم والحياة بعامة كى تنشئ أجيالاً ومواطنين سليمى البنية الفكرية والسلوكية ولا يعانون من اضطرابات نفسية سلوكية أو تعقيدات مجتمعية أو ضغوط مادية ومعنوية .

كل تلك الأمور تخضع لسوسيولوجيا الأمن الفكرى وسوسيولوجيا التفكير التي تشير إلى ثقافة مجتمعية غالبة ومنظمة ومرتبة ولها قواعد وطقوس تحمل قيم إيجابية تدشن لمستقبل واعد لأبناء واعدين وناجزين في مجتمع متسابق ومتنافس ومتسارع .

وفى كتابهما المعنون " **التفكير سوسيولوجياً**" يؤكد كل من "زيغمونت باومان وتم باى" ، على أن السوسيولوجيا ترتبط بالحس العام ، بل إن العلوم الطبيعية ذاتها ذات دلالات اجتماعية تربطها بالسياقات التي نشأت فيها أي تخضع بالمثل للحس العام.

أي أن التفكير بالمعنى السوسيولوجى يأخذنا إلى فهم علائقى يدرس الإنسان ككائن يعيش في محيط اجتماعى الأمر الذى يجعل الذوات الفردية تندمج مع الذوات الاجتماعية ،وتتسم بالمرونة والتنوع الفكرى والثقافى من أجل تكوين التفكير الاجتماعى.

لهذا يرسخ باومان وباى لصنع العدسات السوسيولوجية وكيفية فهم حقيقى لأنفسنا من خلال فهم البيئات الاجتماعية التي نعيش فيها ، وأنماط التفاعلات الاجتماعية

، والمفاهيم الشائعة بين الناس ، والمقاربات الاجتماعية التي تعمق الروابط الاجتماعية وتأثير العادات على صناعة القرار الجمعى .

والمقصود بالعدسات الاجتماعية هو أنه ثمة علاقات توافقية تجعلنا نؤثر ونتأثر بالعالم من حولنا ، ويمكن أن تؤثر أيضاً في سياقات اجتماعية جديدة من خلال التواصل الرمزى ، من خلال اللغة كوسيط ثقافى واجتماعى يساعد على زيادة نطاق ومتصل التأثيرات الاجتماعية عبر العالم (باومان، ماى 2023).

وفى إطار نطاق التفاعل والفهم السوسيولوجى للعلاقات بين بنى البشر يرى باون وماى في كتابهما القيم أن ثمة تفاعل حقيقى بين بنى البشر حتى لو لم يحدث بطرق مباشرة من خلال الحديث أو التواصل الوجاهى أو غيرها من الأمور ، على سبيل المثال من الذى يجلب لنا المواد الغذائية التي تساعدنا على البقاء أحياء أليسوا بشر نتواصل معهم من أجل امدادنا باحتياجاتنا من الطعام والملبس ، ونقيس هذا الأمر على باقى الأمور الحياتية المتعلقة بالتواصل والمسافات الاجتماعية بين بنى البشر فمن أجل الرغبة في تكوين أسرة وأبناء لابد من حدوث رابطة اجتماعية تسمى الزواج أولاً بين شخصين رجل وامرأة ، ومن أجل العمل طبيب أو مهندس أو محامى أو معلم أو ضابط أو رجل أمن أو رجل سياسة لابد من الحصول على المتطلبات للدخول في تلك الوظيفة من شهادات علمية تنم عن دراسات وافية في تلك المجالات ، وهذا بدوره يتطلب تواصل مع أشخاص آخرين ومؤسسات للتفاعل والتعلم والإنجاز والعمل من أجل تحقيق الأهداف الشخصية . أي أن كل ما هو شخصى لا يمكن تحقيقه إلا من خلال المجتمع والكيان المجتمعى .

ولهذا تؤثر علاقات التفاهم الاجتماعى على مجريات الحياة ناصية الإنجاز والتنمية أو التخلف والجمود .

بل إن المؤثرين في حياة الفرد ممن يعرفهم الشخص بالإسم أو بالكنية يعدوا أقل مما هو واقعى ، فقد لا يعرف الشخص أن أناس كثر ومؤسسات بأكملها تؤثر في مصير وحياة الأشخاص وطموحاتهم ومستقبلهم إيجاباً أو سلباً مثل صانع المحتوى التعليمى الذى يدرسه الشخص من أجل الحصول على شهادة ، وبائع الخبز الذى يشترى منه الشخص وقد يكون دقيق الخبز ملوث ويؤثر على صحة الشخص ، ومحتوى المياه التي يشربها الشخص يومياً ونسبة ما بها من ملوثات قد تؤثر على حياته وعلى صحته الجسدية ، وأزمة المرور التي تضع مفاهيم اجتماعية لدى الفرد مسبقاً مثل يتسنى أن أخرج من بيتى ساعة ونصف مبكراً كى أصل إلى الموعد المحدد للمدرسة أو الجامعة أو العمل .....

أي أن ما يكونه المرء من تصورات وقناعات ذهنية لا تكون من وحى أفكاره بشكل مطلق بل من سياقات اجتماعية يعيشها وبناء عليها يتصرف اجتماعياً . أو بمعنى أدق عقله الموضوعى وليس عقله الذاتي يقنعه بأن الوجود الخارجي مختلف تماماً عن التصورات الذهنية المطلقة أو المجردة ، ولا يمكن حدوث التفاعل الاجتماعى دون تلامس الواقع الاجتماعى والاحتكاك الاجتماعى للأحداث والسياقات الاجتماعية بعيداً عن الخيال أو المثالية المطلقة .

في تلك الحالة التي لم تعد فردية بحتة يحدث دمج على مستوى الذهن بين ما هو فردى وما هو اجتماعى بمعنى يظن الشخص أنه يفكر بشكل فردى في حين أن

المجتمع والواقع متأصل في تصوراته الذهنية فيأتى التفكير على نحو جمعى أو تفكير اجتماعى وليس فردى .

مثل **أن يرى الفرد أنه من أجل الغلبة والسيطرة في مجتمع شديد التعقد والتحول على أن أكون قوياً وقاسياً مع الأفراد وألا أحقق لهم مطالبهم بسهولة كى يعملون حساب لى ويخشوننى دوماً.**

هذا ليس تفكير الفرد الذاتي بمفرده ، وإنما عقله الذهنى قد خضع للتأثيرات الاجتماعية في محيطه الاجتماعى وتصور من خلال ما يحدث حوله أن الشخص القوى هو الشخص الصارم والقاسى والذى يعطل مصالح وحاجات الناس ،وهو الذى يستمر في العمل .

فالمشاهدات الاجتماعية والسلوك الاجتماعى منذ نشأة الفرد أكدت له هذا المبدأ الذى يفكر به ، وهذه التصورات الذهنية السلبية عن العلاقات الاجتماعية بين بنى البشر ، وبناء على هذا التفكير يسلك اجتماعياً في كل الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها في حياته في محيط العمل والأسرة والنادى والشارع وكافة الميادين التي يتعامل معها .

هكذا يتأثر تفكير الفرد بالمحيط الثقافي والاجتماعى من حوله ، لدرجة أنه يفكر اجتماعياً بالمثل من أجل التعاطى مع المجتمع من حوله .

وهنا تأتى فكرة الصراع بين الذات الفردية للشخص والذات الاجتماعية ، فهل التفكير الذاتي والموضوعى للفرد يتفقا مع بعضهما البعض أم أن المرء يضطر للتفكير بطريقة معينة من أجل الرضا الاجتماعى أو تحقيق القبول الاجتماعى

وتحقيق الأهداف دون أن يكون على قناعة تامة بالتفكير الموضوعى الذى توصل إليه .

فقد يلجأ طالب حصل على مجموع كبير في الثانوية عامة بعد تفكير عميق إلى دخول كلية ترتبط بالذكاء الاصطناعى والتقنيات بدلاً من دخول كلية الصيدلة التي كان يتمناها وحصد المجموع الأكبر في الثانوية العامة من أجل دخول هذه الكلية ، إلا أن التأثيرات الاجتماعية من حوله ، والسياق العالمى المؤثر جعله يفكر بشكل موضوعى بأن المستقبل في كل ما هو مرتبط بالذكاء الاصطناعى والخوارزميات المعقدة للتكنولوجيا . إذ تنازل عن تفكيره الذاتي من أجل التفكير الاجتماعى .

وفى تلك الحالة إذا لم يتفق التفكير الذاتي مع التفكير الموضوعى (التفكير المشبع بالتأثيرات الاجتماعية)ففي تلك الحالة يحدث الخلل الفكرى والاضطراب والتشتيت الذى يؤدى إلى الصراع الفكرى وحدوث تناقضات في حياة الشخص كأن يعزف عن الدراسة ، أو يتفوق نظرياً في الدراسة، ولكن من الناحية العملية أو الوظيفية لا يمكن الاعتماد عليه لفقدان القدرات والحماسة اللازمة للعمل والاتقان والإنجاز .

الخطورة في كل ما سبق هو أن الفرد يعتقد أن كل ما فكر فيه هو من قناعاته الذاتية البحتة وأنه فكر على هذا النحو بمحض إرادته الذاتية في حين أن الإرادة الجمعية والمجتمعية لعبت دور مؤثراً في نمط التفكير لديه الذى تحول من تفكيراً ذاتياً إلى تفكير اجتماعى أو موضوعى .

لهذا فالمسألة في غاية التعقيد ، وتتجلى في المشاهدات الاجتماعية اليومية فتجد أشخاصاً كثيرة ميولهم الحقيقية وتوجهاتهم غير سلوكهم الاجتماعى في الواقع .

وترى فيهم ما لا يستطعون هم اكتشافه في أنفسهم وذواتهم الحقيقية لأن تفكيرهم دوماً متأثر بالعوامل والمؤثرات الاجتماعية وليس ما يردونه بالفعل .

ومن ثم يمكن وضع نظريات سوسيولوجيا التفكير والأمن الفكرى كما يلى :-

أولاً نظرية الحس العام common sense

اتخذت فكرة الحس العام تأويلات كثيرة لدى الكثير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع حيث أن الحس العام له معنى عند المدرسيين باجتماع الجزئيات والمرئيات الحسية والاتفاق عليها .

في حين عند علماء الاجتماع البنيويون فالأمر يعنى الفهم المشترك أو الحس الجمعى . ويشترط لهذا الحس العام أن يكون سوسيولوجياً بمعنى قائم على علم ودراية وأدلة جمعية وليس قائم على الأغاليط والشائعات والمقولات الكاذبة والآراء المغلوطة أو المفبركة .

ويسمى الحس العام الجمعى القائم على المعرفة أو الأبستمولوجيا في مقابل الرأي العام القائم على الشائعات أو ما أطلق عليه اليونان **الدوكسا أي** بناء الرأي العام على الأغاليط والشائعات (لطفى 2018) وترويج أفكار مغلوطة وغير صحيحة بين الناس لتشكيل وعى زائف لا ينتمى للحقيقة بصلة .

لهذا فاللغة السوسيولوجية تختلف من سياق لآخر وتدعم معرفياً بالبحث والدراسة لا بالأقاويل أو الأحاديث الاجتماعية فحسب فقد يتم تشكيل الرأي العام من جانب أحادى هو وسائل الإعلام وقد تبعث أفكار ومفاهيم أيديولوجية تخدم أهداف محددة قد تكون أهدافاً خاصة لدولة ما أو أفراد أو نخب بعينها دون أن تكون تلك الأفكار أو الأخبار هي عين الحقيقة ذاتها . لهذا فالبحث الاجتماعى أضحى ضرورة لمعرفة كيف يتشكل التفكير الاجتماعى والفكر الجمعى لتكوين حس عام مشترك قد يكون صائب أو قد يجانبه الصواب أو يكون في غاية التعميم بحيث يصبح رأياً عاماً مؤكداً في حين أنه نتاج فعل أفراد وليس كيان مجتمعى بأكمله .

كما يحدث من أعمال إرهاب أو عنف مسلح من قبل جماعة ما في منطقة أو ولاية أو محافظة ما ، ويتم تداول الخبر على أن الدولة **س** تمارس بها أعمالاً إرهابية كبرى ويحظر التعامل معها ، وتوضع تحت الرقابة الدولية من قبل هيئات الأمن الدولى العام . فهذا التعميم المفرط نتاج الرأي العام المغلوط والوسائل والمصادر التي شكلت الحس العام ورسخت في أذهانهم مزاعم مغلوطة وأحداث عنف أو إرهاب في منطقة معينة لا يتم تعميمها على الدولة ككل ، خاصةً في حالة عدم انتشار تلك الأفعال الإجرامية واتمام السيطرة عليها.

ومن ثم فالتوجه العام قد نشأ بناء على مقدمات غير منطقية أكدتها مصادر إعلامية واخبارية متنوعة دون تحقق أو دراسة كافية للخبر أو المعلومة ، ونتج عن هذا حس عام أو توجه عام مغلوط قد ترسخ في الذهن البشرى للعديد من البشر قد يؤثروا بدورهم في صناعة واتخاذ القرارات الجمعية في مسألة ما .

ومن ثم فإن موضوعية الأحكام التي يصدرها الحس العام أو الرأي العام قد لا يستند إلى وعى وإدراك وعمق بحثى للبحث عن جذور المسألة أو الموضوع المطروح ، ويحدث تعميمات مغلوطة يتبعها قرارات غير مسئولة نتيجة هذا الوعى الجمعى الزائف .

إذ لا يمكن بحال تصديق الرأي العام أو التوجه الذى يرى **أن الدولة ص تنتهك حقوق المرأة وتمارس العنف ضدها والتمييز على أساس النوع ذلك أنها دولة إسلامية** ، فهذا الجمع غير المنطقى بين معاملة المرأة وبين الدين الإسلامي وربطه بالعنف يدل على قلة الوعى والدراية بالديانة الإسلامية والديانات بوجه عام ، فلم تؤكد أي ديانة سماوية إلهية على العنف ضد المرأة أو سلب حقوقها ، وإنما نهت كافة الديانات السماوية الإسلامية والمسيحية واليهودية عن قهر النساء والفتيات ، ودعت إلى الرفق واللين والرحمة بهن ، ومعاملتهن معاملة حسنة وطيبة .

أما ما حدث من **دوكسا أو رأى عام مشوه ومغلوط** نبع من ممارسات بعض الجماعات في دولة (ص) بعض العنف ضد الفتيات والنساء وحرمانهن من التعليم والعمل والخروج بصفة

عامة ، وتدين تلك الجماعات بالديانة الإسلامية بحكم النشأة ، ولكن لم تعمل بما أقرته الديانة الإسلامية من تسامح ورحمة واحترام للفتيات والنساء ورعايتهن . إذ ليس معنى أن تلك الجماعات تتخذ الدين ستاراً لأفعالها ضد المرأة أن يتم التعميم على كافة الدول التي تدين بالدين الإسلامي أو أي ديانة أخرى .

وهذا قصور واضح في الوعى والفهم أو رغبة في تصديق توجهات مغلوطة من أجل التشكيك في قيمة الأديان السماوية وأحكامها .

والأدلة كثيرة وعظيمة في العديد من الدول التي تدين بالديانة الإسلامية وتحرص على معاملة المرأة معاملة طيبة وتتقلد العديد من المناصب ، وتحصد الكثير من المكانات المرموقة ، وتتعلم تعليم جيد ، وتشاطر الرجال في أماكن التعليم والعمل والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولا يوجد أي تمييز بينهما فالكل يعمل ويجتهد وتتم المحاسبية على الأداءات بصرف النظر عن جنس أو نوع الشخص ذكر أم أنثى .

لهذا فالتوجه العام الذى يبنى وجهات نظره على موروثات رسخت في الأذهان منذ الصغر بأن الديانات مصدر للشرور أو الممارسات العنيفة بين الأمم ، تعد توجهات قاصرة بناء على حالات جزئية وثانوية ولا تمت للواقع الحقيقى بصلة .

فالأديان السماوية وجدت لهداية الناس وحثهم على السلوك المقبول والعمل والإنجاز والمعاملات الحميدة فيما بينهم ، لا لاستخدامها في أمور وقضايا اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها وبناء الأحكام على بنى البشر بناء على تلك الإدعاءات الكاذبة بأن مجتمع أو جماعة ما يمارسون العنف لأنهم يدينون بدين معين ، فالأجدى القول أنهم يمارسون العنف لأن لهم مآرب خاصة يريدون تحقيقها، وهى نزع الأمن والاستقرار العام ،ويتخذون الدين ستاراً لممارسة أعمالهم المشينة والإرهابية والإجرامية .

ونظرة على نسبة أعمال البلطجة والإرهاب والعنف المسلح في دول كثيرة علمانية وديمقراطية فنجدها كثيرة جداً وتزعزع الأمن والحياة المستقرة ، رغم أنهم لا يتخذون الدين ستاراً لممارسة أفعالهم .

لهذا فثمة حقيقة مؤكدة مفاداها أن العنف والإرهاب والبلطجة لا دين لهم ،ولا يمكن نسبتهم إلى ديانة سماوية وإلهية إسلامية أو مسيحية أو يهودية، بل هي أفعال شيطانية بشرية تهدف إلى نزع الأمن والاستقرار داخل المجتمعات الآمنة والمتقدمة .

ومن ثم فإن المراجعة الفكرية للأفكار الجمعية التي تشكل الرأي العام ضرورية لمعرفة مصادر التشكيك والتفتيت والتشتيت الفكرى التي تحاول بناء توجهات فكرية وسلوكية بناء على حقائق مزيفة واستغلال قوى لانعدام الوعى البشرى وضعف قدرة الكثيرين على الفحص والتمحيص والتقصى لفهم وإدراك الحقيقة .

بل لدى البعض كسل فكرى وعدم رغبة في إعمال العقل ، وتصديق كل شيء رغبة في اقناع الذات أن العالم أو المجتمع يسير على هذا النحو السئ ذريعة لتبرير الكسل الفكرى والشعور بالقهر والظلم على طول الخط دون اجتهاد أو فعل شيء يفيده ويفيد الإنسانية .

ثانياً : نظرية التفكير الاجتماعى social thinking theory

في نظرية الحس العام كان ثمة إجماع على أفكار معينة قد يكون هذا الإجماع مبنى على بحث ودراسة متعمقة في جذور ومنابع تلك الأفكار أو يكون مبنى على الشائعات والأكاذيب والمعلومات الخاطئة ، ومصادر مجهولة كما أوضحنا .

أما التفكير الاجتماعى يشير إلى رغبة البشرية في التعاون من أجل فهم العالم بكافة مكوناته وكائناته ، وذلك نتيجة الروابط التي تحكم بنى البشر بالكون والعلاقات التي تؤكد ضرورة العمران البشرى، وتحقيق الروابط الاجتماعية من أجل بقاء الحياة على وجه الأرض بل الآن على الكواكب الأخرى التي من المنتظر أن يرحل إليها بنى البشر بفضل التقدم العلمى المذهل في علوم الفضائيات ودراسة الأكوان .

والتفكير الاجتماعى يشير إلى وجود حياة عقلية اجتماعية لأن التفكير فعل من أفعال الذهن ، وقد تميز به بنى البشر وحدهم .

لهذا كان الفكر الاجتماعى بداية لتأصيل النظريات الاجتماعية المتنوعة ، والتي تعبر عن حياة البشر ونزعاتهم للترابط والمشاركة من أجل تحقيق أهداف مشتركة لبناء المجتمع . ومن ثم برزت نظريات متعددة من مثل البنائية الوظيفية ، والراديكالية ، والرأسمالية ،والاشتراكية ، والليبرالية ، والنيو ليبرالية ، والإنسانية ، والتقدمية ، .....وكلها تنظر إلى العلاقات البشرية بين بعضهم البعض في إطار سياقات مجتمعية وزمانية ومكانية محددة ، ولهذا لا يمكن تعميم النظريات الاجتماعية في سياقات غير سياقاتها التي نشأ رواد تلك النظريات بها . ذلك أن المؤثرات الاجتماعية والظروف الجيوسياسية التي أحاطت برواد النظريات الاجتماعية ليست هي نفسها التي أحاطت برواد نظريات اجتماعية في مناطق وأزمنة أخرى.

فقد تعجبنا مقولات النظريات الاجتماعية وأفكارها العادلة والتي تحمل قيم العدالة والحرية والإنسانية والتعاون والمساندة ، ورد الحقوق ، وترسيخ العلاقة بين الشعب والسلطة ، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين المثقف والسلطة ، وبين العامل وصاحب رأس المال ، وغيرها من المقولات الكبرى والتي تشحذ الذهن على التفكير والإبداع والتحليل والاستدلال ، ولكن مع كل هذا من الصعوبة بمكان في الواقع الفعلى تطبيق أفكار بعينها نشأت وتكونت في مجتمع في ظروف معينة ، في مجتمع آخر يحمل قيم وعادات وأفكار اجتماعية وحياة مختلفة تماماً عن تلك الأفكار الاجتماعية المتميزة التي نشأت في سياقاتها التي حتمت ضرورة الأخذ بها .

أما السياقات الأخرى والأزمنة الحالية ترسخ لنظرياتها الاجتماعية والعلاقات بين بنى البشر وفقاً لعوامل كثيرة أهمها ثقافة المجتمع ونمط تفكير البشر به ، والقيم التي يحملها المجتمع ، وطبيعة العصر الذى تغير بالطبع ، والحركة الفكرية داخل المجتمع ، وحجم التنويرات العقلية والإدراكية والوعى الإنسانى بالتقدم الفكرى والاجتماعى .

سلسلة كبيرة من المكونات للنظرية الاجتماعية داخل كل مجتمع صعب تجاوزها أو تخطيها واستعارة نظريات اجتماعية جاهزة من سياقات اجتماعية وجيوسياسية مغايرة تماماً.

فقد نشأت النظرية الرأسمالية في ظروف اجتماعية واقتصادية معينة تخص العالم الغربى ، وكذا النظرية الاشتراكية والنظرية الليبرالية ، والتي ولدت العديد من الثورات العلمية والمعرفية ، والفكرية والأيديولوجية ، والتي معها تطورت نظريات اجتماعية لتصبح مواكبة للعصر ، وتلاشت نظريات اجتماعية بكاملها نتيجة ضعف حججها ومقولاتها النظرية كانت أكثر من أصدائها الفعلية على أرض الواقع .

لهذا فالتفكير الاجتماعى يحكمه ركائز اجتماعية ومكونات شديدة التعقيد وشديدة التماسك والانسجام في الوقت ذاته ، ويصعب تشتيتها أو فك تشابكاتها المتضافرة داخل أي مجتمع له سياقه الخاص به وظروفه التاريخية والجغرافية والسياسية التي يتميز ويتفرد بها .

ويرى المفكر الاجتماعى محمد يونس الحسينى في كتابة " الفكر الاجتماعى خواطر ولمحات " أن نمط الحياة الفكرية الاجتماعية تتطور مع التقدم الاجتماعى للأمم فقد تم إلغاء نظام الرقيق ، واستحدث بدلاً منه نظام العقد ، أي التعاقد بين الخادم والمخدوم ، وبين العامل وصاحب العمل . كما يرى أن مستوى معيشة المجتمع يحكمه علاقات الإنتاج والمستوى الفني له بحيث أن الآراء والمعتقدات وتكوين النموذج والمثل الأعلى للجماعات والنقد والإدراك كل هذا يتسع باتساع وسائل الإنتاج ونمط المعيشة الاقتصادية والاجتماعية (الحسينى 1948) . أي أن الاستقرار الاجتماعى والتفكير الاجتماعى للبشر مرتبط بحياتهم الإنتاجية والإنجازات التي يقدمونها من أجل استمرار وبقاء الاستقرار والتكيف الاجتماعى.

ويثير أستاذ علم الاجتماع عبد الهادى محمد والى في كتابه " تاريخ التفكير الاجتماعى " سؤلاً جد مهم ألا وهو **هل من الضرورى منح اهتمام أكبر لدراسة المجتمع نفسه باعتباره أحد الملامح الرئيسية لتعقد واشكالية الوجود الإنسانى في ذاته** ؟ حيث تزداد حدة الإقبال

على دراسة العلم والتكنولوجيا في حين أن أكثر المشكلات المعقدة والتي تشكل أزمات كبرى هي مشكلات اجتماعية في الأساس (والى 2006) .

من هنا يمكن القول أن التفسيرات الاجتماعية المختلفة يحكمها تاريخ اجتماعى طويل ، يتطلب دراسات تاريخية للتفكير الاجتماعى ،وعوامل ظهوره ومراحل تطوره ،وأدواره في تشكيل الرأي الجمعى ، والحياة الاجتماعية بين بنى البشر .

لهذا فالتفكير الاجتماعى يخضع لمعايير وقواعد وقوانين اجتماعية لا يمكن إدراك تفاصيلها دون دراسة علمية واستقصائية للجذور الأولى للحياة الاجتماعية التي تأصلت ،ورسخت فيها تلك المعايير الاجتماعية والنواميس الأخلاقية التي سارت بين أبناء مجتمع ما .

ثالثًا النظرية الإنسانية لسوسيولوجيا الأمن الفكرى

يعتقد الكثير من البشر أن الفلسفة الإنسانية تركز على التعاملات الإنسانية بين بنى البشر أو السلوك الإنسانى في علاقته مع المجتمع .

وهذا الاعتقاد صائب تماماً ويزيد عليه أن النظرية الإنسانية تضفى القيم الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس بحيث تدشن قواعد للسلوك الاجتماعى الأخلاقى . وذلك من خلال إعلاء الصفات الإنسانية وتجسيدها في الواقع بالعديد من الصور والمواقف الاجتماعية المختلفة التي تناسب طبيعة كل مجتمع وثقافته وعاداته وتقاليده .

فعلى سبيل المثال في الأماكن المزدحمة مثل وسائل المواصلات أو أماكن الشراء كالأسواق تجد بعض الرجال يسلكوا بشكل متحضر ومتمدن ويفضلون تقديم النساء ، والانتهاء من حاجتهن أولاً. أو أن يترك الرجل مقعده عندما يجد امرأة صاعدة إلى الحافلة "وسيلة المواصلات" ولا توجد أماكن أخرى .

مثل تلك التصرفات الاجتماعية البسيطة نابعة من معايير أخلاقية ترسخت في الإنسان وتظهر عند استدعائها . أي أنه لكونه انسان يحمل معايير أخلاقية حثته على اعلاء مصلحته الشخصية في سبيل اسعاد الآخرين أو مساعدة الآخرين .

والسؤال لماذا فكر هذا الرجل على هذا النحو ؟ ولماذا فكرت السيدة التي طلقها زوجها ، وتركها وحيدة أن تعمل ليلاً ونهاراً من أجل كسب قوت يومها بدلاً من أن تصبح حملاً ثقيلاً على ذويها ؟

ولماذا فضل الطالب حل الامتحان بدلاً من اللجوء إلى الغش ؟ ولماذا لم يسرق المدير أموال المؤسسة رغم أن لا أحد سيحاسبه أو أن هناك قادة أعلى منه يجبرونه على السرقة دوماً ؟

لماذا لم تخضع السيدة العاملة لابتزاز مديرها من أجل فعل المحرمات للترقى لمنصب أعلى؟

الإجابة على كل تلك التساؤلات تحمله القيم الإنسانية التي تجعل الإنسان دوماً في يقظة عقلية في جميع تصرفاته وسلوكياته ، هذه المنحة الإلهية التي خصها الله لبنى الإنسان كى يراجعوا أنفسهم دوماً قبل أن يخطئوا أو يسلكوا على نحو ضد الإنسانية وضد القوانين الأخلاقية البشرية.

إذ لم نسأل الشخص الشريف أو الأمين أو الصادق أو الملتزم عن ديانته أو هويته أو جنسيته أو لونه أو عرقه بل نسأله عن قيمه وأخلاقه وسلوكه الإنسانى . هذا هو المحك الأساسى لكونك انسان يتسنى أن تفكر على نحو انسانى أي خلقى وقيمى ويحمل صفات الإنسانية لا صفات البربرية أو الكائنات الغير عاقلة أو الصفات الجامدة أو القاسية .

فسمت الإنسان اللين والرفق والرحمة والخلق الطيب ، والمراجعة الذاتية ومحاسبة النفس على الأفعال دوماً .

ومن ثم فإن النزعة الإنسانية لبنى البشر تطغى بدورها على سلوكهم وذلك مرهون بعوامل كثيرة أهمها البيئة التي يعيش فيها المرء، والظروف التي مر بها ، وخلوه من الأمراض الأخلاقية المدمرة مثل الحقد والانتقام والشر والغرور والحسد والأنانية ، وكل ما يعوق صفة الإنسانية التي جبل عليها الإنسان .

وفى كتابه بعنوان " الإنسانوية" يرى (ستيفن لو) أن الحياة الإنسانية مليئة بالكثير من نقاط الضعف التي قد تغرق الإنسان في التفكير في أفعال سيئة وغير أخلاقية كالقتل والسرقة

والانحراف والحنث بالعهود ، والعنف وغيرها من الأفعال غير الإنسانية ، لهذا على الإنسان أن يمتلك مجموعة أساسية وجوهرية من المعايير الأخلاقية تساعد في تفسير المعايير السائدة في كل ثقافة تقريباً. الأمر الذى يسمح للحياة سوياً بشكل انسانى واخلاقى وفى تناغم نسبى (لو 2017، 86).

كما يعرف يوسف هريمة (المبدأ الإنسانى) في مقاله العميق بعنوان " الفلسفة في مواجهة الهشاشة الإنسانية : رحلة البحث عن المعنى والخلاص " بأنه –المبدأ الإنسانى– الإعتقاد في أن كل انسان يحمل قيمة فريدة ، ويمتلك حقوقاً لا يمكن انتهاكها أو تجاهلها ، ويعزز هذا المبدأ فكرة أن جميع البشر متساوون في القيمة بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية أو العرقية أو الدينية ، ويؤكد هذا المبدأ أهمية كرامة الفرد وحريته في اتخاذ القرارات ، مما يسهم في بناء مجتمعات قائمة على العدالة والمساواة، وهذا يعنى أن لهذا المصطلح أبعاداً أخلاقية (هريمة 2024).

أي أن القيم الإنسانية راسخة منذ تكوين الإنسان بفعل إلهى ، وعلى الإنسان استبصار انسانيته والتصرف وفقاً لها في حياته كى يبرز أنه انسان ويحمل تلك القيم الإنسانية في سلوكياته المختلفة . لهذا فالتفكير على نحو أخلاقى من سمات البشر الأسوياء الذين يتمتعون بصفات الإنسانية ومبادئها الراسخة فيهم منذ ولادتهم فتلك هي القاعدة أما عدا ذلك من تصرفات أخرى تعد خروجاً عن صفة الإنسانية وليست أفعالاً بشرية بل شيطانية أو غير آدمية .

رابعاً نظرية الروابط الاجتماعية social bonds theory

تعد نظرية الروابط الاجتماعية من أهم النظريات الاجتماعية التي تتسم بالأصالة والمعاصرة في الوقت ذاته ، ذلك لكونها ليست نظرية قديمة فحسب منذ عالم الاجتماع ابن خلدون ، ولكنها نظرية متجددة باستمرار حتى وقتنا هذا . والسبب في هذا يرجع أنه لا يمكن تأسيس عمران بشرى مستقر فكرياً وعملياً دون وجود روابط اجتماعية وتفاعلات ديناميكية تسم

جماعات أو مجتمع بعينه . فأساس نشأة المجتمعات واستمراريتها ورسوخها هي الروابط الاجتماعية .

لهذا فقد تعددت نظريات الروابط الاجتماعية وفقاً للاختلافات والتنوعات الثقافية المتباينة ، وتأثير هذا ليس فقط لرواد نظريات الروابط الاجتماعية بل أيضاً ثقافات الشعوب وتغيرها وتعقدها بالمثل .

وفى كتاب الله العزيز في سورة آل عمران الآية 200 يقول المولى عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

وقد تعددت تفسيرات كلمة رابطوا في الآية الكريمة ، حيث تشير في بعض التفسيرات إلى اتباع الصلوات الخمس جماعة ، وفى تفسيرات أخرى مواجهة الأعداء في صفوف موحدة .

ويعبر ابن خلدون عن الروابط الاجتماعية بمفهوم " العصبية " وهى تعد المحرك الأساسى لتأسيس العلاقات بين البشر وتكوين الجماعات الإنسانية ، وقد ترجم علماء الاجتماع كلمة العصبية بمعنى التماسك الاجتماعى والتضامن الاجتماعى في ذلك الوقت ، كما ترجمت إلى الذهنية العشائرية ، والالتحام القبلى ، والقرابة بالعصب ، والالتحام الجماعى بالعصب ، وهى رابطة اجتماعية شعورية أو لاشعورية ترتبط معاً عندما يواجهها أي خطر يهدد أمنها كأفراد أو جماعات ، ومن ثم يتخلل مصطلح العصبية شعور نفسى بأهمية الاحتماء والانضمام للجماعة أو العصبية . أى وفقاً لابن خلدون تتحول الأنا إلى نحن والنحن إلى أنا بمعنى الذوبان الفردى في المجتمع ككل (سوالمية 2016، 160).

وقد ربط "ماكس فيبر" عالم الاجتماع الألماني الرابطة الاجتماعية بعملية التكوين الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية والتنظيمية السياسية بين السلطة والشعب ، حيث يرى أن الرابطة الاجتماعية تشكل الولاء الاجتماعى من خلال تعزيز المزيد من الأنشطة الاجتماعية للأفراد والجماعات ، وتشكيل هوية اجتماعية متكيفة مع أهداف المجتمع والدولة ، حيث يتأثر سلوك الأفراد بالضغوطات الاجتماعية المحيطة بهم ، ويعمدون إلى فهم السياق

المتعلق بالسيادة والسلطة . ويرى فيبر أنها عناصر مهمة في بناء العلاقات الاجتماعية . ويشير فيبر إلى أن السلطة قد تستخدم القوة الروحية والعاطفية كاستراتيجية من أجل تعزيز الروابط الاجتماعية وزيادة عوامل الالتفاف نحو السلطة والجذب الاجتماعى . لهذا دعا فيبر إلى أهمية تحليل العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيو تنظيمى حيث يسلط الضوء على دور الروابط الاجتماعية في تشكيل هويات الأفراد الاجتماعية وتشكيل التنظيم الاجتماعى (طالب 2024، 4،5).

بل إن الأمر ليس إيجابياً على طول الخط ، فقط تتحول الروابط الاجتماعية والتفكير الجماعى إلى قيود تؤدى إلى ممارسات ضاغطة أو انحرافات سلوكية مؤثرة سلبياً على المحيط الثقافي والاجتماعى فقد تميل قوة جمعية ما إلى الضغط على الأفراد لممارسة انحرافات سلوكية تنحو ناصية الجريمة وقد فسر هذا بارسونز ودوركايم في تناولهم للروابط الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد التي قد تؤدى إلى ضغط اجتماعى يفضى إلى الجنوح والانحراف . وقد تصل ضغوط الروابط الاجتماعية إلى انتشار الانتحار بين الأفراد هؤلاء الذين اضطروا الامتثال إلى أوامر الجماعة التي في أغلبها أيديولوجيات تحمى مصالحهم دون مراعاة لاحتياجات المجتمع ككل. لهذا استخدمت نظرية الروابط الاجتماعية في علم اجتماع الجريمة وجنوح الأفراد الذين يخرجون عن الجماعات أو قواعد المجتمع .

ونظراً لتعقد طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع والسلطة تختلف النظريات وتتعقد في وضع ضوابط اجتماعية تحكم تلك العلاقة من مجتمع لآخر . إلا أن الحكم النهائي في تأسيس علاقات سوية بين الفرد والمجتمع والدولة هو خفض التشدد والتعصب في العلاقات والروابط الاجتماعية ، وتأسيس جوهر العلاقات الاجتماعية على الضبط الذاتي في إطار مجتمعى كما دعا إلى ذلك هيرشى في نظريته عن الروابط الاجتماعية والضبط الذاتي self- control لتقليل حجم الجرائم في المجتمعات . فالشخص قد يجد في علاقته بالمجتمع ضوابط وقيود قد تمنعه من ارتكاب الجرائم أو السلوكيات المنحرفة ، ولكن ماذا إذا كان بمفرده أو في مجتمع آخر ؟

لهذا فالضبط الذاتي يحمى المرء من السلوك المنحرف أو التفكير بشكل غير مقبول ، وتساعده على هذا الضوابط الاجتماعية والمعايير الاجتماعية .

ومن ثم فقد أكد هيرشى في نظريته عن الروابط الاجتماعية على الأخلاق الاجتماعية التي تضبط سلوك الانسان داخل الأسرة والمجتمع ، ويلتزم أخلاقياً من خلال الضمير والوعى الاجتماعى ، وإعلاء الأنا الأعلى فى أموره الحياتية والالتزام الأخلاقى من خلال الضبط النفسى والذاتى لغرائزه أو الانحرافات كالسرقة والعنف والبلطجة أو تصرفاته التي تتناقض مع السلوك الاجتماعى والمعايير الاجتماعية، وذلك من خلال استدماج معايير المجتمع في الذات والضمير الإنسانى، وقد وضع هيرشى أربعة عناصر من أجل تحقيق ذلك وهم التعلق أو الارتباط ، والانغماس أو المشاركة ، والإلتزام ، والاعتقاد أو الايمان(المعايطة & العسافسة 2021 ، 262-265).

ويرى جيمس كريس في دراسته عن وظائف الروابط الاجتماعية The functions of social bonds أن نظرية Travis Hirschi ترافيس هيرشى استفادت من النموذج التحليلى الذى قدمه تالكوت بارسونز أو ما يعرف بمخطط AGIL وتشير الحروف الأربعة إلى ما يلى :-

A وترمز إلى (Adaptation) أي القدرة على التكيف .

G وتشير إلى Goal attainment أي تحقيق الأهداف.

I وتعنى integration أي التكامل

L وتدل على latency أي المحافظة على الأنماط الثقافية أو الشرعية .

واعتمد هيرشى على العناصر الأربعة لنموذج بارسونز في تأسيس مشروعه عن الضبط الذاتي بحيث توسيع قاعدة الروابط الاجتماعية من خلال المشاركة في الأنشطة المشروعة الاجتماعية والالتزام بتحقيق أهداف مستقبلية ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية والمحافظة على القيم والمعايير الأخلاقية .

ويرى هيرشى أن الجرائم تكثر عندما تضعف الروابط الاجتماعية بالمجتمع ، وأن السلوك الإجرامى لا يحتاج إلى تفسير بقدر ما تحتاج اللامسئولية الاجتماعية إلى تفسير، ولهذا فالسيطرة الذاتية على تصرفات الإنسان يحكمها معايير وقيم أخلاقية واجتماعية تمنعه من التفكير المنحرف أو السلوك الغير مقبول اجتماعياً وأخلاقياً. لهذا فإن تنمية المسئولية الاجتماعية ، وتقليل عوامل الاغتراب النفسى للأفراد ، ودعم الاستقرار النفسى والعاطفى ، والتكامل الاجتماعى من أهم الركائز التي تقلل التفكيك الاجتماعى وتقوى من الروابط الاجتماعية (Chriss, 2007) .

ويرى المفكر الجزائرى خواجة عبد العزيز أن منتوج (أهداف الرابط الاجتماعى) المتوقعة هي:-

-استمرارية المجتمع بمعنى القدرة على بقاء الأفراد والمجموعات مع بعضها بعضاً والسماح للأجيال الجديدة العيش في تناغم وانسجام وتحقيق آمالهم وطموحاتهم .

-التضامن الاجتماعى بمعنى التقارب النسبى لأفراد المجتمع وانسجامهم وتناسقهم دون فوارق بين الطبقات الاجتماعية ، وقوة الرابط كفيلة بتحقيق ذلك .

-الحماية وضمان الخصوصية حيث تسعى كل مجموعة للتكاتف فيما بينها لضمان حمايتها من الأعداء والآخر ثقافياً والمحافظة على الهوية والخصوصية وتميزها على كافة المستويات والأصعدة الثقافية والاجتماعية والسياسية (محمد 2018، ص ص 28 : 30).

ويضع خواجة جدول لمصادر الرابط الاجتماعى وأسس انتمائه ومؤسساته متضمناً أربعة مصادر أساسية للروابط الاجتماعية هي :-

الإنتماء القرابى ويشير إلى النسب والعائلة ، والتبعية الدينية وتشير إلى المعتقدات الدينية والمذاهب الدينية ، والأيديولوجيا السياسية أو الفكر السياسى وتبعيته وأنماط الحكم والنظام السياسى والأحزاب والمجتمع المدنى والجمعيات وغيرها ، والإنتماءات المهنية أو المصالح مثل المؤسسات الحكومية والمدارس والمصانع ، والجامعات وغيرها .

المصدر	أساس الانتماء	المؤسّسات
الانتماء القرابي	العرقية	الأسرة، العائلة، العشيرة، القبيلة، العرش...
التبعية الدينية	الاعتقادية	المعبد، الحركة، المذهب، الدين، الاعتقاد...
الإيديولوجية السياسية	النضالية	البلدية، الولاية، الحزب، الدولة، جمعيات المجتمع المدني، جمعية سياسية...
الانتماءات المهنية	المصلحية	المدرسة، الجامعة، المعمل، الإدارة...

المصدر : محمد ، خواجة (2018) ، ص 30 .

إلا أنه من الملاحظ أنه ثمة مصدر الآن أضحى لا يستهان به في تأسيس الروابط الاجتماعية لم يتم ذكره في المصادر الأربعة السابقة ألا وهو تقنيات الذكاء الاصطناعى والشات جى بى تى وغيرها من البرمجيات الذكية التي أنشأ الإنسان معها روابط اجتماعية قد تصل لحد المصداقية والموثوقية في تلك البرمجيات ، فضلاً عن وسائل السوشال ميديا التي جمعت ملايين البشر في صفحات مشتركة للتواصل وإقامة العلاقات سواء كانت رسمية او غير رسمية ، وسواء كانت مرغوبة ومقبولة اجتماعياً أو لا . فما هو واقع يشير إلى مصادر تقنية تتحكم في الروابط الاجتماعية بين البشر ،وتؤثر عليها ثقافياً واجتماعياً وذهنياً بالمثل .

فقد تجاوزت التكنولوجيا والتقنيات والتطبيقات الذكية حدود الوسائلية أو الأداتية أو التفكير فيها على أنها وسيلة أو أداة ، بل أضحت جزء من حياة الإنسان اليومية يرتبط بها ثقافياً وعلمياً واجتماعياً وسياسياً وخلقياً بما تبثه من محتويات قد تحقق أهداف المجتمع أو لا . لكن لا يمكن اغفال دورها الكبير في الدراسات الاجتماعية والمعرفة الاجتماعية خاصةً عندما يرتبط الأمر بموضوع أو نظرية مثل الروابط الاجتماعية وتشابكاتها المتنوعة .

5-نظرية الدبلوماسية الإنسانية Humanitarian diplomacy

في كتابه المعنون ب " الدبلوماسية " يعرف جوزيف إم سرياكوسا الدبلوماسية على أنها حالة الانتقال من الحرب إلى بناء السلام من خلال الأنشطة الدبلوماسية السياسية التي تتبعها الدول من أجل إعادة احداث التوازن العالمى وتحقيق الأهداف الاستراتيجية السلمية . وهو مصطلح قديم من أيام الإغريق ويشير إلى الرجل المسن ، وفى الفرنسية يشير إلى الشخص المفاوض الذى يسوى النزاع بين الأطراف المتنازعة للوصول إلى حلول .

ولهذا فالشخص الدبلوماسي هو شخص حكيم استطاع حل التناقضات بشكل سلمى ، وينطبق نفس الأمر على الدولة الدبلوماسية . أما عهد الدبلوماسية الحديث فيعود إلى صلح وستفاليا الذى عقد عام 1648 ،والذى وضع حداً لنزاعات حرب الثلاثين عاماً، وقد أرسى مبدأ استقلال الدول ، وحرية الاعتقاد والتسامح الدينى ، ومع انشاء السفارات والمفوضيات بات مصطلح الدبلوماسية أكثر أهمية واستخداماً في ترسيخ وترسيم العلاقات الدبلوماسية بين الدول .

ومع نهاية القرن التاسع عشر أصبح العالم كله يتبع النظام الأوربي في تبنى السياسات الدبلوماسية حيث لدى الدول الكبرى سفارات في الدول المناظرة ومفوضيات في الدول الصغرى ، ورأس السفارات سفراء ، ورأس الوزراء المفوضيات. وبحلول عام 1966 حلت السفارات تدريجياً محل المفوضيات في ممارسة الدبلوماسية السياسية (كوسا 2015) .

ومن ثم فالدبلوماسية تعد فلسفة ركينة من أجل الخروج من دوائر التناقضات في العلاقات الدولية والسياسات العالمية ، وترسيخ قواعد للعلاقات الدولية على أساس سلمى تشاركى وليس على أساس عدائى تنافرى أو تدميرى .

فقد دشن نظام الدبلوماسية من أجل تهدئة الأوضاع العالمية والعلاقات بين الدول وتبادل عمليات الإنتاج والتنمية والمنفعة المتبادلة دون طغيان فكرى أو هيمنة أيديولوجية أو وجودية

على الدول ، حيث ترمى الدبلوماسية إلى سيادة كل دولة لحدودها وأراضيها دون محاولات طمس لتلك الحقوق الدولية واختراق القوانين الدولية .

أي أن الدبلوماسية نظام وأسلوب لتحقيق المصالح الوطنية اعتماداً على الاتصال الرسمي بين الدولة والدول والهيئات العالمية الناشطة على الساحة الدولية من أجل التفاوض والحوار وتبادل وجهات النظر دون تهديد أو فرض أو هيمنة .

ويعد مصطلح الدبلوماسية الإنسانية حديث نسبياً حيث يشير إلى استخدام الأدوات والأساليب الدبلوماسية من أجل تحقيق أهداف إنسانية . مثل حماية حقوق الإنسان ، وتقديم الإغاثة في حالات الطوارئ ، واحترام القانون الدولى الإنسانى. ومن ثم تهدف الدبلوماسية الإنسانية إلى حماية المدنيين وقت الحروب والنزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية ، والتخفيف من المعاناة الإنسانية بأقل تدخل سياسى ممكن وتقليل حجم الخسائر المادية والمعنوية ، وضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى المحتاجين .

ولهذا فالدبلوماسية الإنسانية تتعدد المنظمات والجهات الفاعلة من أجل ترسيخها مثل المنظمات الدولية كالصليب الأحمر والأمم المتحدة ، والمنظمات غير الحكومية NGOs ، والدبلوماسيين الرسمين ، والجهات الأكاديمية والحقوقية. وتستخدم تلك الجهات وسائل متنوعة منها التفاوض مع أطراف النزاع للوصول إلى تسوية ، والضغط السياسى والدبلوماسى لإزالة العقبات أو التحديات أمام العمل الإنسانى وحماية الإنسانية ، وبناء علاقات مع الحكومات لضمان احترام القانون الدولى الإنسانى. مثل التفاوض من أجل دخول قوافل للمساعدات الإنسانية في مناطق ودول محاصرة ، والحوار مع جماعات مسلحة من أجل إجلاء الجرحى ، وحملات دولية للضغط على الحكومات من أجل وقف انتهاكات حقوق الإنسان .

وترجع جذور الدبلوماسية الإنسانية إلى هنرى دونان Henry Dunant المفكر السويسرى والناشط السياسى ، ومؤسس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في 17 فبراير 1863 ويعد هو

صاحب الفكرة والأب الروحى للدبلوماسية الإنسانية ، والتي مهدت لاتفاقية جنيف عام 1864 وقد كانت في بدايتها باسم " اللجنة الدولية لإغاثة الجرحى " ثم تم تغييرها باسم " اللجنة الدولية للصليب الأحمر عام 1876 .

وكانت اتفاقية جنيف بمبادرة من دونان واللجنة ووقعتها 12 دولة نصت على حماية الجرحى أثناء الحروب ، وحماية الطواقم الطبية ، واعتماد شارة الصليب الأحمر كرمز محايد . ولهذا عرف دونان بأبو القانون الدولى الإنسانى ، وتم منحه جائزة نوبل للسلام عام 1901 لجهوده الدبلوماسية ومساعيه لحماية الإنسانية من الدمار.

وقد ألف دونان كتاباً بعنوان " ذكرى سولفرينو" عام 1862 يصف فيه معركة سولفرينو في شمال إيطاليا بين الجيش الفرنسة والنمساوى والمعاناة الإنسانية والتي خلفت 40 ألف جريح وقتيل ، ولم يكن وقت ذاك تنظيم طبى سريع واسعاف لمساعدة الجرحى ، وبناء عليه كانت مبادرته في تأسيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، وانشاء جمعيات تطوعية لحماية الجرحى ، وتوقيع اتفاقيات دولية تضمن حماية الجرحى والعاملين في المجال الطبى.

وقد أوضحت موضى مبارك البوعينين في كتابها بعنوان " الدبلوماسية الإنسانية" الصادر عن الشبكة الإقليمية للمسئولية الاجتماعية أن ثمة مبادئ أساسية للدبلوماسية الإنسانية مثل النزاهة أي المساعدة وفقاً لشدة الحاجة ، والحياد بمعنى أنشطة دون برامج سياسية أو غيرها من البرامج الخارجية ، والاستقلال بمعنى الإلتزام بمقاومة التدخل في المبادئ الأساسية .

وترى البوعينين أن الثلاث مبادئ تتعرض لمخاطر كثيرة عند التحقق في الواقع في محاولات نزع السلاح والحماية المدنية وتضرب الأمثلة على ذلك مثلما حدث في يوغوسلافيا سابقاً فقد تم اختبار النزاهة في تلك الحالة عندما كانت مفوضية شئون اللاجئين تتعرض لضغوط مستمرة في مقابل الوصول إلى المناطق الإسلامية لتوزيع إمدادات إغاثة من الجسر الجوى سراييفو على السكان الصربيين بكميات تفوق احتياجاتهم الأساسية ، كما تعرض مبدأ الحياد للضغط عندما ينظر إلى المساعدات الإنسانية على أنها طرف في نزاع ، إما من جانب

وكالات المعونة التي ينظر إليها على أنها تدعم أحد أبطال النزاع أو من قبل السلطات التي تريد الحشد الدولى من أجل المساعدة.

كما أن مبدأ الاستقلال يعرض للخطر عندما تحرم الوكالات من الحرية اللازمة لمراقبة عمليات توزيع المساعدات الإنسانية وتضع قيود تواجهها برنامج الأغذية العالمى مثل تهديد العمل الإنسانى للوكالات في كوريا الشمالية (البوعينين 2020، 30).

وقد أجريت دراسة استقصائية ضمن استراتيجية الاتحاد الدولى لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر 2020 عن الدبلوماسية الإنسانية حددت بها اثنى عشر مجالاً لعمل الدبلوماسية الإنسانية ذات الأولوية وهم :-

1-الحد من الكوارث . 2- تعزيز وضع المساعدة للصليب والهلال الأحمر. 3-منع الأمراض وغيرها من تحديات الصحة العامة . 4- التطوع . 5-الأطر القانونية للاستجابة للكوارث مثل قانون الكوارث والإغاثة . 6-حماية الفضاء الإنسانى للصليب الأحمر \الهلال الأحمر . 7-التكيف مع تغير المناخ . 8-الأمن الغذائي . 9-معالجة الهجرة والإتجار بالبشر. 10-تشجيع اللاعنف . 11-معالجة التحضر وعواقبه الإنسانية . 12-إصلاح القطاع الإنسانى والتنسيق العنقودى . (البوعينين 2020 ، 32-33).

ومن ثم فإن سوسيولوجيا الأمن الفكرى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفلسفة الإقناع والمساعى الدولية التي ترسخها الدبلوماسية الإنسانية باعتبارها حلقة وصل لكافة أنماط الدبلوماسية الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . إذ لا يمكن تحقيق الدبلوماسية السياسية وترسيخ علاقات قوية دون علاقات إنسانية دولية تتسم بالموضوعية واعلاء القيم الإنسانية والحدود البشرية فوق أي نزاعات أو صراعات أو أهداف أيديولوجية أو مصالح خاصة . وكل هذا يحقق الأمن الفكرى على المستوى الإنسانى والعالم أجمع .

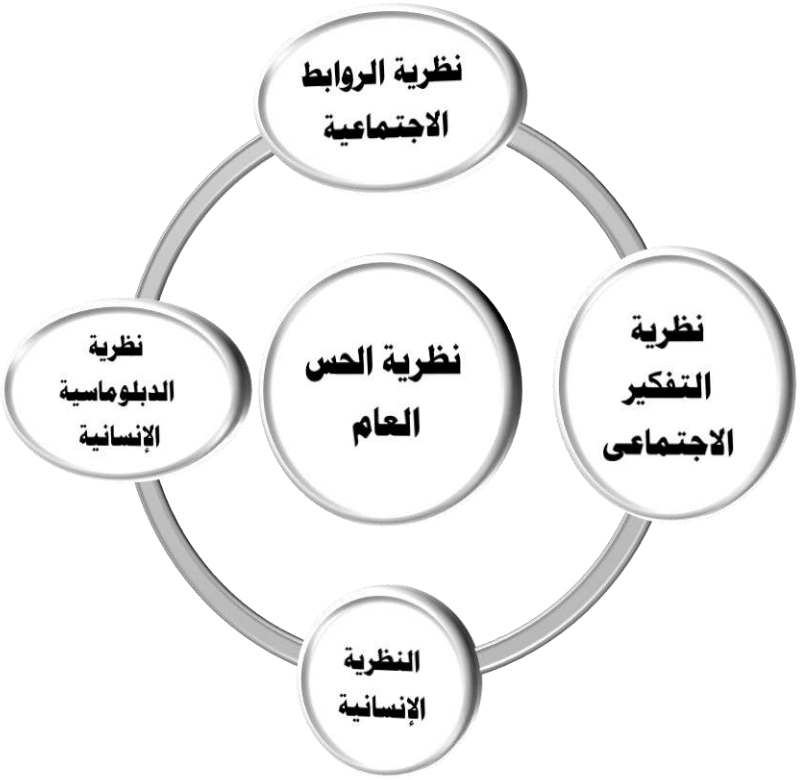

مخطط رقم (5) **يوضح نظريات سوسيولوجيا الأمن الفكرى**

من خلال الخمس نظريات السابقة المتعلقة بسوسيولوجيا الأمن الفكرى يتضح ما يلى :-

أولاً: يرتبط الأمن الفكرى بأنماط العلاقات الاجتماعية بين البشر ، والروابط الاجتماعية بين بنى البشر التي تشكل الحس العام أو الرأي العام الصائب أو الخطأ النابع من جهالة وقلة وعى.

ثانياً: ترتبط سوسيولوجيا الأمن الفكرى بالتفكير الجمعى أو بالفكر الجماعى النابع من العلاقات والروابط الاجتماعية محكوماً بقوة الأعراف الاجتماعية والثقافة الإنسانية .

ثالثاً: ترتبط سوسيولوجيا الأمن الفكرى بالمعايير الاجتماعية التي يضعها كل مجتمع والقوانين التي يؤسس لها سواء وضعية أو عرفية ويرتضاها المجتمع والناس ويسلكون على أساسها .

رابعاً:ترتبط سوسيولوجيا الأمن الفكرى بالسلوك الاجتماعى للبشر ، وطرق التعامل مع المواقف المتغيرة أو الطوارئ والأزمات وذلك ينبع من نمط التفكير الجمعى ، فالمجتمعات التي تتسم تفكيرها بالإيجابية والسلمية والأمن الفكرى لديها قدرة أكبر على مواجهة الأزمات مثل الحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية بتفكير موضوعى وعقلانى يضمن خسائر أقل في الموارد البشرية والمادية واللوجستية والمالية . أما المجتمعات التي تتسم بالتفكير التدميرى أو السلبى أو الهجومى وتتسم بالهمجية والتطرف الفكرى فسرعان ما تقع فريسة سهلة في أيدى المجتمعات الأخرى المعتدية،وتجد صعوبة بالغة في مواجهة التغيرات والطوارئ والكوارث نتيجة التفكير أحادى الزاوية وهو الشر المطلق أو التدمير واستخدام العنف ، ومن ثم فإن حجم الخسائر البشرية والمادية والمالية تكون كبيرة وشاسعة ولا يمكن السيطرة عليها .

خامساً: سوسيولوجيا الأمن الفكرى تخلق جو من الإنسجام والتوافق والترابطية الاجتماعية والتي من شأنها خلق نوع من الشعور الجمعى بتحمل المسئولية ، ومواجهة المخاطر بقوة جمعية وموضوعية بل التفكير الجمعى الذى يضع حلول وبدائل سلمية وتفاوضية ، وسلك كافة السبل الدبلوماسية من أجل السلام المجتمعى العالمى لتحقيق مصالح إنسانية مشتركة وجمعية يكفل تحقيق الأمن العالمى والاستقرار وانتعاش الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية داخل المجتمعات .

سادساً: سوسيولوجيا الأمن الفكرى ترتبط بتيسير الحياة الاجتماعية للناس وحماية مصالحهم والعمل على تحقيقها دون استبداد سلطوى أو عراقيل تؤدى إلى حالة السخط الاجتماعى والنفور الاجتماعى وتؤدى إلى العزلة الاجتماعية والفكرية للناس ومن ثم تتهدم آمال وطموحات المجتمع نتيجة التفكير النخبوى المتسلط وعرقلة المصالح الإنسانية والاجتماعية .الأمر الذى يضر بالأمن الفكرى المجتمعى ويشعر أفراد المجتمع بالاغتراب الاجتماعى عن

وطنهم ، وأن حياتهم في أوطانهم تسير بشكل سلطوى وتعسفى وغير موضوعى،الأمر الذى يؤدى إلى الإنزواء وعدم المشاركة في الحياة المجتمعية . وهذا تهديد كبير للأمن المجتمعى وخسارة للكوادر البشرية نتيجة الممارسات الاستبدادية للنخب السياسية أو القيادية.

.....

الفصل السابع

جيوسياسية الأمن الفكرى .

الفصل السابع

جيوسياسية الأمن الفكرى .

يشير مصطلح الجيو سياسية أو الجيو بولتيكس إلى علم دراسة تأثير العوامل الجغرافية على السلوك السياسى للدول وعلى العلاقات الدولية . وقد ساد هذا المصطلح في العقدين الآخرين نظراً لتغير خريطة العالم الجغرافية في العالم كله وحدوث تغيرات كثيرة بفضل التغييرات الجغرافية المناخية والبيئية في العلاقات الدولية بين الدول .

وقد أحدثت تلك التغييرات العميقة في المناطق الجغرافية صعود سياسى للعديد من الدول، حيث ما حدث في الخمس سنوات الأخيرة بعد جائحة كرونا أو عالم ما بعد الجائحة يؤكد على التغييرات الجيوسياسية التي أثرت على الأحداث العالمية بقوة تفوق في حدتها وقوتها حياة ما قبل جائحة كرونا أو عالم ما قبل الجائحة .

ويمكن حصر تلك الأحداث الجيوسياسية التي غيرت مجرى العالم والعلاقات الدولية والسياسة الدولية بالمثل كما يلى :-

-الحرب الروسية -الأوكرانية منذ عام 2022 حتى الآن ، حيث ضمت روسيا للعديد من الأقاليم الأوكرانية مثل القرم ، ودونتيسك ، ولوغانسك ، وخيرسون ، وزبوريجيا . الأمر الذى أدى إلى تغيير جذرى في الخريطة الأوكرانية ومستقبل العلاقات السياسية الدولية .

-في الشرق الأوسط حيث تطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنية مع إسرائيل بين بعض الدول العربية مثل اتفاقات إبراهيم 2020 بوساطة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل

إقامة علاقات دبلوماسية كاملة ، والتعاون في مجالات مثل التجارة والتكنولوجيا والأمن والسياحة ، وتخفيف التوترات الإقليمية والترويج للسلام ، ومن أهم الدول التي وقعت على الاتفاق الإمارات العربية المتحدة ، والبحرين ، والسودان ، والمغرب . وتلك الاتفاقيات تهدف

إلى تبادل السفراء وفتح السفارات ، والتعاون الاقتصادى والاستثمارى ، ومشاركة مشروعات تكنولوجية وابتكارية متقدمة ، والتنسيق الأمني الاستخباراتى في بعض الحالات ، ورحلات طيران مباشرة بين الدول . ولعل دافع عقد تلك الاتفاقيات هو مواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة ، والحصول على دعم وتأييد سياسى وعسكرى من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتحفيز الاقتصاد الوطنى من خلال التعاون مع إسرائيل . أما بالنسبة لإسرائيل فيكمن الدافع في كسر العزلة الإقليمية ، وفتح أسواق جديدة ، واضفاء شرعية لوجودها في منطقة الشرق الأوسط دون الحاجة للوصول لحل نهائي مع الفلسطينيين . وهذه الاتفاقيات تؤثر على مستقبل العلاقات الجيوسياسية في المنطقة ،وقد تضم دول أخرى كثيرة لاحقاً بسبب الضغوط الاقتصادية والسياسية والأمنية على المنطقة .

-وعلى صعيد النمور الآسيوية صعود قوى ومتنامى للصين والهند ، وتوسع نفوذ الصين في آسيا وأفريقيا عبر مبادرة الحزام والطريق الأمر الذى يعيد تشكيل النفوذ العالمى . والهند كقوة صاعدة اقتصادياً وسياسياً في جنوب آسيا ، وعضويتها البارزة في تكتلات دول البريكس BRICS .

وتعد مبادرة الحزام والطريق built and road initiative مشروع استراتيجى ضخم دشنته الصين منذ عام 2013 لربط الصين بالعالم كله عبر شبكات من الطرق البرية والبحرية ، وذلك بقيادة الرئيس الصينى شى جين بينغ ، وذلك من أجل تيسير التجارة والاستثمار. ومبادرة الحزام والطريق تسعى لإحياء طريق الحرير التاريخى من خلال الحزام الاقتصادى لطريق الحرير الذى يربط الصين بآسيا الوسطى وأوروبا ، وطريق الحرير البحرى للقرن 21 ويشير إلى الطرق البحرية التي تربط الصين بجنوب شرق آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط . الأمر الذى يوسع من نفوذ الصين عالمياً اقتصادياً وتجارياً وسياسياً ، وبناء وتحديث للبنى التحتية مثل المطارات والموانئ والمناطق الصناعية والسكك الحديدية ، وتأمين طرق الطاقة والنقل الحيوية للصين ، وتشجيع التنمية والاستثمار للدول النامية المشاركة .

ومن ثم يمتد النفوذ الجيوسياسى للصين في آسيا الوسطى (كازاخستان ، وأزبكستان ...) ، والشرق الأوسط (إيران والسعودية ومصر ....) ، وأوربا الشرقية والبلقان ، وإفريقيا (كينيا واثيوبيا وجيبوتى ونيجيريا ....) ، وجنوب شرق آسيا (إندونيسيا ، وماليزيا وفيتنام ...) ، وأمريكيا اللاتينية في المستقبل القريب .

وهذا التوسع والامتداد الجيوسياسى للصين في العالم من خلال مشروعات الطاقة والتمويل والتكنولوجيا يثير مخاوف دولية عديدة أهمها دبلوماسية فخ الديون حيث صعوبة تسديد الديون للقروض الممنوحة من الصين من قبل بعض الدول مثل سيرلانكا وذمبيا ، والهيمنة الصينية حيث تشير المبادرة إلى صعود نفوذ الصين سياسياً وأمنياً . فضلاً عن التأثيرات البيئية والاجتماعية حيث تؤثر بعض المشروعات على البيئة الطبيعية والاجتماعية لبعض الدول . وقد تنتقد المشروعات في بعض جوانبها في غياب الشفافية في العقود والتمويل . وتشير الأرقام الأولية إلى أن حوالى 150 دولة حتى عام 2024 قد وقعوا اتفاقيات مع الصين باستثمار يقدر ب1 تريلون دولار في مشروعات بنية تحتية كبرى وانشاء موانئ وسكك حديدية في 60 دولة.

-في أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي 2021 ، وسيطرة طالبان أعادت تشكيل الخريطة السياسية للمنطقة وتسببت في خلق فراغاً أمنياً أثر على دول الجوار مثل باكستان وإيران.

-وعلى صعيد التحالفات الدولية فقد تغير المشهد الجيوسياسى العالمى حيث :-

حلف الناتو توسع ليشمل فنلندا والسويد للمرة الأولى ، وتحالف دول البريكس توسع ليشمل دول جديدة مثل مصر والسعودية والإمارات وإيران في 2024، والاتحاد الأوربي يشهد توترات اقتصادية وانقسام حول التعامل مع روسيا والصين . وتحالف مجموعة العشرين تحول إلى صراع بين الغرب والصين وروسيا حول النظام والتوسع الاقتصادى العالمى .

-وفى مجال البيئة والتغيرات المناخية فقد أثرت التحولات المناخية على العلاقات الدولية ومستقبلها بل والعلاقات الأمنية بين الدول حيث أن التغير المناخى أدى إلى النزوح السكانى

في مناطق مثل أفريقيا جنوب الصحراء وبنجلادش وجزر المحيط الهادئ . وذوبان الجليد في القطب الشمالى وخلق ممرات بحرية جديدة زادت حدة التنافس بين روسيا وأمريكا وكندا.

والنزاع حول الطاقة المائية والمياة تؤثر في حوض النيل وسد النهضة ، ونهر دجلة والفرات ، ونهرى الغانج والبراهمابوترا في آسيا .

-التأثيرات الرقمية التكنولوجية والتعقدات البرمجية وحرب التكنولوجيا والشرائح الالكترونية بين الصين وأمريكا شكلت بدورها صراع عالمى جديد .

-تعدد مراكز الإنتاج العالمى الصين والهند وفيتنام ولد تنوع في الخريطة الاقتصادية للعالم. كما ان أزمات الطاقة منذ عام 2022 حتى الآن دفعت أوربا إلى تقليل الاعتماد على الغاز الروسى .

-وفى مجال السياحة فقد تأثرت بالسياحة الدولية بتأثيرات القوى الجيوسياسية الاقتصادية والأمنية والدبلوماسية وخضعت السياحة الدولية إلى العديد من العوامل أهمها سمعة الدولة سياسياً واعلامياً وعوامل الجذب السياحى والتي أهمها الأمن والاستقرار داخل الدولة .

بل إن بعض الدول تستخدم السياحة كأداة دبلوماسية واقتصادية في علاقاتها مع الدول . كما أن التحالفات الإقليمية تؤثر على مستقبل السياحة الدولية العالمية والرؤية الجيوسياسية بالمثل.

كما تضر العقوبات الاقتصادية بمستقبل السياحة الدولية للدول مثل العقوبة الاقتصادية على روسيا وايران حيث يحظر السفر ويتراجع الإنفاق السياحى في تلك الدول.

كما أن الحروب والتوترات الجيوسياسية تؤثر على السياحة مثلما هو الحال في اليمن وأوكرانيا وسوريا. كما أن الحرب الروسية الأوكرانية فرضت قيود على السياح الروس في أوربا ، وتغيرت وجهتهم نحو تركيا والإمارات وآسيا.

كما أن السعودية وضعت رؤية 2030 على أن تكون السياحة أداة جيوسياسية لتقليل الاعتماد على النفط ، وبناء صورة دولة حديثة ، وإقامة مشروعات كبرى سياحية نيوم ، والعلا ، والبحر الأحمر ، لاستقطاب السياحة العالمية وخلق نفوذ ثقافى.

وقد اعتمد الصين جواز السفر الصحى Health silk road ضمن مبادرة الحزام والطريق وذلك من أجل تشجيع السياحة الطبية والعلاجية والتعاون مع العديد من الدول خاصةً بعد كرونا.

ومن ثم أضحت السياحة أداة دبلوماسية لترسيخ العلاقات الدولية والاستقرار السياسى بين الدول ، بل أصبحت أداة جيوسياسية للجذب والاستثمار الطبي والثقافى والدينى والتاريخى بين الدول ، وقد استغلت دول عديدة السياحة في توطيد نفوذها الثقافي والسياسى مثل مصر والإمارات وقطر وتركيا والمغرب.

والعالم أجمع مع التغيرات البيئية والمناخية القاسية يؤسس للعلاقات الجيوسياسية السياحية التي ترسخ للسياحة الآمنة والمستدامة خاصةً في ظل الأزمات والحروب والهجرات الاضطرارية واستضافة العديد من الدول للكثير من المهاجرين السائحين لفترات قد تمتد لأعوام .

كما أن استخدام الذكاء الاصطناعى والرقمنة في الجذب السياحى ساهم في تجاوز الحواجز الجيوسياسية ، كما أن التكتلات الإقليمية لها دور في تسهيل أو تقييد السياحة مثل التأشيرة الموحدة لمعظم دول أوربا (الشنغن) ، وحرية التنقل لمواطنى الخليج في اتفاقية مجلس التعاون الخليجى ، وبالمثل السياحة الدينية والسياسية مثل الحج والقدس وكربلاء لها تأثيرات محورية في مستقبل الجغرافيا السياسية والعلاقات الأمنية .

ومن ثم فإذا كانت العلاقات الجيوسياسية تؤسس للأمن الفكرى في جميع المجالات وعلى جميع الأصعدة الثقافية والبيئية والسياحية والتجارية فإن الأمر يؤدى إلى تكوين عالم آمن ومستقر وخالٍ من الحروب والنزاعات والصراعات والأيديولوجيات المهيمنة أو الاستبدادية

التي تفرض هيمنتها سواء الثقافية أو العسكرية أو التكنولوجية أو غيرها من أدوات الصراع المتجددة بتعقد الحياة وتسارعها. أما والحال كما يشهده العالم الآن من نزاعات مسلحة ومؤدلجة ومحوسبة باستخدام برمجيات الذكاء الاصطناعى في الحرب والتدمير وتوليد الصراعات فإن الأمن الفكرى ينذر بالخطر في هذا الاتجاه ، ويشير إلى أن القوى الذهنية والفكرية والإبداع العقلى يتم استخدامهم في الصراع وخلق حالة الخوف وعدم الاستقرار والتدمير .

ومع الحاجة إلى إعادة التوازنات السياسية للقوى المتصدرة على المشهد العالمى ، فإن التوترات الإقليمية لازالت تتصدر الموقف العالمى خاصة في إقليم البحر الأسود ذلك لأنه ممتد ليشمل القارة الأوراسية بين أوربا والبلقان وروسيا والقوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط ، الأمر الذى جعل تلك المنطقة ساحة شاسعة لإثبات الوجود وصراعات القوى متمثلة في روسيا والولايات المتحدة الأمريكية خاصةَ بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية 2022 ، فبعد أن تركز الصراع لفترة طويلة في منطقة الشرق الأوسط ، أخذ في الامتداد نحو المحيطات خاصة فى منطقة الهندوباسفيك بين قوى البر الشرقية ، وقوى البحر الغربية . وصعود قوى ثالثة وهى الهند ،ورغبة الصين في الهيمنة التجارية والاقتصادية في مشروعها الضخم الحزام والطريق . الأمر الذى أي إلى إعادة التفكير في التوزيع الدولى للقوة ، إذ لم تعد كما كانت في السابق أحادية الطرف ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية في القيادة الأحادية للعالم . الأمر الذى طرح العديد من التساؤلات التي أشبه بالإشكاليات تخص الأمن الإقليمى والدولى وأمن الطاقة والغذاء من أجل بقاء الشعوب على قيد الحياة . فالجغرافيا السياسية ولدت مطامع سياسية ونزاعات في إقليم البحر الأسود وذلك لحيوتها الاستراتيجية والتجارية والملاحية ، لهذا فيطلق عليها البقعة الساخنة المفعمة بالنزاعات وفقاً للمصالح والتوجهات الجيوسياسية للقوى الإقليمية والدولية (مصطفى 2025). وذلك نتاج الأهمية الاستراتيجية للبحر الأسود حيث يشكل منطقة العبور بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب. فضلاً عن احتواء البحر الأسود على كمية كبيرة من

النفط حيث أعلنت تركيا عن اكتشافات نفطية مهمة في حقل سكاريا في البحر الأسود وهذا سيضيف لها حوالى عشرة مليون متر مكعب من الغاز يومياً . كما أن البحر الأسود يعد منفذاً حيوياً لنقل النفط والغاز الطبيعى.

الأمر الذى جعل من البحر الأوسط ساحة للتنافس والصراع الجيوعسكرى نتيجة المصالح المتضاربة والمتنوعة بين القوى الإقليمية ، وتولد نوع جديد من الصراع على القوى بخلاف الصراع على القوى البرية ، فيوجد الآن الصراع على القوى البحرية . وبهذا أضحى الصراع بين مفهومين جيوسياسيين (القوة البحرية والقوة البرية) (مصطفى 2025 ، 236).

وهذا ليس بالأمر الجديد فالحروب البحرية والنزاعات البحرية لها مواقعها التاريخية منذ قديم الزمان ، ومازاد الأمر خطورة في العالم الآن هو التوسعات الجيوسياسية البحرية من حركات الملاحة والموانئ والسدود والمشروعات التجارية البحرية ، وزيادة الاكتشافات العلمية للثروات البحرية من معادن ونفط وثروة سمكية لا يستهان بها خاصة في البحر الأحمر والأسود والمتوسط . بل أضحت الاستعدادت لحماية الأمن البحرى للبحار والمحيطات لا يقل أهمية عن الأمن البرى والجوى بل ازادات أهميته بمراحل لما يحمله من ثروات دفينة ، وحركات ملاحة بحرية وتجارية واكتشافات علمية باتت محل نزاعات كبرى.

مع كل هذه التوترات الجيوسياسية تدل مؤشرات الأمن الفكرى إلى صعوبة وضع ضوابط في ظل الصراعات الجيوسياسية والتي تتعلق بالمكان والعلاقات الدولية ، وما يحمله المكان أو الموقع من ثروات وخيرات تخص الشعوب القاطنين بهم وحدهم ، وليس شعوب معتدية أو تحاول إعادة توزيع الثروات داخل المكان وتعيد تشكيل خريطة العالم وفقاً لمصالح اقتصادية واستعمارية . الأمر الذى يهدد الأمن الفكرى للشعوب وحقها في الحفاظ على أراضيها وثرواتها باعتبارهم السكان الأصليين للأرض بحكم الموقع الجغرافى والحدود الجيوسياسية ، والمواثيق الدولية والاعترافات العالمية والقوانين الأمنية العالمية .

النظريات الجيوسياسية والأمن الفكرى

أولاً نظرية قلب الأرض Heart land theory

تعرف نظرية قلب الأرض أو قلب العالم باسم عالم الجغرافيا السياسية هالفورد ماكيندر، حيث يعد ماكيندر أول من وضع تصوراً سياسياً للعالم كوحدة سياسية قابلة للتحكم . إذ حاول من خلال نظريته أن يوضح مفاتيح اللعبة السياسية الكبرى وكيفية إدارتها . لذلك تعد نظريته أول تصور استراتيجى في القوى العالمية .

وتدور فكرة النظرية حول قلب العالم Heart land بشأن تفسير للإمبراطورية البريطانية الحاجة إلى التوسع الروسى باتجاه الخليج الفارسى ، في وقت كانت روسيا تعزز التوسع بقوة برياً ، والإمبراطورية البريطانية بحرياً الأمر الذى يمنح مزايا حاسمة لجزيرة العالم .

ومن هذا المنطلق أسس ماكيندر نظريته عن قلب العالم وتعد نظرية سياسية حول صراع القوى العالمية وتنظر إلى العالم كنظرة كوكبية ، حيث ربط ماكيندر بين المساحات الجغرافية الواسعة ، وبين الموقع المكانى ووجد أن الماء يشغل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، بينما اليابسة تشغل ربع مساحتها فقط ، ووجد أن قارات العالم القديم آسيا وأوربا وأفريقيا تشغل ثلثى مساحة اليابسة.

وهذه القارات يسكن بها 90% من سكان العالم ، بينما 10% فقط يسكن في باقى القارات .

ولهذا أطلق على قارات العالم القديم اسم جزيرة العالم world island وأعتبرها قارة واحدة ، وتأسست نظريته على فرضية أن من امتلك أو سيطر على جزيرة العالم سيسود العالم كله أو قلب العالم . كما يرى أن أية قوة بحرية لا يمكنها أن تقف في وجه القوة البرية بحكم أن القوة البرية ستكون مسيطرة على هوامش الجزيرة العالمية بما في ذلك القواعد البحرية . كما أن القوة البرية ستكون لها السيادة بمواردها الطبيعية والبشرية ويمكنها غزو أية قارة أخرى وفرض السيطرة .

ويرى ماكندر أن الوضع الجيوبولوتيكى الأفضل لأى دولة هو الوضع المركزى المتوسط ، والمركزية نسبية ، وتتغير مع كل سياق جغرافى محدد . كما يشير إلى أن القارة الأوراسية تقع في مركز العالم ويقع في مركزها قلب العالم أو قلب الأرض حيث أن المنطقة الوسطى في الجزيرة العالمية تسمى منطقة الارتكاز أو قلب الأرض كما أطلق عليها فيما بعد.

وقد قام ماكندر بتعديل نظريته السابقة عام 1943 ، وشملت توسع في فكرة قلب العالم أو قلب الأرض حيث شملت القلب الشمالى ، والقلب الجنوبى ، وما يربط بين القلبين المنطقة العربية. حيث يرى أن أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تعد نقطة ارتكاز أخرى ، ولكنه عدها أقل أهمية من نقاط الارتكاز الكبرى ، وقد فسر ذلك بالمياه المتدفقة في الهضاب الداخلية بالنيجر والكونغو وزيمبابو والأولانج واللمبوبو ، وهى صالحة للملاحة إلى مسافات طويلة .

كما وجد شبه بين منطقتي القطب الشمالى والجنوبى وكلاهما بهما حشائش وغابات كثيرة يربط بينهما جسر بلاد العرب ، ورأى أن منطقة بلاد العرب منطقة خصبة تمتد من النيل غرباً إلى ما وراء الفرات شرقاً حتى خليج عدنان أي حوالى 1800 ميلاً ،وتمتاز بوجود النيل والبحر الأحمر ونهر الفرات والخليج العربى وبلاد العرب طريق برى مميز بين القلب الشمالى والقلب الجنوبى (الموسوعة السياسية).

خلاصة نظرية ماكندر أو فرضياته التي أسسها وفقاً لتفسيراته (الموسوعة السياسية) :-

-من يحكم شرق أوربا يحكم قلب الأرض.

-من يحكم قلب الأرض يحكم الجزيرة العالمية .

-من حكم الجزيرة العالمية حكم العالم .

وقد استمرت نظرية ماكندر قرابة قرن من الزمان ، ولم تنهار فروضها إلا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى نهاية عام 1990 ، حيث وجهت انتقادات كثيرة لهذه النظرية منها :-

1-لم يأخذ هالفورد ماكندر في نظريته عن قلب الأرض وعورة التضاريس في قلب العالم ، ووقوعه في مكان متطرف أو معزول عن العالم ، فكانت فكرته تقتصر على الربط بين البحر والبر وربط قوة الدولة بالمساحة الجغرافية وفقط ، ولهذا قام بتضخيم الموارد الموجودة في قلب العالم دون معرفة كيفية الوصول إليها.

2-لم يكن يعلم ماكندر بالتطور التكنولوجى وتأثيره على قلب العالم حيث كشفت الأسلحة النووية والأسلحة الجوية قلب العالم للغزو من خلال الصواريخ عابرة القارات الأمر الذى سلبه مناعته الطبيعية وعمقه الاستراتيجي ، وأضحى عرضة للاختراق .

3-لم يعلم ماكندر بقوة الثورات الأيديولوجية أو الفكرية والثقافية التي قامت في الصين وكوبا وفيتنام وكوريا الشمالية والتي أدت إلى اختراق قلب العالم دون غزو عسكرى ، ولكن من خلال القوى الناعمة .

4- رغم أن نظرية قلب العالم كانت أساس لاستراتيجية الدول الأوربية بعد الحرب العالمية الأولى ، لكنها لم تمنع اندلاع حرب عالمية ثانية ، إلا أنه بعد الحرب استندت إليها الولايات المتحدة الأمريكية لبلورة استراتيجيتها تجاه الاتحاد السوفيتى .

وعلى كل حال أضحت النظرية مهمة للغاية وتدرس بالجامعات كإحدى نظريات الجغرافياالسياسية الكبرى (الموسوعة السياسية) .

ويرى روبرت داونز أن ماكندر استطاع هزم أسطورة ماهان القائد البحرى الذى تصور أنه لا يمكن قهر القوة البحرية عبر التاريخ ، ليأتى ماكندر بنظريته عن قلب الأرض ، ويؤكد القوة البرية التي لا يمكن الاستهانة بها والتي تحوى بداخلها وتسيطر على القوة البحرية بفعل الجغرافيا السياسية .

وفى تحليل داونز أن فكرة ماكندر عن النظام السياسى المغلق أي المحدد جغرافياً وسياساً وليس فوضوياً أوبربرياً ، ذلك الذى يتصف بالحركة الغير محدودة المصاحبة له براً وجواً ، حيث انقضى عصر القوة البحرية السائدة ، وبدأ عصر القوة الأرضية التي تعرف بقلب

العالم أو المنطقة المحورية لسياسات العالم . وقد حدد ماكندر هلالين خارجين عن منطقة المحور ذات أهمية كبرى فيضم الهلال الداخلى الكبير ألمانيا والنمسا والهند والصين ، بينما الهلال الخارجي بريطانيا وجنوب افريقيا وأستراليا والولايات المتحدة وكندا واليابان ، ورأى ماكندر أن قوة منطقة المحور لم تعد معادلة لدول الحافة الخارجية للهلالين ، وقد يحدث التوازن إذا تحالفت ألمانيا مع روسيا ، وفى تلك الحالة قد تتسع دولة المحور لتمتد فوق البلاد الساحلية للأورال –آسيا فتستعمل موارد قارية لبناء أسطول هائل وبهذا تظهر امبراطورية العالم .

ويرى روبرت داونز أن ماكندر أكد في خطابه الشهير " المثل العليا الديمقراطية والحقيقة " أنه يتحدث بوصفه عالم جغرافيا سياسية وحسب وأن التوازن الحقيقى للقوة السياسية في أي وقت هو حاصل ضرب الظروف الجغرافية والاقتصادية واستراتيجياً في العدد النسبى للرجولة الكاملة والمعدات وتنظيم الشعوب المتنافسة ، ورأى أن الكميات الجغرافية في هذا القياس أكثر ثباتاً تقريباً ، وأكثر قابلية للقياس من الكميات البشرية ، ويرى أنه لن تتغير الأهمية الجغرافية لموقع المحور إذا سكنه شعب آخر غير الشعب الروسى، ويضرب مثالاً على هذا بأنه إذا نظم اليابانيون والصينيون لهزيمة الإمبراطورية الروسية واحتلال أراضيها ، فيسحتل الخطر الأصفر ويسيطر على قلب العالم لمجرد أنهما (الصين واليابان) تضمان جبهة على المحيط إلى موارد القارة العظمى ،وهى ميزة حرم منها الروس ساكنو منطقة المحور " (داونز 2017، 121 : 131).

أي أن ماكندر يؤكد على أن المواقع الجغرافية والأماكن لها تأثيرات سياسية أقوى من تأثيرات البشر أو الشعوب التي تسيطر في حد ذاتها ، لهذا فهو يرى أن القوة التي تحكم قلب العالم أياً كانت ستكون بفضل الظروف الجغرافية وليس بفضل القوى البشرية فقط .

والمدقق لنظرية ماكندر من زاوية الأمن الفكرى يجد أنه على الرغم من أن ماكندر يؤكد أنه يتحدث عن النظام السياسى من وجهة نظر جغرافية وفقط ، إلا أن طريقة التفكير لهذا العالم من الزاوية الأمنية أحدثت صراعاً بين القوى العظمى السياسية للعالم ، رغم أن مقولاته

وتصوراته الذهنية كان منبعها الدراسات الجغرافية وربطها بالعلوم السياسية ، إلا أن تأثيراتها كانت قوية في الحرب العالمية الأولى وما بعدها بل يمكن القول حتى وقتنا هذا .

وهذا ما شرعنا في تقديمه منذ بداية هذا المؤلف هو أن الأمن الفكرى قد يولد استقراراً للفرد والمجتمع وللعالم أو يولد صراعات وحروب ونزاعات لا نهاية لها .

ولا يمكن اغفال حقيقة أن ماكندر بريطاني الجنسية ، وقد وضع تفسيراته هذه بكاملها من أجل توسع الإمبراطورية البريطانية كما تحدث عنها في نظريته قلب العالم أو قلب الأرض أي أن نظريته هذه لا تخلو من أيديولوجيا مستهدفة السيطرة على العالم من قبل قوى عظمة محددة صاغ نظريته من أجلها .

فضلاً عن فكرة السيطرة الجيوسياسية التي انطلقت منها نظريته ، وأنه لابد من وجود قوى تسيطر على مناطق معينة كى تسود العالم براً وبحراً ، وهذا أمر فيه من السذاجة العقلية التي توحى بأن العالم لا حدود له أو رقابة أو أمن للحدود الدولية . فهذا النوع من التفكير في الوقت الحالي رغم أنه في وقته كان مهماً وتمثله قادة سياسين ، إلا أنه في الوقت الحالي مع التقدم في علوم الاستخبارات الأمنية ، وعلم ترسيم الحدود الدولية والجغرافية ، وحدود المناطق المحورية التي تربط دول العالم الكبرى والأطراف ، ومع الاتفاقيات والمراسيم الدولية من الصعوبة بمكان قبول دول العالم كله فكرة السيطرة والهيمنة الجيوسياسية من قبل دولة أو عدة دول لمجرد أنها تمتلك موارد طبيعية أو بشرية مهولة أو أسطولية كما ادعى ماكندر في نظريته . لأن في هذا دمار للعالم كله ولكوكب الأرض ، ودوام تام للصراعات والنزاعات الفكرية والسياسية والأيديولوجية والثقافية والاجتماعية . وهذا ما لا يريده العالم الإنسانى بلاشك .

لهذا مزيد من الدراسات والمؤسسات العلمية والكيانات السياسية التي تدعم النظريات الجيوسياسية على المستوى الأمني والسلمى والثقافى والتجارى والعلاقات الدولية الكبرى في الوقت الحالي لهو مشروع عالمى ضخم يكرس للتعاون العالمى السلمى واستغلال أمثل

للموارد الجغرافية والطبيعية لعموم الخير والرخاء والرفاهية للعالم كله بدلاً من أفكار السيطرة والاستعمار والهيمنة والصراع ومثل تلك النظريات التي تجلب الخراب والفقر العالمى وانعدام الأمن في كافة جوانبه السياسى والتعليمى والثقافى والغذائى والقومى والوطنى والمجتمعى وغيره.

2- **نظرية حافة الأرض** Rim land

إذا كان قلب الأرض أو المركز كان يعنى الكثير بالنسبة إلى ماكندر في نظريته عن قلب الأرض أو العالم ، فإن سبيكمان عالم الجغرافيا السياسية أو الجيوبولتكيس الأمريكي ركز في نظرية على الهوامش أو حافة الأرض أو الريملاند ورأى أنها أشد أهمية وخطورة من المركز أو القلب .

بل ذهب سبيكمان إلى أن الهارت لاند أو قلب الأرض أو المركز لا يتمتع بأية صفات قيادية لافتقاره للطاقات الطبيعية والموارد الأساسية ذلك لأن أغلبه يقع في مناطق صحراوية أو مناطق متجمدة ، لهذا فإن منطقة الصقل والحيوية هي تكمن في حافة الأرض (الريم لاند) ، وليس في القلب أو المركز (الهارت لاند) .

وبهذا تكون قواعد اللعبة الجيوسياسية قد تغيرت تماماً ، وتركزت مناطق القوى في الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، وأوراسيا من قبل موسكو ، وأوربا . وقد قام سبيكمان برسم خريطة توضح هذا لاثنين من كبريات اليابسة ، وأضح التحولات التاريخية التي تحدث في مراكز القوى العالمية ، حيث من الشرق الأوسط إلى بحر إيجة ، إلى البحر الأبيض المتوسط ، إلى أوربا الغربية ، إلى المحيط الأطلسى في ذلك الوقت عام 1938 كانت أربعة قوى مسيطرة على مراكز مختلفة ، الأمريكتين من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ، والشرق الأقصى من قبل اليابان ، وقلب أوراسيا من قبل موسكو ، والمحيط الأطلسى والهندى من طرف أوربا . واختتم شرحه بأن الولايات المتحدة الأمريكية ذات إمكانية للوصول إلى المحيط الأطلسى والمحيط الهادئ ، وتكون الدولة التي لها أفضلية أكثر في العالم وفقاً للموقع الذى

صممه في خريطته النظرية . ووفقاً لسبيكمان فهى تمتد من أوربا الغربية ، عبر الشرق الأوسط وصولاً إلى جنوب وشرق آسيا ، وتشمل دول المملكة المتحدة ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وتركيا ، وإيران ، والهند ، والصين ، واليابان ، وكوريا .

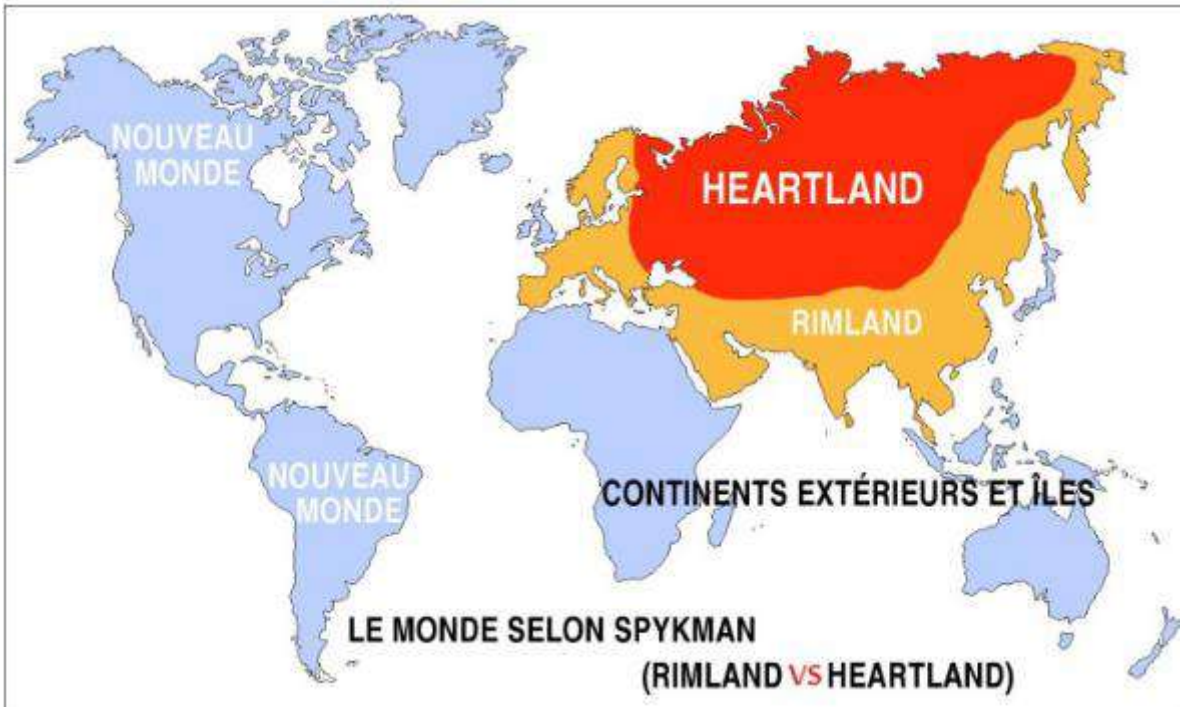

خريطة توضح فكرة الريم لاند في مقابل الهارت لاند عند نيكولاس سبيكمان

المصدر

https://cte.univ-setif2.dz/moodle/mod/book/view.php?id=3307&chapterid=854

وترى (رتيبة برد) المفكرة الجزائرية في مقالها بعنوان" الفكر الجيوسياسى والقراءات النظرية لترتيبات السيطرة الدولية " أن نظريات قلب الأض وحوافى الأرض ، والقوة البحرية ، والمساحة الوسطية كلها نظريات تخضع للتيار التنظيرى الأنجلوساكسونى ، وهى نظريات استراتيجية . كما تفسر نظرية سبيكمان حافة الأرض أو النطاق الهامشى بأن سبيكمان يرى أن القوى الهامشية (كاليابان وبريطانيا) هي الأقوى والأكثر تمكناً من السيطرة على القارة الأوراسية وعلى إقليم شمال الأطلنطى ، ولكن ربما لا تؤدى إلى السيطرة على العالم نتيجة

قسوة المناخ فيه ، وطبيعته الزراعية وفقر الموارد ، والمعادلة الاستراتيجية حسب سبيكمان هي:-

-من يتحكم في قلب الحافة يتحكم في أوراسيا .

-من يتحكم في أوراسيا يسيطر على العالم .

وتستطرد أن هذا يفسر الحصار الأطلسى على روسيا وإقامة القواعد العسكرية في العديد من الدول المحيطة بمنطقة قلب الأرض (برد 2021، 165).

ويعد نيكولاس سكيبمان من مؤسسى علم الجيوسياسية الأمريكية الحديثة ، وأشهر كتبه كتاب " جغرافيا السلام " وقد نشر بعد وفاته.

وتعد نظرية سبيكمان حافة الأرض من أقوى النظريات الجيوسياسية التي فسرت الاستراتيجية الأمريكية خلال الحرب الباردة ، والتي اعتمد ت على سياسة الاحتواء والتحالفات الناتو والسياتو والسيناتو من أجل منع المد الروسى في حواف أوراسيا (السواحل) ، والسيطرة الساحلية .

فالقوتين البحرية والبرية مهمتان في نظرية سبيكمان ، وليس القوة البرية فقط كما كان الحال في نظرية ماكندر.

ومن الواضح الجلي أن سبيكمان اعتمد في تفسيراته ومنطلقاته النظرية على نظرية ماكندر في قلب الأرض ، وما أشار إليه من وجود هلالين حول قلب الأرض ، الهلال الداخلى والهلال الخارجي ، وهو ما انطلقت منهما نظرية سبيكمان في التأكيد على سيطرة الحواف(الريم لاند)وقيمتهم الجغرافية والطبيعية أكثر من قلب الأرض (الهارت لاند) .

وعند نقد نظرية الريم لاند أو الحوافى يتسنى لنا أن نعرف أن سبيكمان من أصل هولندى وعاش في أمريكا ، ويعد رائد وأبو علم الاحتواء بمعنى أن سياسته الأساسية هو الاحتواء والتعامل بدبلوماسية أو ما تحقق بالفعل من الحرب الباردة من أجل منع السيطرة الكاملة

للقوى في مناطق الحوافى تلك السياسة التي اتبعتها أمريكا في فترة الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى.

وهذا التفكير من وجهة نظر أمنية يعد تفكيراً عميقاً، وجديداً في الهيمنة في ذلك الوقت ، بدلاً من إعلان الصراع بالقوى العسكرية ، فأضحى الصراع استراتيجياً وأيديولوجيا يرمى إلى الاستيعاب والاحتواء الاقتصادى والسياسى والعسكرى والتجارى البرى والبحرى ، وهو نوع جديد من الهيمنة ولكن في صورة مستترة تتجنب النزاع المسلح أو الهيمنة بقوة السلاح .

ولا يمكن القول أن نظرية حوافى الأرض تعد أعمق وأقوى من نظرية قلب الأرض في مجال النظريات الجيوسياسية الكلاسيكية ، بل إن نقطة التفكير في ربط العالم بالجغرافيا والسياسية في العصر الحديث كانت من خلال نظرية قلب الأرض التي مهدت للنظريات الأخرى التي اعدها نظريات في الهيمنة الجيوسياسية أو السيطرة الجيوبيولتكس أكثر منها نظريات علمية وحسب تعبر عن وجهات نظر أصحابها وفقط .

ولكن التأثيرات العميقة للنظريات الجيوسياسية في فترة مابين الحربين العالمتين وما بعدهما أكدت على أهمية الاهتمام بدراسة العوامل الجيوسياسية وتأثيراتها على مستقبل العالم ، بل على مستقبل خريطة العالم والحدود والمناطق منبع الحياة والموارد الطبيعية والمائية والطاقة وغيرها من الأمور التي يجب أن توضع في الحسبان وتنذر بالقلق المستدام حول الحماية الأمنية للمواقع الجغرافية ،والحدود والحماية الفكرية بالمثل وسياسات الاحتواء المؤدلجة التي قد تكون لون من ألوان الاستعمار الفكرى والثقافى ثم فيما بعد جغرافى وسياسى وعسكرى .

ولهذا كانت نظرية سبيكمان نظرية عميقة في جوهرها في فلسفة الاحتواء ومعناها ، وخطورتها وأهدافها الضمنية وغيرها من الأمور التي يجب أن يلتفت إليها دول العالم من أجل حماية مصالحها الاقتصادية والسياسية والثقافية .

وفى هذا السياق فإن التطورات المذهلة والحديثة في علوم الجغرافيا السياسية والاستكشافات العلمية العالمية والدراسات والأبحاث والمراكز العالمية التي تكرس جهودها باستخدام أحدث

أدوات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعى يؤكد بأهمية وجود تلك المراكز والمؤسسات الاستكشافية في علوم الأرض والجغرافيا السياسية والحدود الأمنية والأقمار الصناعية والتقنيات الفضائية بكثرة في الدول المتقدمة والدول التي لديها اقتصاد ونظام سياسى قويين وتتشارك مع دول كبرى في توسيع نطاق العمل الاقتصادى والتجارى والسياسى والثقافى . لاكتشاف أفضل الميادين لتوسيع نظم الاقتصاد والشراكات مع حماية كاملة للمناطق والحدود والاعتراف الدولى والعالمى بملكية كل دولة لحدودها وعدم المساس بها . إذ ليس معنى التعاون الاقتصادى والتجارى الهيمنة أو السيطرة أو غيرها من توحى به النظريات الجيوسياسية السابقة سواء براً أو بحراً أو كلاهما .

3-**نظرية القوة البحرية** sea power theory

عندما يكتب أميرال بحرى نظرية عن القوة البحرية فستكون بالطبع نظريته من أقوى النظريات الاستراتيجية في تاريخ النظريات الجيوسياسية العالمية. هذا هو ألفرد ماهان الأميرال البحرى الأمريكي والمؤرخ العسكرى الذى استطاع أن يبرز أهمية القوة البحرية في العلاقات الجيوسياسية الدولية في القرن التاسع عشر.

إذ يؤكد ماهان أن التفوق البحرى لا يقل أهمية عن التفوق البرى والجوى بل يعد الأقوى من حيث العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية والأمنية .

وقد كانت كتابات ماهان بمثابة إرشادات قوية للنهج الفكرى البحرى في كل من فرنسا ، وروسيا ، واليابان ، والبحرية الأمريكية ، والعديد من الدول البحرية . حيث أنه له كتاب عن أثر القوة البحرية على الثورة والإمبراطورية الفرنسية .

وتقوم نظريته على فكرة أن القوة البحرية هي العامل الحاسم في أي صراع جيوسياسى والتحكم من خلال البحار والسيطرة يكون أقوى من الجانبين البرى والجوى . وقد أوضح ذلك في نظريته من خلال أربعة مفاهيم للقوة البحرية في العالم (الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية 2019) :-

1-البحار والمحيطات تمثل نظاماً للربط والاتصال بين أرجاء العالم .

2-تمثل الإمبراطورية الروسية صورة للدولة الحبيسة القارية.

3-يحيط الإمبراطورية الروسية عدد من الدول البحرية الأوربية والآسيوية .

4-هناك ثلاث دول جزرية قوية تقع خارج الكتلة الأوراسية وهى بريطانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية .

لهذا فالبحر هو الطريق العظيم بين الدول للتنقل وممارسة كافة الأنشطة التجارية والسياسية في جميع الاتجاهات. كما أولى ماهان قيمة عليا لشكل السواحل للدولة البحرية ، فالسواحل تشكل نقطة قوة للدولة وتبقيها على اتصال مع دول العالم ، وهذا لابد من وجود موانئ لأنه لاقيمة لسواحل طويلة دون موانئ . كما أعطى ماهان أهمية للشريط الساحلى للدولة وطوله ودوره وقدرته في الدفاع ضد الغزو أو الاعتداءات ، هذا بالإضافة إلى حجم الموارد البشرية بالدولة فالدولة ذات الحجم البشرى الكبير تستطيع بناء طاقم أسطول معد ومدرب جيداً وقوى(الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية 2019).

أي أن نظرية ماهان في القوة البحرية تنطلق من ست مبادئ رئيسة:-

1-الموقع الجغرافى البحرى . 2-الأسطول التجارى القوى . 3-الأسطول الحربى القوى .
4-مستعمرات وقواعد بحرية. 5-السكان المنتجون (الموارد البشرية) . 6-الحكومة القادرة .

وتجلت تأثيرات النظرية في القرنين التاسع عشر والعشرين في العديد من دول العالم حيث بنت بريطانيا أكبر أسطول بحرى في العالم وسيطرت على المحيطات وطرق التجارة ، والولايات المتحدة الأمريكية بعد انتصارها على اسبانيا عام 1898 طبقت النظرية للهيمنة على الكاريبى والمحيط الهادئ، وألمانيا واليابان حاولتا بناء أساطيل بحرية قوية خلال الحربين العالميتين من أجل الهيمنة ، والصين حديثاً تستثمر في البحرية PLAN وهى اختصار لـ "People's Liberation Army Navy"، وهي القوة البحرية لجيش التحرير

الشعبي الصيني، وتُعدّ واحدة من أكبر وأقوى القوات البحرية في العالم ،وتسعى للسيطرة على بحر الصين الجنوبى.

أي أن نظرية ماهان البحرية لعبت دوراً كبيراً في الأحداث الجيوسياسية في القرن العشرين ، ولها صدى واسع حتى وقتنا هذا رغم السيطرة التكنولوجية في الحروب الحديثة إلا أن السيطرة على الممرات البحرية مثل مضيق هرمز، وقناة السويس ، مالاكا ، والبحر الأسود أحد عناصر التفوق الجيوسياسى إلى وقتنا هذا خاصة الدول التي تربطها علاقات جيواقتصادية وثقافية وسياسية مع الدول البحرية .

وعند التحليل النقدى للنظرية يمكن القول أن نظرية تعد فكر خاص بصاحبها منذ القرن التاسع عشر قد أثرت وتؤثر على مجرى الأحداث الجيوسياسية حتى وقتنا هذا رغم الانتقادات الشديدة التي وجهت لها لأنها تعد نظرية هيمنة وتؤسس للصراعات والسيطرة من خلال القوة البحرية ، واستخدام الموارد الطبيعية في الهيمنة مثل باقى النظريات ذات الطابع المهيمن التي سبقتها.

إلا أنها لاقت قناعات واسعة من قبل القيادات العالمية في هذا الوقت ، فهذا التفكير الذى يمكن نسبته إلى مدرسة الواقعية الكلاسيكية قد مهد الطريق لعلاقات بين الدول امتدت لقرنين من الزمان . وولدت الكثير من الصراعات والنزاعات الجيوسياسية .

إلا أن أغلب النقود التي وجهت للنظرية كانت هو اغفال القوة البرية والجوية في العلاقات الجيوسياسية وفى السيطرة على حد فهم أتباع تلك النظريات المهيمنة . كما أن ما وضعه ماهان من أركان لتشكيل القوة البحرية لا يقدر عليه سوى الدول الغنية والمليئة بالثروات الطبيعية والبشرية لذلك فبناء الأساطيل البحرية مكلف للغاية بالنسبة لدولة أن تقوم به بمفردها.

كما أن النظرية لم تنظر بقوة إلى القوة الداخلية البرية مثل روسيا والصين وتضع اعتبار لتلك القوى التي لا يستهان بها . فضلاً عن أن النظرية لم تقم وزناً للقوة الجوية اليوم وسرعتها

الفائقة في اطلاق الصواريخ والتكنولوجيا المعقدة المتطورة في هذا الجانب الأخطر على مستوى العالم أمنياً وسياسياً وفكرياً . كما أن النظرية لا تصلح للدول الغير ساحلية أو التي ليس لديها قوة بحرية .

وعلى كل الأحوال استطاعت نظريات ماهان وماكندر وسبيكمان أن يغيروا زاوية التفكير السياسى للعالم كله رغم أن أفكارهم وتصوراتهم انطلقت على مستوى الفكر والذهن والدراسات الجيوسياسية فحسب ، ولكن شكلت مجرى العالم على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولازالت بقاياها الأيديولوجية ممتدة إلى وقتنا هذا .

النظريات الكلاسيكية الجيوسياسية

اسم النظرية	القوة البحرية	قلب الأرض	حافة الأرض
رائد النظرية	ماهان	ماكندر	سبيكمان
الجنسية	أمريكى	بريطانى	أمريكى
المجال الجيوسياسى	البحر	البر	البر والبحر
القوى العظمى المتوقعة	أمريكا وبريطانيا	روسيا	الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها
زمن النظرية	القرن 19	أوائل القرن ال20	منتصف القرن ال20
تأثيرات النظرية	قوية وممتدة	قوية	قوية وممتدة

جدول يوضح مدلول النظريات الثلاث الكلاسيكية الجيوسياسية

4-نظرية القوة الجوية Air power theory

مع التطور الملحوظ في الطيران العسكرى أضحت القوة الجوية لاعب رئيس في العلاقات الجيوسياسية العالمية بين الدول ، وذلك مع بداية القرن العشرين ، والجنرال الإيطالى جولييو دوهيهGiulio Douhet يعد المنظر الرئيس لنظرية القوة الجوية حيث يرى أن السيطرة على

الأجواء تعنى السيطرة على الأرض. بل إن التفوق الجوى قد يحسم المعارك دون الحاجة للتدخل البرى الواسع. فقد ضمن دوهيه في كتابه عام 1921 " السيطرة على الجو " The command of the air عبارة " من يملك السيطرة على الجو ، يمكنه ضرب العدو في عمقه ، وتدمير قدراته على المقاومة دون الحاجة للاشتباك المباشر على الأرض" " He who controls the air controls everything (Douhet1983).

وأثارت نظرية (دوهيه)جدلاً واسعاً حيث أن الكثير من المبادئ التي تنطلق منها النظرية تبتعد عن القيم الأخلاقية والإنسانية من حيث استهداف المدنيين والبنية التحتية ، والضغط على المدنيين وقصف المدن سيؤدى إلى انهيارهم ودفعهم للضغط على حكوماتهم من أجل الاستسلام. فضلاً عن فكرة الهجوم الاستباقى حيث رأى أهمية توجيه ضربة جوية وقائية مدمرة على القواعد الجوية ومراكز القيادة للعدو قبل بدء العمليات البرية . فضلاً عن استقلالية القوات الجوية عن البحرية والبرية حيث يرى أهمية استقلاليتها عن باقى الفروع البحرية والبرية ، وتكون تابعة للجيش ، ولكن تنفذ خططها وعملياتها دون تدخل باقى الفروع (Douhet1983).

فالمبدأ الأساس الذى يعتنقه الجنرال الإيطالى دوهيه هو " التفوق الجوى مفتاح النصر" من يمتلك السماء يستطيع تدمير مراكز القيادة والبنية التحتية والاقتصاد واستسلام العدو بسهولة.

Controlling the skies enables a state to destroy enemy infrastructure, command centers, and morale from above.

ومن بعد دوهيه جاء الطيار والمهندس العسكرى الأمريكي من أصل روسى ألكسندر سفرسكى Alexander P. de Seversky الذى تعد نظريته في القوة الجوية امتداد ل دوهيه ، إلا أن نظريته كانت أكثر ارتباطاً بأمريكا وحملت طابع السياسات الاستراتيجية في الحرب الباردة.

وفى كتابه "القوة الجوية مفتاح البقاء" Air Power: Key to Survival عام 1950 رسم سفرسكى خريطة العالم على أساس المسقط القطبى للمساقات والانحرافات الصحيحة ، ومن

ثم يقع النصف الغربى للعالم في جنوب القطب ، بينما يقع النصف الشرقى في أوراسيا وأفريقيا ، وتعتبر أمريكا اللاتينية مستودعاً لتموين الولايات المتحدة الأمريكية بالمواد الغذائية ، والخامات ، واعتبر سفرسكى أن السيطرة على العالم والنفوذ الجوى يتحددا من خلال التفوق الجوى للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى سابقاً (الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية 2019).

أي أنه وفقاً لفكر سفرسكى ومن قبله دوهيه فإن الفكرة المحورية للقوة الجوية هي (التفوق الجوى = الردع السياسى) أي امتلاك سلاح جوى متقدم يسهم في ردع الأعداء دون اندلاع حرب، فالقوة الجوية تعد أداة ردع استراتيجى وجزء من سياسة الدولة الخارجية. وهذا ما جعلهما القول أن القوة الجوية أكثر مرونة وأسرع للوصول لأى نقطة في العالم دون الحاجة لقواعد برية أو بحرية ضخمة ، مما يمنح الدول ذات النفوذ الجوى والتفوق الجوى السيطرة العالمية.

ورغم تأثر سفرسكى بالجنرال الإيطالى دوهيه ، لكن أفكاره تتضمن أبعاداً واقعية وجيوسياسية أكثر من دوهيه ، وذلك يكمن في اختلاف الزمن بينهما فنظرية دوهيه تصدرت المشهد ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ولكن نظرية سفرسكى انتشرت في الحرب العالمية الثانية وما بعدها.كما أن تركيز دوهيه كان على استهداف المدنيين والضربات المكثفة لهم ، في حين كان تركيز سفرسكى في نظريته على الضربات الدقيقة الاستراتيجية ، حتى فكرة استقلال القوة الجوية اختلفت عند سفرسكى حيث كانت مستقلة وأداة للردع السياسى ،أما عند دوهيه فكانت مستقلة ولكن تحسم الحرب بالقصف. لذلك كانت رؤية الجنرال دوهيه للعالم هجومية ، أما سفرسكى كانت رؤيته للعالم واقعية جيوسياسية . الأمر الذى جعل سفرسكى يفكر في استخدام القوة النووية كاداة للتوازن الجوى والتفوق الجوى لتحقيق التوازن الجوى بين أمريكا والاتحاد السوفيتى .

ومن ثم فإن المعادلة وفقاً لنظرية سفرسكى كما يلى (عبد السلام2019 ، 231).

-من يملك السيادة الجوية يسيطر على مناطق تداخل النفوذ (منطقة المصير).

-من يتحكم بمنطقة المصير يسيطر على العالم .

ليست النظريات السابقة هي كل النظريات المتعلقة بالعلاقات الجيوسياسية فالعديد من النظريات الألمانية والفرنسية والأمريكية والروسية والصينية لرواد يحملوا هذه الجنسيات تحدثوا عن هذه العلاقات الجيوسياسية في الحقبة المعاصرة مثل نظرية المجال الحيوى ل (فريدريتش راتزل) الألماني الجنسية عام 1904 والتي تحدد حركية الدول في مجالها الأرضى وهو ما أطلق عليه اسم " منطقة البقاء" إذ يرى أن الدولة تكبر وتنمو وتتنفس مثل الكائن الحى تماماً ، ووجودها مرتبط بنمائها وأنشطتها وامتدادها وتوسعاتها مثل ضم الأراضى والأقاليم وغيرها .

ونظرية المجال الحيوى ل (كارل هاوسهوفر) عام 1946 الألماني الجنسية ، ويرى أن الدول الكبيرة مرشحة للبقاء والصغيرة مرشحة للزوال ، والعالم مصيره لثلاث حكومات الولايات المتحدة في الغرب ، واليابان في الشرق ، وألمانيا في أوربا وأفريقيا . ويرى أن الدولة يجب ان تحقق الاكتفاء الذاتي وتنمو مثل الكائن الحى .

ونظرية الاحتمالية ل (بول فيدال دو لابلاش) عام 1918 ، وهو فرنسى الجنسية ، ويرى أن المقصود بالجيوسياسية ليس المكان ، بل متغير الزمان وارتباطه بالظواهر الجغرافية والاجتماعية والمكان ، لا يمكن القول بالحتمية الجغرافية ، بل ثمة احتمالية جغرافية نتيجة دينامية الحدث التاريخى ومن ثم الجغرافى ، وسعى من خلال أفكاره إلى تبرير ضرورة ضم فرنسا لإقليمى الزاس والورين ، فالجغرافيا بالنسبة لفيدال هي متسع استراتيجى للتوسع والامتداد الحضارى لا الصراعى .

ونظرية بؤر التطور ل (بيوترنيكولايفيتش سايفتكسى) عام 1968 ، فقد ابتكر نظرية عن بؤر التطور ، وهو روسى الجنسية ، ويرى أن الوسط الاجتماعى للأرض ينبغي أن ينصهرا في وحدة متكاملة في شخصية جغرافية أو سطح جغرافى لذلك توجد بؤر التطور ممثلة في

روسيا الأوراسية التي تمثل الصيغة التكاملية لبؤر التطور ،والتي تحوى بؤر صغيرة أقل حجماً وتطوراً.

والنظرية الأوراسية الجديدة على يد الروسى (ألكسندر دوغين)، وتتركز نظريته في أنه يجب تأسيس الإمبراطورية الأوراسية من خلال التخلص من الأخطاء التاريخية ، والتفوق خارجياً على الهيمنة الأمريكية عبر التحالفات ، وجعل روسيا منطقة محورية ، انطلاقاً من قدراتها النووية.

والنظرية الماوية للعالم من خلال التيار الصينى أو ما تسمى بنظرية العوالم الثلاث، وهى قدمت على أنها أيديولوجية سياسية وسلاح قوى ، وتلك التي تشابكت مع المد الشيوعى والأفكار الماركسية ،و الصعود الجيوسياسى للمد الصينى من خلال المشروعات التوسعية الجيوسياسية والتي تقضى على ثنائية القطب الروسى والأمريكى لتفسح المجال إلى لاعبون جيوسياسيون جدد فى العالم أو العوالم الثلاث كما أسماها "ماوتسى تونغ" في نظامه الشيوعى الذى تبناه العالم الأول ممثلاً في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، والعالم الثانى هو القوى الوسطى اليابان وأوروبا وكندا ، أما باقى الدول ومنها الدول النامية فهى تعد من العالم الثالث . ولهذا تحاول الصين اتباع استراتيجية سرية تمويهية من أجل السيطرة على العالم واستعادة الأراضى والمجالات البحرية التي تعتبرها حق لها وأضاعتها في القرنين التاسع عشر وبدايات القرن العشرين (برد،2021) ، لذلك تحقق ما تريد بخطط استراتيجية توسعية من خلال المشروعات الكبرى .

تعقيب على النظريات الجيوسياسية من زاوية الأمن الفكرى

بصورة معلنة أو مستترة رمت النظريات الجيوسياسية إلى تأسيس أيديولوجيات فكرية متنوعة تضمن بقاء ومصالح دول معينة على حساب دول أخرى . وتضمن هيمنة دولية لدول بعينها على مستوى الجغرافيا والمدن والمواقع والتوسع السياسى الجغرافى لتقسيم العالم وفقاً لمصالح دول بعينها . إذ كان ثمة تسابق فكرى وتنافس من قبل الجيوسياسيين في الدول المختلفة

الأوربية والآسيوية والأمريكية على التفكير الذكى من أجل اقناع العالم بأن الهيمنة والسيطرة على العالم ستكون لدول محددة دون دول أخرى . وبالتالي استغلال العلم والقدرات الذهنية والفكرية لإقناع العالم بخرائط جديدة ، وتغييرات وتشكيلات جديدة ، وكلما اقتنع العالم بنظرية ما ، وأن الهيمنة ستكون لدولة بعينها في مناطق كبيرة من العالم ، تأتى نظرية جديدة لتدحض ما قبلها وإقناع العالم بصور أخرى من الهيمنة سواء على مستوى القطب الواحد أو الثنائى أو تقسيم العالم على الدول الكبرى للسيطرة على العوالم وليس عالم واحد .

وعلى الرغم من الاقتناعات السياسية بالعديد من تلك النظريات الجيوسياسية حتى وقتنا هذا ، والامتداد والتوسع لبعض الدول من أجل النفوذ الجيوسياسى ، إلا أن الرغبة في التصديق والموافقة على العديد من النظريات الجيوسياسية من قبل الدول المهيمنة عالية جداً لتحقيق مآرب جيوسياسية وتوسعات امتدادية بصرف النظر عن كل شيء حق الشعوب في الأرض ، وتقرير مصائرها ، والتهديدات الأمنية وغيرها من الاعتبارات الدولية والمنصوص عليها .

ولأن العالم لم يصبح كما كان من قبل ، وما كان من لهو فكرى وعبث أيديولوجى وتصورات وطموحات سياسية كبرى لا تؤدى إلا إلى الهيمنة الزائفة أو ما يسمى بوهم الهيمنة ،لأن ما يمكن تسميته ب (هيمنة) الآن أضحى خرافة بعدما تعقدت الحياة وعصر السماوات المفتوحة ، والتعاون العالمى والشراكات الدولية في العلم والتعليم والعمل والتبادل العلمى والتكنولوجى والصناعى والتجارى ، والمصالح المشتركة داخل كل دولة لدول أخرى لا يمكن المساس بها لأن في المساس بالدولة مساس بدول أخرى كثيرة ومصالحها الاقتصادية والتجارية والصناعية والتعليمية والطبية وغيرها ، ومن ثم لا مجال لهذه التصورات الذهنية الفارغة من السياقات المعاصرة العالمية التي باتت تشاركية الطابع ، فالشرق والغرب وأوربا وآسيا وأمريكا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية قارات متشابكة على كوكب الأرض تحكمها مصالح بحكم الطبيعة والجغرافيا من ممرات ومحيطات وبحار وحدود برية ، وممرات وموانئ ومضائق وتضاريس وجبال ، ومشروعات كبرى عالمية تخدم كل دولة وكل دول العالم في

نفس الوقت أي ثمة اتفاقات عالمية لا يمكن الإضرار بها ، ولهذا مفهوم الهيمنة والسيادة والسيطرة من الضرورى إعادة التفكير فيه .

من الأهمية بمكان إعادة التفكير في النظريات المطروحة في مجالات السياسة والعلوم السياسية والجيوسياسية وألا تنطلق من أفكار وتصورات ذهنية خالية من السياقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تحكم دول العالم . فثمة نظريات جيوثقافية واجتماعية لابد من أخذها في الاعتبار تقلل بدورها حدة التوترات وأفكار الهيمنة والسيادة والسيطرة على العالم المزعومة .

فالعلاقات الدولية العالمية الآن تشوبها حالة صداقة بل صداقات عالمية تحكمها بروتوكلات ومشروعات دولية تخدم العالم أجمع ، وأفكار من مثل الصراعات والنزاعات والهيمنة والسيادة والسيطرة العالمية لابد من إعادة النظر فيها على مستوى الفكر أولاً لأنها تؤذى العالم أجمع حتى الدول المهيمنة أو المعتدية وتؤجل اقتصادها وعيشها الآمن المستقر ، وتصفها القوانين الدولية الإنسانية بأنها دولة عدوانية وتمارس الهيمنة على شعوب العالم قسراً . وهذا ما ترفضه الإنسانية دوماً ولا يمكن قبوله بحال.

ولهذا فالأمن الفكرى وفق النظريات الجيوسياسية السابقة لا يمكن تحقيقه لا على مستوى الثقافة أو التعليم أو الاقتصاد أو السياسة . بل إن النظريات نفسها تحمل تصورات صراعية مهيمنة ضد فكرة الأمن من أساسه وتنتزع السلام والأمن العالمى والاستقرار المستند إلى التشاركية العالمية لتحقيق مصالح مشتركة كبرى .

التعليم في ظل العلاقات الجيوسياسية وتحقيق الأمن الفكرى

عند النظر إلى حالة التعليم مع الأفكار والتصورات الذهنية الجيوسياسية السابقة ، ونظريات هيمنة لا تنزع للسلم أو الاستقرار السياسى والاجتماعى والثقافى بل دوماً النزاع والصراع على الموقع والأرض والمكان ، مع كل هذه التصورات تتردى حالة التعليم ولا يبقى فقط غير صوت السلاح المهيمن سواء سلاح بالقوة العسكرية أو النووية أو التكنولوجية أو غيرها من

ألوان الصراع التي يشهدها العالم أجمع اليوم وتضر بشعوب العالم بأكملها ، وتهدد بالخطر على مستقبل كوكب الأرض الذى بات يحمل صراعات ونزاعات مسلحة ، وأفكار انتهازية وسطو على حقوق الآخرين وفرض الهيمنة دون اعتبارات لقوة أعمق من كل هذا وهى قوة العلم والمعرفة تلك القوة التي تبنى أوطان وعوالم وتؤسس للثقافة والحياة الاجتماعية الآمنة والمستقرة داخل الدول والشعوب .

فالتعليم يحتاج دوماً لبيئات آمنة ومستقرة سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ، فما حال التعليم لشعوب تشهد الحرب يوماً وتشهد نزاعات مسلحة وعدم استقرار أمنى واجتماعى وثقافى ؟ وما هو محتوى المناهج الذى يمكن تقديمه للأطفال المشردين من أوطانهم وديارهم وأراضيهم ؟

فبدلاً من أن يتضمن المحتوى العلمى للطفل صور ومواقف تعلم مبهجة فيها تفاؤل وأمل واقبال على التعليم والتعلم ، ستتضمن صور للمعتدى والمغتصب للأرض ، والتهجير القسرى ، وتشريد الأطفال ، والمبانى المهدمة ، وثقافة المعتدى ، وأنماط شخصية الأفراد المعتدين وتحليلها ، وغيرها من الموضوعات التي تصور بشاعة الواقع الغير آمن والغير مستقر والغير سلمى .

ومن ثم والحال هكذا يكون لعلم النفس دور بالغ الأهمية والطب النفسى في التصدي لحالات الهلع والخوف والرعب التي يصاب بها الأطفال والنساء وكبار السن بل والرجال أيضاً من جراء الاستيقاظ على قتلى وموتى وأطفال مشردون ونساء وشيوخ وأراضى تنتزع من بين أيديهم ، وخراب من حولهم في كل مكان مبانى ومؤسسات محطمة وخدمات معدومة ، وجوع وفقر وحرمان من كل شيء وأهم شيء هو الأمن والاستقرار والسلام .

هذه الحالة كانت في المجتمعات البدائية التي لا ثقافة ولا علم ولا تحضر ولا تمدن فيها ، فكانت أشبه بحياة الحيوانات التي تغير على أماكن ومواقع بها كلأ وعشب وغذاء أكثر وتلتهم وتبتلع الحيوانات القاطنة فيها من أجل ضمان بقائها ، تلك الحالة البدائية كانت في

عصور ما قبل التاريخ وما قبل التعليم والتمدن والحضارة والثقافة التي حتمت ضرورة العيش في أمن وسلام عالميين . ليس فقط من أجل الحفاظ على حقوق البشر في المكان أو الأرض التي يعيشون عليها ، وإنما من أجل الحفاظ على ما تبقى من كلمة ومفهوم انسان أو الإنسانية .

نعم فصفات البدائية لا تصلح إلا في الحياة الحيوانية وفقط ، والهيمنة على دول والإغارة عليها واغتصاب أراضيها ليست أفعال تنسب للإنسانية وإنما للبدائية والتخلف وعصور ما قبل التاريخ.

أما الآن فالتعليم مفتاح الحلول والصراعات والمشكلات ، ووجد من أجل تهذيب حالة الإنسانية من الهمجية والتجبر والهيمنة والتسلط إلى التفاوض والحوار وحل المشكلات بطرق سلمية ، ومعاقبة المعتدى والغاصب ، ووضع قوانين رادعة لحماية الحقوق ، وحماية النفس أيضاً من الوقوع في الشر والاعتداء والاحتماء في أدوات وأسلحة عمياء لا ترى إلا التدمير والهدم وانتزاع الأمن والاستقرار والراحة لبنى الإنسان . فاحتماء المعتدى بأحدث الأسلحة المتقدمة تكنولوجياً والأجهزة والمعدات لمحاربة بشر أو قوم أو جماعات يحافظون على ممتلكاتهم وأرضهم بأرواحهم لهو عمل غير بشرى بطبيعته بل أفعال تدل على الهمجية وعصور البدائية التي تنذر بانهيار العالم كله وأولهم الدول المعتدية لأن الصراع لا يكون في تلك الحالات من طرف واحد ، والخسارة تكون للعالم أجمع وللجميع . في حين أن التعليم كان حلاً أمثلاً لعقد شراكات سلمية وتعاون سلمى بين الدول ومشروعات مشتركة ومتبادلة تعليمية وثقافية واقتصادية وعلمية وسياسية وتجارية دون المساس بالمواقع والحدود والأراضى بل الاستفادة والاستثمار فيها وعموم الاستفادات والمنافع على الجميع بدل من الحروب التي لا تنته والكل خسران ، تكون الدراسات العلمية الكبرى والمتوسعة للاستفادة القصوى من خيرات الله للبشر ، ومن الطبيعة التي لا تنضب عطاؤها للإنسان المتحضر والمتمدن والمتعلم والمثقف وليس الانسان البدائى والهمجى والمتخلف والذى يفسدها بأسلحة نووية ويدمر الطبيعة والكائنات الحيوانية من طيور ودواب وأسماك باستخدام أدوات اشعاعية

واسلحة نووية تضر الطبيعة وتغضبها . وعندما تغضب الطبيعة يقف الإنسان عاجزاً ولا يمكن مواجهتها في الأعاصير والبراكين والزلازل والأوبئة التي تبرز هشاشة الإنسان مهما كانت قوته العسكرية أو أدواته التكنولوجية أمام غضب الطبيعة الذى يعكس مدى القوة الخارقة التي يعجز معها الإنسان مهما كانت أدواته أن يواجهها .

فلماذا لا تتعامل البشر مع بعضها البعض بالدراسة والعلم كما يتعامل الإنسان والدول مع الطبيعة كى يأمنوا غضبها ومشكلاتها المزمنة والكوارث الغير متوقعة ؟

فالعالم عندما واجه كورونا أو وباء عالمى اتحد من أجل مواجهة الطبيعة ، ولم يواجهها بالسلاح والعنف والأدوات التكنولوجية والأجهزة والأسلحة النووية المتقدمة ، وإنما واجهها بالعلم والدراسة من أجل البقاء ، والنجاة مع الخوف الدائم من تقلبات الطبيعة عليه لأنها قوة إلهية خارقة لا يمكن التصدي لها .

لماذا لا نتعامل في المجال البشرى والمحيط الإنسانى بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع الطبيعة والكون ؟ طريقة العلم والاحتواء والشراكة والاستثمار بدلاً من الحروب والدمار والهلاك والتدمير .

التعليم والثقافة لا يمكن أن يستخدما في الشر أو التدمير بل الاستقرار والأمن والعيش المشترك. وبعد الهلاك والدمار والتخريب ستدرك الإنسانية أهمية العيش في سلم واستقرار وأمن . وأن التفكير لابد أن يتغير ،والتصورات المدمرة والشيطانية التي تنشأ على مستوى الفكر من أجل الهيمنة والتوسع والامتداد وبسط النفوذ من قبل أفراد أو دول ، وتتحول إلى واقع تضر الجميع وتؤخر أي عمليات للتنمية والاستقرار بل تهلك وتؤذى بمنفذى تلك الأفكار بالمثل لأننا جميعاً نعيش في عالم واحد ، وحالات السلم تعم على الجميع ، وحالات الضرر تعم على الجميع بالمثل .

ومن ثم ماذا يتعلم الأطفال المشردون والمهجرون قسراً عن كلمة الوطن والأرض والانتماء في حصص التاريخ والجغرافيا ؟

وكيف يكتب الطفل اللاجئ موضوعاً للتعبير يصف فيه وطنه وبلدته والحى الذى يسكن فيه ؟ هل سيكتب أو يرسم بيتاَ مهدوماً ، وحظيرة حيوانات قتلت الدواجن بها ، وأخ أو أب أو أم أو أخت قتلوا وهم يعملون في الأرض أو في المنزل ؟ أم يكتب عن الدمية التي بقيت على صدر أخته المقتولة وهى تلعب نتيجة الأسلحة النووية والاشعاعات ؟

ألم يربى الأطفال في تلك الحالة على الخوف والحقد والانتقام ؟ هم يرون أطفال مثلهم يلعبون ويأكلون ويحققون طموحاتهم وينعمون بالأمن والاستقرار في بلدهم دون خوف أو قلق، وهم دوماً يتنقلون من مكان إلى مكان ولا يجدون طعام ولا مأوى بل ويبكون كل ليلة من الخوف والفزع وصوت الأسلحة والدمار في كل مكان .

هل هذه هي الصورة التي نريد أن نراها في العالم في القرن الحادى والعشرين ، عالم ما بعد البدائية والهمجية والتوحش ؟ فمن المفترض أن يكون التقدم في العقول وطريقة التفكير لا في الأسلحة والأدوات والمعدات .

لهذا فالأمن الفكرى أضحى ضرورة من أجل حماية الإنسانية من الشرور والأفكار الشيطانية التي تنتزع حق الإنسان في العيش الآمن والسلمى والعمل والإنتاج والعيش بكرامة.

وباتت المبادرات العالمية لحماية الإنسانية من الأفكار المدمرة ضرورة حياة وبقاء للإنسانية والعالم على كوكب الأرض .

فلا يمكن بأى حال من الأحوال حل المشكلات الجيوسياسية بالحروب والتدمير والاعتداء والغزو والاستعمار ونحن في القرن الحادى والعشرين ، بل ثمة حلول كثيرة تبدعها الدراسات والعلوم المختلفة ، ويسهم فيها العلماء والمحللون السياسيون ، والجيوسياسيون ، والجيوثقافيون ، وعلماء الاقتصاد ، فما يشكل أزمة سياسية يمكن حله بطرق علمية واقتصادية وثقافية واجتماعية ، لهذا وجد العلماء من أجل أن يكونوا منطقة وسط وحل كافة الأزمات السياسية التي تتعلق بالأرض والموقع والموارد والطاقة والغذاء والطب والبحار والثروات وغيرها .

ومن ثم فالتعليم هو النجاة من عصر الحروب والتدمير والأسلحة النووية والدمار الشامل . والتعليم والدراسات المستمرة والبحث عن بدائل ومخرج للأزمات هو الباب الوحيد الذى يضمن العيش المشترك والإنتاج والانجاز المشترك والمشروعات والاستثمارات المشتركة ،و حماية المصالح المشتركة لكافة الدول .

والتعليم هو ما يخلق حالة التشبيكات العالمية مع الدول والشراكات في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والزراعية والطبيعة والتكنولوجية وغيرها ، تلك التشبيكات والشراكات كلما كانت قوية وعلى مدى زمنى طويل كلما ضمن العالم حالة من الاستقرار النسبى والسلمى فترة كبيرة قد تمتد لعقود طويلة ، وذلك من أجل الحفاظ على المصالح المشتركة بين الدول واستفادة الجميع من المنافع المحققة من جرائها سواء على المستوى التعليمى أو الاقتصادى أو الثقافي أو التجارى أو الأمني أو البحرى أو الجوى أو العلمى أو الطبي أو الهندسى أو الجغرافى .....ولا يمكن تحقيق تلك الشراكات طويلة المدى بدون علماء وخبراء متمكنين من أدواتهم وعلومهم وأفكارهم ليست نظرية بل قابلة للتحقق والتنفيذ في الواقع .

فعلى سبيل المثال اتحدت العديد من دول الاتحاد الأوربي في عملة مشتركة تسمى (اليورو) من أجل ضمان الاستقرار الاقتصادى والسياسى والثقافى والاجتماعى ، حيث سهلت التدوال بين جميع الدول المشتركة ، والمعاملات أصبحت أيسر ، وانتعش الاقتصاد والسياحة في تلك الدول نتيجة توحيد العملة عام 2002 لمنطقة اليورو ، وأضحى عملة فعلية حتى الآن .

وتستخدمه الآن 20 دولة من أصل 27 دولة في الاتحاد الأوربي . ولم تستخدمه بعض الدول مثل المجر وبلغاريا والسويد وبولندا لظروف اقتصادية وسياسية .

فتوحيد العملة للمنطقة ساهم في ازدهار اقتصادى كبير ، عالج معه وهن وضعف عملات أخرى لبعض الدول أوشكت على الاندثار بسبب خفض قيمتها ، ومن ثم توحيد العملة أنعش المنطقة والتبادل الاقتصادى والتجارى والثقافى وأصبحت المنطقة أكثر استقراراً منذ عام

2002 حتى الآن . كما أن تلك الدول تفكر كثيراً قبل تورطها في أي أعمال حروب أو غيرها خارج نطاق حدودها خوفاً على مصالحها الاقتصادية والسياسية والتجارية والثقافية والاجتماعية.

مثل تلك المشروعات الكبرى طويلة المدى تولد الاستقرار والأمن في المناطق المتقاربة ، والدول المتقاربة وبين دول العالم وتدعم العيش المشترك والأمن المشترك وحماية المصالح المشتركة .

لهذا عندما يحدث هذا على مستوى التعليم والثقافة ستكون التعلم أفضل وحجم الإنفاق عليه أكبر ، والبرامج المقدمة والمحتوى أفضل وأقوى ويواكب الحياة العصرية ، ويستخدم العلم وأسلحته في الإعمار والاستثمار والتنمية لا في التدمير والحرب والصراع والخراب .

الفصل الثامن

زمانية الأمن الفكرى (الماضى والحاضر والمستقبل)

الفصل الثامن

زمانية الأمن الفكرى (الماضى والحاضر والمستقبل)

رغم أن مصطلح الأمن الفكرى حديث نسبياً من بدايات القرن العشرين ، إلا أن زمانية الأمن الفكرى بالمعنى التي نتحدث عنها ترتبط في الأساس بأركيولوجية الأمن الفكرى وتراتبيته الزمنية.

حيث أن الأفكار والخطابات والممارسات الفكرية تبقى على متصل عبر الزمن من حيث التراتبية والتسلسل الفكرى للأفراد والمجتمع وفقاً لعمق التأثيرات الأيديولوجية للأفكار والممارسات عبر الزمن . لهذا كانت الدراسة الأركيولوجية من حيث العمق الفكرى والمعرفى للأفكار وتأثيراتها المتتالية عبر الزمن بل عبر القرون ، ومدى تراتبية تلك الأفكار عبر الزمن بمعنى تشكلها وتكوينها ورسوخها على السطح لتصبح ممارسات مؤكدة ويقينية رغم انطلاقها منذ عقود قصيرة أو طويلة أي منشأها كان في الماضى ، لكن تؤثر على الحاضر والمستقبل معاً.

ومن ثم فبعدى الأركيولوجية والتراتبية يحللا بعمق التأثيرات العميقة للأفكار والأيديولوجيات والخطابات والممارسات الممتدة عبر الزمن مثل العادات والتقاليد والنظريات العلمية والاجتماعية والسياسية والجيوسياسية والجيو ثقافية ، والطرائق والممارسات الممتدة ، والتي بدورها تؤثر لامحالة على مفهومنا عن الأمن الفكرى ، الأمر الذى قد يستوقفنا قليلاً لإعادة التفكير في المفاهيم الراسخة عن الأمن الفكرى بمعنى إذا كانت ثمة أفكار وممارسات ممتدة لعقود طويلة فهذا يدل على قناعة البشرية بها ذلك لأنها ممتدة وديناميكية ، وتتحرك من عصر لعصر دون أن تندثر أو تتغير تلك الأفكار أو الممارسات .

هل في تلك الحالة علينا أن نعيد تفكيرنا عن الأمن الفكرى وندرس كيف أن المفهوم لابد أن يرتبط بالحركة التاريخية ، والتطور الزمنى عبر العصور ، وأنه ليس له تعريف أوحد في

الكتب أو المواثيق أو القوانين الدولية بل يتغير وفقاً للسياقات التاريخية الماضية والحاضرة بل والمستقبلية أيضاً.

لهذا فالدراسات الأمنية تتطور بشكل مذهل في العلوم السياسية ، ومن ثم تتطور المفاهيم بالمثل، وكذا الأدوات المستخدمة للتحرى والتقصى والكشف عن المجهول والغامض وغير المكتملة بياناته وحلقاته المعرفية .

فالنظريات الجيوسياسية التي تحدثنا عنها في الفصل السابق تعد نظريات كلاسيكية وحدثت في قرون سابقة ، لكن لازالت آثار الكثير منها ممتد حتى وقتنا هذا في الممارسات الدولية ، وفى الفكر السياسى حتى وقتنا هذا .

والسؤال لماذا مذاهب ونظريات تبقى وتستمر مئات وآلاف السنين ، ومذاهب ونظريات تندثر ؟

قد تكون الإجابة في درجة التأثير ومستوى الإقناع ، فالعقل الإنسانى لا يمكنه أن يستوعب ما ليس له قيمة حتى لو كان فيه متعة عقلية أو ذهنية تشحذ الذهن ، لكن ما لم يكن له صدى على الواقع ويمكن تمثله وتحويله لممارسات حياتية لا يمكن أن يستمر بحال من الأحوال .

حتى على مستوى التنظير الفلسفى ودعاة المثالية مثل أفلاطون وكانط وهيجل وغيرهم الذين تشبعوا بالروحانيات والمثل والقيم العليا ولازلنا نتحدث عن مبادئهم الفلسفية والقيم التي تحملها ، ولكن لو لم يكن لدى الإنسان قناعة بقيمة الواجب أو الالتزام في فلسفة كانط ، وتمثلها كمنطلق ومبدأ لحياته اليومية وممارساته مع بنى البشر ما كان استطاع أن يتذكر فلسفة الواجب والالتزام الأخلاقى عند كانط .

ومالم يعد أفلاطون بالسعادة الروحانية في كتاباته ومحاوراته عن الأخلاق والقيم العليا والدين ، ما كان البشر يرددون حتى اليوم أهمية الحوار والتفلسف واعمال العقل والسمو الروحى والدينى عن المحسوسات .

ومالم يقتنع رجال السياسة بأهمية القوة الجوية والبحرية في العلاقات الجيوسياسية ما بقيت نظريات جوليو دوهيه وماهان حتى وقتنا هذا مع عدم اغفال التأثير القوى والممتد نسبياً لنظرية قلب الأرض ل ماكندر لأنها تعد نقطة الانطلاق للكثير من النظريات الجيوسياسية التي تلتها.

إذ ثمة متصل فكرى له تأثيرات زمانية ممتدة من الماضى للحاضر والمستقبل . أي أن ثمة علاقة ترابطية بين تلك الرحلة الزمانية للأفكار والأمن الفكرى ، إذ قد تكون تلك التأثيرات العبر زمانية والتي لاقت قناعات وأصداء للتواجد وبيئات خصبة لاحتضانها عبر الزمن تحمل أيديولوجيات سلبية ، وتتطور عما كانت عليه في الماضى ،وتترسخ بصورة أحدث في الحاضر وتؤثر عليه سلبياً ، وتتداعى تأثيراتها السلبية على المستقبل.

فالممارسات التعليمية التقليدية الممتدة من قديم الزمان والمعتقدات الراسخة في أذهان المعلمين والقائمين على العملية التعليمية قد تؤثر بشكل واضح على التعليم في نسخته الحاضرة والمستقبلية .

وهذا ما يحدث فجوة التفكير بين عقول حاضرة تعيش في الماضى وتنطلق ممارسته الحالية من خلال الماضى وحسب دون التفكير في معطيات الحاضر والواقع ودون قراءة للتنبؤات المستقبلية للتعليم .

وهذا يسبب خلل في الأمن الفكرى من حيث اقناع البشر بأن الزمن قد تغير، والحياة أصبحت معقدة وبحاجة إلى فكر جديد ومتقدم ومبدع في نظرياته ومنطلقاته الفكرية ، وممارساته العملية بالمثل.

يسرى نفس الأمر على الأمور العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والتي تتبع نظريات ومفاهيم من عقود من الزمان وتمتد معهم ومع الأجيال التالية لهم عبر متصل زمنى لتخلق حالة من البعد دهوراً عن الحياة المعاصرة وتعقيداتها وثوبها الجديد الذى لم تدركه تلك الأجيال نتيجة التأثيرات الزمانية الماضية .

وهذا ما ولد الفكر العسكرى والحربى بنفس التصورات البدائية للحروب رغم استخدام أدوات معاصرة وأحدث التقنيات ، ولكن نفس التفكير الماضوى في إثارة الرعب والترويع واحداث الفتن داخل الشعوب والدول ، ونفس المؤامرات والأساليب المتبعة في الحروب التي كانت من قرنين من الزمان ، وهذا قد تحدثنا عنه في الفصل السابق أن كلمة الحرب استبدلت في النظريات المعاصرة بالتنافسية والشراكة والمشروعات المستدامة التي تجمع العالم أجمع وتنشد التعاون وعموم الخير لكل شعوب العالم المتقدمة والنامية والمتخلفة على السواء. وصعوبة وصول هذا الفهم المعاصر للعلاقات الدولية التي تتطلب المحافظة على المصالح الاقتصادية والتجارية والصناعية والعلمية والتعليمية ، والتشبث بالفكر التقليدي الممتد عبر الزمن في البحث عن نفوذ وهيمنة داخل الدول من أجل نهب ثرواتها وخيراتها ، أو السيادة على العالم ..وغيرها من النظريات التقليدية المؤثرة في الممارسات السياسية ،ومن ثم الثقافية والاجتماعية والأمنية حتى اليوم قد تؤخر العالم كثيراً ، وتدمر العالم كله .

إذ بدلاً من البحث والاستكشاف والدراسات العلمية لحل أزمات العالم المتخلف والنامى لحماية مصالحهم ولأنهم شركاء في التنمية والتقدم للعالم وشركاء في الإنسانية يتم زيادة تخلفهم ورجوعهم للوراء ومحاولات استعمارهم والاستيلاء على أراضيهم ، ومن ثم مزيد من البدائية والوحشية في التفكير والهيمنة المكروهة أو الغير مبررة ، ومفاهيم مغلوطة أو كلاسيكية عفا عليها الزمن وممتدة حتى الآن من أجل تحقيق مكاسب وقتية ستزول مع انهيار العالم إذا استمرت سلبيات الماضى متصلة عبر الزمن في الحاضر والمستقبل وتزعزع الأمن الفكرى والعالمى وتعوق التنمية والاستدامة والسلام والاستقرار والتقدم لدول العالم أجمع .

المشكلة هنا لا تكمن في الزمن أو زمانية الفكرة ، المشكلة تكمن في عدم تجدد الأفكار مع تقدم العصر ، إذ كيف لازالت نظريات مهما كانت وجهاتها أو آثارها المتحققة تسيطر على عقول أجيال لم تعش نفس السياق الذى انطلقت منه الفكرة أو النظرية ، فالعديد من النظريات والأفكار والمفاهيم رغم أهميتها في سياقاتها الزمانية والمكانية التي حدثت فيها ،

من الضرورى تعديلها ودراسة التغيرات التي طرأت على المكان والزمان والحياة كلها ، فلم تعد الماركسية تصلح في القرن الحادى والعشرين ، ولا الرأسمالية الفجة أو الليبرالية المطلقة في عصر الشراكات الكبرى والمعرفة اللامتناهية ، والتقدم التكنولوجى الذى ربط العالم أجمع في بوتقة واحدة لا يمكن الخروج منها بل الأسمى والأفضل حماية المصالح في كافة أوجه التعاون والشراكات الاقتصادية والتجارية والأمنية والصناعية والتعليمية والثقافية والطبية والتكنولوجية وغيرها .

بدلاً من التشبث بأفكار تدميرية وعنيفة وقاسية تزعزع السلام العالمى وتقضى على التنمية والعمران في كافة ربوع العالم .

وهذا ما تناشد به المنظمات العالمية الحقوقية والإنسانية الدولية من أهمية التفكير في مصالح دول العالم أجمع لا في دول معينة على حساب دول أخرى . فالمشكلات والأزمات في دول آسيوية وأفريقية تعطل مسيرة التنمية في دول أوربية وأمريكية والعكس صحيح لأن العالم قد تغيرت خريطته التكنولوجية والمعرفية فأضحى متشابك ومترابط المصالح والشراكات ، وعلاج الفقر في دول فقيرة ، والمجاعات والمشكلات الصحية والغذائية في تلك الدول لهو أجدى من الحروب وهو انتصار حقيقى للدول المتقدمة بنظريات جديدة يفسرها الواقع المعاش. إذ ليس أشد من حرب الفقر والطبيعة القاسية ، ووقوف العالم كله بالبحوث العلمية والاستكشافات والمشروعات من أجل مجابهة خطر الطبيعة والمناخ والطقس الذى يزداد يوماً بعد يوم ، ولكن تنجرف الدول الكبرى في صراعات بشرية على الأراضى ، والحروب وغيرها بتفكير ماضوى دون النظر للخطر القادم بفعل الطبيعة والذى يجب أن يتحسب له العالم أجمع ويتكاتف من أجل انقاذ البشرية بتفكير جديد منبعه التعاون والشراكة والمشروعات الكبرى لتأمين وحماية الدول من الأفكار السامة والمغلوطة والتي تحمل مفاهيم مشوهة وأيديولوجية مثل الهيمنة والسيادة والسيطرة وغيرها من الأفكار والمفاهيم التي لا نتيجة من ورائها غير الدمار .

إذن ما المحك في الإبقاء على أفكار من الماضى أو عدم الإبقاء عليها ؟ وهل مع القول بالتفكير الجديد وربط التفكير بالواقع والحياة المعاصرة إلغاء للزمان وإلغاء للماضى ؟

الإجابة ليست قاطعة ولا يمكن التفكير بمعزل عن إعمال العقل والتدبر والاسترشاد بالواقع والسياق الذى يتطلب أدوات وعوامل كثيرة ، فالمعتقدات والتقاليد والموروثات يتربى عليها النشء ويضيفوا إليها ويقيموها وينتقدوها ، فهى خاضعة لمنطق العقل فلكل زمان فكره ، وطقوسه وعاداته ونظرياته التي حتمت وجود هذا النمط من التفكير ، ولهذا من الصعب عدم خضوع كل شيء لإعادة التفكير المفاهيم والنظريات والممارسات ، وإعادة وضع مفاهيم وتعريفات جديدة للمصطلحات العلمية والطبية والنظريات العلمية والفلكية والجغرافية والتاريخية والهندسية والطبيعية والفلسفية والتربوية والسياسية والأمنية ،فطالما العالم يتغير ، فالتفكير الماضوى بحاجة إلى غربلة في كل شيء في المفاهيم والنظريات والممارسات ، ومالم يحدث هذا ستنشأ الفجوة المعرفية والخبروية على مستوى الفكر والسلوك والممارسات . ويتعجب الأفراد والجماعات والشعوب لماذا هذا التفكير ونحن في القرن الحادى والعشرين ؟ لماذا هذه الممارسات ضد الإنسانية وضد الشعوب الفقيرة التي لا تملك شيء ونحن في قرن السلام والشراكة والتعاون الإنسانى ؟ لماذا توجد منظمات كبرى حقوقية كثيرة عالمية في القرن الحادى والعشرين تنشد السلام ولازالت همجية وبربرية الحروب بأدوات معاصرة تسيطر على الأجواء ؟

تساؤلات كثيرة إجابتها ضرورة إعادة التفكير في كل النظريات الماضية والممارسات الماضوية التي لازالت ممتدة الأثر في الحاضر والمستقبل ، وما اختلف منها فقط هو الأدوات الحديثة التكنولوجية للتنفيذ ،ولكن بعقول أثيرة الماضى وحسب.

عند النظر إلى مستقبل الأمن الفكرى في التعليم في ظل التغيرات العالمية الحادثة والمتواترة والمؤثرة بشكل مباشر أو غير مباشر نجد أن زمانية الأمن الفكرى تتحكم في التعليم ، حيث التفكير بعقل ماضوى في حاضر ومستقبل الأجيال الحالية ، وبدلاً من الاستفادة من تعاليم الماضى في تطوير الحاضر وتحسين الخدمات التعليمية ، وبناء مستقبل أفضل . فحتى وقتنا هذا في العديد من البلدان يحن الكثير من المسئولين والقيادات التعليمية بل والأفراد إلى التعليم في الماضى الذى أنتج وأفرز القيادات التعليمية والمسئولين الذين يتحدثوا عن التعليم . لاشك أن العالم في الماضى لم يكن بهذا التعقد والتشابك كما هو الحال في الحقبة المعاصرة . ولكن لا يمكن بحال العيش في زمان مضى ولا نفكر بروح العصر العلمى الذى نعيش فيه . فالعصر الذى نعيش فيه الغلبة تكون للعلم والتفكير العلمى المنتج والمثمر ، وتقدم وتأخر الدول مرهون بالعلم والاكتشافات وحلول مشكلات طبيعية وأزمات وكوارث طبيعية وبيئية واجتماعية وثقافية برزت على السطح بفضل التعقد والتشابك الذى يزداد يوماً بعد يوم.

إذ لا يمكن تصور في القرن الحادى والعشرين إلغاء لغات أجنبية من التعليم أو عدم الاهتمام بها بدعوى الحفاظ على الهوية الثقافية ، في حين أنه كى نحافظ على هوية المجتمع الثقافية واللغة الأم من الأهمية بمكان دراسة لغة الآخر وتعلم لغات عديدة في عصر السماوات المفتوحة والتبادل العلمى والثقافى والاقتصادي والتجارى والصناعى والأمنى . فكيف يمكن التواصل مع دول العالم دون اتقان اللغات التي تمثل ثقافة في حد ذاتها ؟ والتي لا يمكن التعرف على ثقافة الدول الأوربية والآسيوية والأفريقية والأمريكية دون دراسات في اللغة والدراسات عبر الثقافية .

فتعلم اللغات ليس برفاهية الآن بل ضرورة للعمل والتواصل والشراكة العالمية التي رسمت ملامح العصر الذى نعيش فيه ، فالشركات والمؤسسات متعددة الجنسيات التي يستند إليها معظم دول العالم الآن في الاقتصاد والتجارة والصناعة والتعليم والصحة والهندسة تتطلب

اتقان عدة لغات عربية وانجليزية وألمانية وفرنسية وصينية ويابانية واسبانية وايطالية وغيرها من اللغات ، ولا يمكن طمس هوية ما نتيجة تعلم الفرد أو المجتمع عدة لغات مع اللغة الأم.

أما القول بعدم تعلم اللغات الأجنبية أو الاكتفاء بتعلم لغة أجنبية أو اثنان وتقييد الأمر أمام الشعوب ففي هذا انغلاق واضح عن العالم وثقافاته، وعودة ورجوع إلى الخلف . فاللغة الأم تحفر في الوجدان وتتأصل ويدرك المرء قيمتها أكثر مع تعلم لغات وثقافات أخرى كثيرة .

والفلاسفة والعلماء الذين أنتجو وأصلوا للفكر العربى تعلموا لغات كثيرة بخلاف العربية كى ينتجوا فكراً عالمياً بعدما قرأوا باللغة الأجنبية الإنجليزية والفرنسية والألمانية والصينية والأسبانية والإيطالية للعديد من المؤلفات والعلماء في مجالات الطب والهندسة والعلوم والفنون والتعليم والصناعة وغيرها .

إذ كيف نتحدث عن الشراكات العالمية الواسع ، والسلام العالمى دون تعلم اللغات مفاتيح التعامل والتواصل مع الحضارات الثقافية المتنوعة وإبراز قيمة اللغة الأم للمؤلف والكاتب والعالم والفنان الذى أبدع وانتج نتيجة قدرته على الحديث والقراءة والكتابة بلغات متعددة في عصر بالغ التعقيد لا يمكن الاكتفاء فيه بلغة أو اثنين مع التوسع العالمى والتبادل الثقافي والعلمى . والمناداة بتعلم لغة واحدة أو اثنين في العصر الذى نعيش فيه يعد عودة حقيقية إلى الإنغلاق والرجوع للخلف في كافة مجالات التنمية .

لنضرب أمثلة على الكثير من الفلاسفة والأدباء والعلماء الذين رأوا تعلم لغات كثيرة يعنى تواصل وإبراز للثقافة الأم ولانجازات الدولة في بيئات ثقافية متعددة ، العلامة العربى ابن خلدون ، وأبو بكر الرازى ، والفارابى ، وابن سينا ،والدكتور طه حسين ، والدكتور زكى نجيب محمود ، والدكتور حسن حنفى ، والدكتور حامد عمار ، والمؤلف نجيب محفوظ ، والدكتورة يمنى طريف الخولى ، والدكتور رشدى راشد ، والدكتور محمود أمين العالم ، والدكتور أنور عبد الملك ، وغيرهم الكثير ممن نظر العالم إليهم نظرة اعجاب وفخر لأنهم درسوا وتعلموا لغات متعددة ليتناولوا بموضوعية وشفافية قضايا عالمية ، ويتخصصوا في

علوم كثيرة كانت ستظل عسيرة الفهم والاتقان لولا دراسة اللغات التي مكنتهم من اتقان تلك العلوم والمجالات الفلسفية والأدبية والطبية والرياضية وأنتجوا العديد من المؤلفات والأبحاث العلمية التي ترجمت بلغات متعددة . بل إن رجال الدين في الحقبة المعاصرة يتقنون عدة لغات من أجل التواصل العالمى وإبراز قيمة الدين أو الأديان في الحوار مع الآخر الذى يرفض ديانة معينة أو يرفض الأديان عموماً ، ودوماً يرسلون رسائلهم بلغات متعددة من أجل الفهم العالمى لقيمة الدين والوسطية والقيم الأخلاقية التي تدعو للتسامح والسلام والاعتدال والالتزام والوسطية.

أي أن الاكتفاء بلغة واحدة أو اثنين في العصر الحالي يعد ضرباً من الراحة الفكرية ، والكسل الفكرى ، ورغبة في الانزواء والانغلاق عن العالم ، وعدم التواصل الحضارى مع العالم بالغ التعقيد ، وصعوبة عقد الشراكات الكبرى أو العمل في وظائف تتسم بالعالمية ، والاكتفاء بالإنجازات المحلية دون تواصل حقيقى مع دول العالم الذى يؤكد ضرورة اتقان عدة لغات من أجل احراز النجاحات والشراكات والتنمية العالمية المستدامة في كافة المجالات .

وفى ظل المبالغة اللفظية بالحفاظ على الهوية الثقافية أو اللغة الأم والثقافة الأم ، فيمكن القول أن الذى يحافظ على استمرارية اللغة والهوية هو الإنتاج العلمى الوفير ، والأبحاث العلمية ، والإنجازات الحضارية ، والاكتشافات التي تبرز هوية الدولة ومن ثم ثقافتها ولغتها . فتعلم اللغات لا يضيع ثقافة الأمة المنتجة والمنجزة بل تعززها وتنميها وتبرزها أمام العالم أجمع . مثلما كان حال العرب في العصور الوسطى من حيث الإنتاج العلمى الوفير والكتب والدراسات والأبحاث والاكتشافات الجغرافية والفلكية والطبية والعلمية والبراعة في الهندسة والمخطوطات والحساب والرياضيات ، والتجارة والصناعة ، والفلسفة والتعليم ، وجميع مجالات التنمية فبرز العالم العربى وقتئذٍ بالإنجازات الحضارية رغم اتقان العلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء للغات عديدة فرنسية وانجليزية ويونانية ورومانية وإيطالية وألمانية وغيرها الكثير بالإضافة إلى اللغة الأم اللغة العربية التي حافظوا عليها بفضل إنجازات الحضارية

التي توصف بالعالمية بشهادة الغرب الذين عكفوا على ترجمة تلك الإنجازات العلمية والفلسفية والأدبية والفنية إلى كل لغات العالم لقيمتها العلمية الرصينة .

من هنا يمكن القول أن العقل الإنسانى التواصلى يبرز عندما يتحد الإنسان مع ثقافات العالم ويحاول الارتقاء بنفسه بتعلم ثقافات متعددة ليدرك أهمية وقيمة الثقافة الأصيلة أو ثقافته الأم ، ويحاول تغييرها للأفضل والأحسن من أجل أن تكون ثقافة عالمية ومتحضرة بإنجازات لا حدود لها .

والتفكير في إطار زمنى ماضوى يعطل مسيرة التنمية الحاضرة والمستقبلية ، ويشير إلى خطورة على الأمن الفكرى للمجتمع وللدولة ، ذلك لأن في ذلك انغلاق وعزلة عن العالم ، وعدم مواكبة لما يحدث فيه ، والعديد من الدول نتيجة الإنغلاق والعزلة العالمية وقعت في مشكلات كثيرة سياسية وأمنية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتعليمية ، فما يحدث في أفغانستان الآن من حرمان الفتيات من التعليم وتقييدهن لأكبر دليل على الإرهاب الفكرى باسم الحفاظ على الهوية والثقافة ، وفى هذا تضليل لأن الحفاظ على الهوية والثقافة يتطلب العلم والتعليم والمعرفة الكثيرة من أجل صيانة الهوية من الإنحراف الفكرى والاستقطابات وعمليات تزييف الوعى والاستلاب الفكرى نتيجة قلة الخبرة والتعليم والانفتاح والتواصل على الثقافات الأخرى ، والتبادل الثقافي والعلمى .

والتعليم هو المفتاح الحقيقى لدراسة الثقافة والعلوم والفنون واتقان الصناعات المتنوعة ، ولا يمكن فعل هذا كله بدون تعلم للغات التي بداية التواصل الحقيقى العبر ثقافى فى العالم.

زمانية الأمن الفكرى في التعليم

للتعليم كما تطرقنا طبيعة خاصة لا يمكن الجمع بينها وبين أي قطاع خدمى أو تنموى آخر في نفس الظروف أو طريقة التعامل مع منظومة التعليم والشأن التعليمى بعامة . لأن مستقبل الأوطان الأمني والعلمى والتنموى والسياسى والاجتماعى والثقافى رهن بالمنظومة التعليمية . وهذا واضح للقاصى والدانى ، وواضح لواضعى السياسات العامة للدول أن

التعليم يجب أن يحتل المكانة الأولى والأولوية في أي دولة تريد أن تكون لها مكانة وسط السباق العالمى التنافسى واللامحدود واللا متناهى.

ولهذا السبب فالتطور الزمنى لمنظومة التعليم لا ينبغي أن يظل على حاله أو يستلهم نفس المسالك والتصورات والأفكار والنظريات التي كانت في حقبة تاريخية معينة ، وذلك لما أوضحناه سالفاً أنه رغم وجاهة الأفكار وقيمتها العليا ولكن طبقت في زمانها ووقتها على أشخاص آخرين في عهد وعقود زمنية سابقة ، واعجابنا بالأفكار السالفة والتطبيقات السالفة لا يجعلنا نطبقها مرة أخرى في زمن شديد التعقيد ولديه أدوات معقدة الفهم والدراسة والتعامل .لهذا ما يمكن أخذه من الماضى هو المبدأ والقيمة العليا مثل الحرص على الجدية والالتزام وتحمل المسئولية والإبداع والتطوير والابتكار والتأليف والإنتاج والبحث العلمى والاستكشاف كما كان في عصور سالفة، ولكن ليس بنفس الطرق والأدوات والفلسفة التي كانت في الماضى ، فالبعد الزمنى له تقديره واحترامه وفرق الزمن يجعلنا نقف ونفكر ونبدع كيف نطور أدوات الماضى وطرق البحث والاستكشاف والتقصى والإنتاج والإنجاز والإبداع سواء معامل ومكتبات وأجهزة افتراضية وواقعية ، وافساح الطريق أكثر للعمل الميدانى ، وحل مشكلات الطبيعة ، وحل مشكلات وازمات اجتماعية قد تؤثر على استقرار المجتمع من حيث التنمية والعيش السلمى مثل الانحرافات الشبابية ، وأعمال البلطجة ، وفرض الرأي بقوة السلاح ، والمفاهيم المغلوطة وتصحيحيها ، وغيرها من الأمور التي استفحلت في المجتمعات نتيجة غياب المنظومة التعليمية عن الواقع الحقيقى ، وعرض نظريات وأفكار من أزمنة قديمة لا ترتبط بواقع الحال ، ولا تحل مشكلات حقيقية في الواقع ، ولا تمارس فعل التعليم والتربية في تهذيب سلوك الأطفال والشباب والكبار رغم الشهادات الكثيرة أو التخرج من المؤسسات التعليمية .

فضلاً عن الإبداع والإضافة الحقيقية للمجتمع من خريجى منظومة التعليم قبل الجامعى والجامعى ، وقدراتهم على البحث والتطوير والعمل الجاد والمنتج في ميادين التنمية المختلفة دون تقصير أو ضعف في الإعداد نتيجة المناهج التعليمية التي أغلبها تدرس تاريخ العلوم

دون واقع الحياة نفسها والتجارب الحقيقية على الواقع ، وإيجاد بدائل وعلاج لمشكلات تتفاقم علمية وطبيعية وبيئية واجتماعية وأخلاقية وسياسية وغيرها .

وأصداء كل هذا على الأمن الفكرى والمجتمعى واسعة المدى حيث خريجين من مؤسسات التعليم لا يجدون عمل وفقاً لشهاداتهم التي حصلوا عليها ، لأن سوق العمل يتطلب مهارات كثيرة لا يتمتع بها الخريج لأن دراساته كانت لمقررات ومناهج تعليمية وضعت دون ربطها بمهارات الحياة المعاصرة مثل اتقان اللغات والبرمجيات وخوارزميات الذكاء الاصطناعى ، والتحليل المدقق للبيانات ، وكتابة المحتوى ، والتقارير العلمية ، واستخدام تطبيقات التكنولوجيا للتواصل وتوضيح الأفكار ، وإدخال البيانات ، وإدارة العمل والاجتماعات بطرق ذكية باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعى ، ووضع عامل الزمن في الاعتبار وقيمة الزمن في التقدم أو التأخر ، والقدرة على قراءة المستقبل والتنبؤ من خلال علوم المستقبل الفضاء والفلك ، وعلم التنقيب واستكشاف الموارد سواء برياً أو بحرياً ،والقدرة على إدارة السياحة الداخلية والخارجية وربطها بقطاعات التنمية والتكنولوجيا الذكية مثل السياحة التعليمية والسياحة الطبية والسياحة الهندسية والسياحة التجارية والصناعية وسياحة المؤتمرات العالمية واستضافاتها في الدول التي تتمتع بمناخ سياحى متميز وبيئة قادرة على الجذب السياحى . والقدرة على استخدام برامج الدعاية الذكية وتقديم خدمات أخرى مثل التفكير في السياحة المستدامة والتي تتطلب ربطها بقطاعات خدمية مثل التعليم والصحة والتجارة والصناعة والثقافة وغيرها من أجل انتعاش الاقتصاد من خلال السياحة الذكية التي ترتبط بقطاعات تنموية ، ومشروعات مستديمة .

كل تلك المهارات يتسنى أن تتضمنها مناهج التعليم ومؤسسات التعليم كى تخرج لنا أجيال أو رواد أعمال وباحثين ومستكشفين وعلماء قادرين على التعامل الذكى مع متطلبات العصر الحالي الذى تتسارع معدلات انتاجه وحجم إنجازاته اليومية ما كان يحدث في مئة عام وأكثر من إنجازات تضيف إلى رصيد التنمية .

كل هذا لا يمكن تحقيقه بدون خبرة التعليم والتدريب داخل مؤسسات التعليم منذ الطفولة داخل المؤسسات الرسمية الحكومية التي تفرز الأفراد والمواطنين الذين يعملون داخل قطاعات الدولة. فالاهتمام بالتعليم الحكومى الرسمي لم يعد أمراً ثانوياً بل ضرورياً من أجل مستقبل التنمية داخل الدولة ، فلا يمكن الاكتفاء بتطوير التعليم الأهلى للمدارس والجامعات الخاصة ، وترك المدارس الرسمية والجامعات الرسمية بلا تطوير أو رعاية لأن المواطنين الذين يشغلون القطاعات الحكومية التنموية الغالبية العظمى منهم من خريجى المدارس والجامعات الرسمية وليس خريجى المدارس والجامعات الخاصة بكافة أنماطهم اللغات والدولية وغيرهم .

ومن ثم فتداعيات وهن التعليم ومنظومته وعدم قدراته على مواجهة الحاضر والمستقبل كبيرة على الأمن الفكرى حيث البطالة المقنعة ، والرغبة في البحث عن فرص عمل خارج الوطن ، والهجرة الداخلية ، والهجرة الدائمة الخارجية ، ومن لم يقدر على كل هذا يكون عرضة للانزواء والانطواء والاكتئاب المزمن والرغبة في الانتحار ، أو ممارسة أفعال غير مشروعة من أجل العمل مثل الهجرة غير الشرعية أو الاتجار في المخدرات ، أو الانضمام لجماعات إرهابية ،أو الانحراف الأخلاقى وممارسة البلطجة والعنف ، وغيرها من الأمور التي يفكر فيها المرء عندما يغيب عقله ووعيه عن الطرق السليمة القويمة ، والتي تساعده الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع بشكل أو بآخر في تلك الانحرافات السلوكية نتيجة عدم الاهتمام الكافى بالتعليم داخل المؤسسات الرسمية المجانية ، وإعانة الأسر الفقيرة المحرومة كى تكون لها دور في المجتمع من خلال الالتحاق بالتعليم .

كما أن الفساد الإدارى والمالى داخل المؤسسات الرسمية والأهلية فى جميع القطاعات لاسيما التعليم يعد تهديداً صريحاً للأمن الفكرى ، حيث الطاقات المهدرة من قبل العاملين دون تقدير معنوى ومادى نتيجة غياب المحاسبية والمتابعة المستمرة للأموال العامة والمخصصة لتلك المؤسسات وصرفها على تجديد البنية التحتية والهيكلية والخدمات والرواتب والأنشطة والمشروعات وغيرها ، فالفساد المالى والإدارى يحرم المواطنين من الحصول على

الخدمات الأساسية ويشعرون بضيق العيش نتيجة نهب أموالهم ومستحقاتهم المادية وشعورهم بالأمن داخل مجتمعهم ، والتصرف في تلك الأموال بمعرفة الإدارة أو النخب القيادية دون الرجوع للجموع ،أو شعور العاملين أو المواطنين بأى إنجازات أو خدمات تقدم لصالحهم بل زيادة الأعباء المادية والشعور بالظلم والقهر المستمر والضيق وعدم الإحساس بالأمن المجتمعى نتيجة الاستيلاء على الأموال المخصصة للقطاع من الجهات المسئولة أو الإدارية ، ودون احداث تطوير حقيقى . ويستمر الفساد عبر الزمن مع اختيار قيادات جديدة موالية للقيادات السابقة ويتجدد الفساد المالى والإدارى استكمالاً للمراحل السابقة حتى يقضى تماماً على أي أمل في التغيير الحقيقى ، ويظل العبث بالمؤسسات الرسمية والأهلية وفقاً للأهواء والمصالح التي أغلبها خاصة ولصالح نخب بعينها في دوائر الفساد دون إحساس حقيقى بالتغيير أو التطوير أو العيش الكريم الآمن ، أو الحراك الاجتماعى للأفراد .

ولهذا ففي ظل الفساد المستمر دون حوكمة ومتابعة رقابية يتم اختيار قيادات واهنة ولا تسعى للتطوير بقدر ما تسعى للهيمنة والتسلط من أجل تنفيذ مصالح خاصة لقيادات أعلى وضعتهم خصيصاً من أجل استكمال دائرة الفساد والاستيلاء على أموال وأحلام الناس ، وقتل معنوياتهم ورغباتهم في التطوير والإنجاز والإبداع ، ومن يحاول الوقوف أمام هذا الفساد يتعرض للتهديدات الأمنية والترويع والتخويف كى لا يتم هدم دوائر الفساد المستمرة مع كل فترة قيادية أو اعتلاء المناصب التي في هذا الصدد أضحت لا تخرج عن أشخاص ضمن سلسلة الفساد ولا تخرج عنهم .

وعندما يشعر العاملين بأنهم لا يمكن القول أو التعبير عن الفساد الحاصل داخل المؤسسات لا سيما المؤسسات الرسمية التعليمية المنوط بها تخريج مواطنين يخدموا المجتمع ويشيدونه بسواعدهم في كافة المجالات ، والتي من أجل هذا يجب تطويرها وتحسينها دون المساس بالأموال والموارد المادية المخصصة لتلك المؤسسات لصالح النخب القيادية الفاسدة أو سلاسل الفساد التي تستحل لنفسها أموال وموارد الدولة دون صرفها في مساراتها المخصصة لها.

الأمر الذى يؤدى إلى ضعف الإمكانات دوماً داخل المؤسسات الرسمية ، والخدمات التي تشعر العاملين وجماعات المصالح بأن الدولة تعمل من أجلهم ومن أجل خدمتهم وخدمة مصالحهم ، لأن ثمة أمور كثير مسكوت عنها ويخشى الناس الحديث عنها خوفاً من التهديد والترويع وشل حركاتهم والنيل منهم ، ولذلك تظل إرادتهم مسلوبة ، وقدراتهم على العمل والإنجاز ضئيلة نتيجة شعورهم بأن مستحقاتهم ومواردهم يتم الاستيلاء عليها وتقنينها في أمور يعلم الجميع أنها تخدم مصالح النخب الفاسدة وحسب .

ولهذا يمتد الفساد لسنوات ، والزمن هنا يتوقف عن التطوير ، والأمن الفكرى يعجز عن تحقيق العدالة الناجزة ، وإعطاء كل ذي حقٍ حقه وفقاً لقدراته وانجازاته وعمله ، وليس وفقاً لولائه للنخب الفاسدة التي تعمل لصالحها دون صالح المجموع .

ومن ثم قدرة الإنسان على التفكير السوى والمعتدل وسط المتناقضات الحادثة تضعف . إذ كيف يفكر في الاعتدال والقسط وهو يرى القائد أو المدير غير منصف أو عادل ؟ وكيف يؤدى واجبه بإتقان ويبذل مجهوداً مضاعفاً ويحصل على أجر زهيد ، وغيره يأخذ منه هذا الأجر مضاعفاً دون تعب أو بذل مجهود بحكم أنه مدير أو قائد وغيرها من الأمور ؟

كيف يبذل الإنسان جهداً كبيراً ويحصل على أجر ضئيل لا يكفى قوت يومه وأسرته ، وداخل نفس المؤسسة يحصل المسئولون على أجور معلنة ومستترة دون تعب أو جهد لأنهم ضمن سلسلة الفساد أو النخب الفاسدة ؟

كيف ينشط الأمن الفكرى في تلك الحالة ؟ كيف نقنع الأفراد بضرورة اتباع الخلق السليم والحفاظ على الأموال والموارد المخصصة ، واتباع القواعد والقوانين وهم يعلمون تماماً أن من يقولون بهذا هم أنفسهم فاسدون ويستحلون لأنفسهم الأموال العامة والموارد المخصصة للتطوير والخدمات وغيرها ؟

هل ينبغي علينا أن نحاسب أنفسنا أولاً ؟ هل يتسنى علينا أن نضع أنفسنا ولو لحظات مكان الشخص الذى يبذل المجهود الكبير ويتقاضى أجر زهيد لمجرد القول بأن الموارد والإمكانات

ضعيفة وضئيلة داخل المؤسسة ؟ هل حان الوقت للشفافية والمصارحة أن الفساد قد يكمن في دعاة الشفافية والموضوعية والمحاسبية والأخلاقيات من أجل التعتيم على أفعالهم الفاسدة في أخذ حقوق وأحلام الناس في الارتقاء بأنفسهم والعيش حياة كريمة وآمنة ؟

ويعد البنك الدولى من أهم المؤسسات الدولية للمحاسبية ومكافحة الفساد ذلك بحكم أنه أحد الجهات الداعمة لتنمية المجتمعات ومنح الدول التمويل اللازم لمشروعات التنمية المجتمعية.

ومن ابرز المعاهدات التي أبرمها البنك الدولى عام 2007 معاهدة (ستار)،وذلك بالتعاون مع الأمم المتحدة لاستعادة الأصول المسروقة ، ومحاربة البنوك التي تحوى المسئولون الفاسدون ، ومساعدة الدول النامية على استعادة الأموال المسروقة من حكام سابقين وأصحاب رؤوس أموال فاسدة ، وتعزيز شفافية الأسواق المالية وحوكمتها ، وتقديم الدعم والمساعدة للدول لمكافحة الفساد (عباس 2007) .

ووفقاً لمؤشرات مدركات الفساد لعام 2022 لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فتدل المؤشرات على تصاعد قوى للفساد ومؤشراته نتيجة عمليات تدوير الفساد عبر الزمن ، والصراع المستمر يزيد الفساد من حدته . وذلك بسبب الاستحواذ على السلطة ، وعدم الاستقرار والفساد السياسى كما يشير التقرير وفقاً لأعلى مؤشرات مدركات في المنطقة ، حيث كانت البلدان على قمة التصنيف مؤشر من صفر(الأكثر فساداً) إلى 100 (الأكثر نزاهة) ، الإمارات العربية المتحدة (67) ، وإسرائيل (63) ، وقطر(58) .

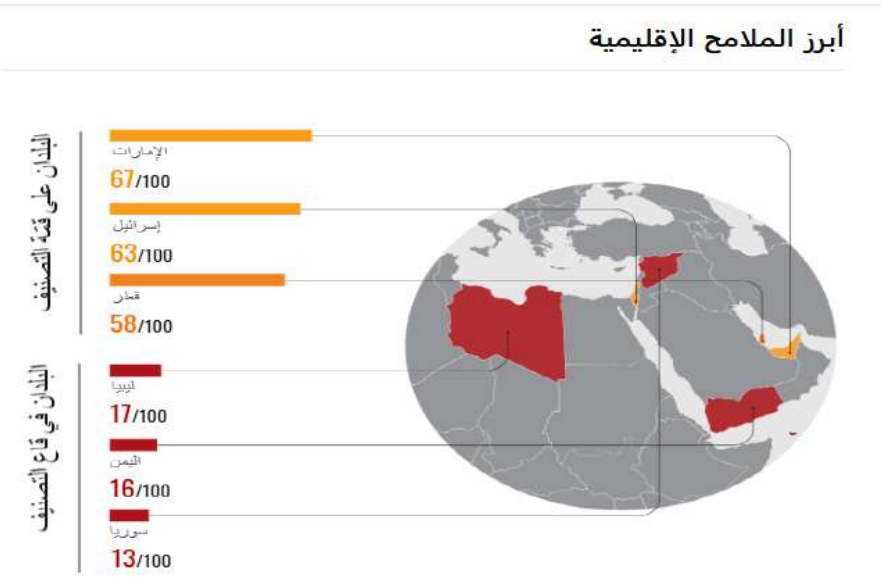

المصدر : **الشفافية الدولية** : **مؤشر مدركات الفساد** CPI **عام** 2022

https://www.transparency.org/ar/news/cpi-2022-middle-east-north-africa-corruption-fuels-ongoing-conflict

وما يشهده العالم الآن من مناخ سئ واحتباس حرارى في العالم كله تحدث عنه تقرير مؤشر إدراكات الفساد للعام 2025 في ضعف الدول في التعامل مع ظاهرة الاحتباس الحرارى والقضاء عليها الأمر الذى أدى إلى المناخ الذى يسود العالم الآن من حرائق وارتفاع شديد في درجة حرارة الأرض والطقس السئ . فالفساد يلعب دوراً مدمراً في أزمة المناخ ، ويهدد صناديق المناخ المنقذة للحياة في العالم كله ، بل إن مليارات البشر معرضين للخطر بسبب تهديدات المناخ . وقد أشار التقرير إلى أن تآكل الديمقراطية وتراجع الزعامة العالمية في مجال المناخ أصبح العالم في أزمة في مواجهة تحدى المناخ ، والفساد داخل دول العالم يعرقل أي مساعى لتقرير مصير العالم في ظل أزمة المناخ العالمية . وقد أوضح التقرير أن النفوذ القوى لجماعات الضغط التي تتحكم في الغاز والنفط والمراكز السياسية التي تحتلها في العالم أجمع يزيد من حدة الأزمة والكارثة التي يشهدها العالم اليوم من تغيرات مناخية غير مسبوقة .

الأمر الذى يعد انتهاكاً لحقوق الإنسان والرغبة في العيش في مناخ صحى ومستقر ، وأشار التقرير أن الفساد الإدارى والسياسى في الدول التي شملها المؤشر أو التقرير ينطوى على فساد المسئولين وموظفى الخدمة العامة ، وفساد السياسين ، لهذا أوصى التقرير بأهمية تعزيز النزاهة في القطاع العام ، وحذر من إساءة استخدام السلطة والتعاملات السرية والرشوة ، والواسطة والمحسوبية ، واستغلال المسئولين مناصبهم لتحقيق مآرب خاصة ومنفعة، وهى أمور تخرب المجتمعات وتهدر حقوقها .

وقد أحرز ثلاث دول للعام السابع على التوالي وفقاً للمؤشر على أعلى الدرجات وهم الدنمارك (90) ، وفنلندا (88) ، وسنغافورة (84) ، الأمر الذى يدل على النزاهة والقدرة على السيطرة على الفساد .وأدنى الدرجات حصلت عليها في عام 2024 البلدان الهشة والمتضررة من الصراع مثل جنوب السودان (8) ، والصومال (9)، وفنزويلا (10) ، وسوريا (12) ، وليبيا (13) ، واريتريا (13) ، واليمن (13) .

نتائج الدول العربية في مؤشر مدركات الفساد في العامين ٢٠٢٣ و ٢٠٢٤

درجة (صفر) تشير إلى فاسد جدا، و(١٠٠) درجة تشير إلى نظيف جدا.

ترتيب الدول العربية	2023			التغير بالدرجة	2024 (جديد)		
	الترتيب دوليا	الترتيب عربيا	من 100 درجة		الترتيب دوليا	الترتيب عربيا	من 100 درجة
الإمارات	26	1	68	=	23	1	68
قطر	40	2	58	+1	38	2	59
السعودية	53	3	52	+7	38	2مكرر	59
عمان	70	6	43	+12	50	4	55
البحرين	76	7	42	+11	53	5	53
الأردن	63	4	46	+3	59	6	49
الكويت	63	4 مكرر	46	=	65	7	46
تونس	87	8	40	-1	92	8	39
المغرب	97	9	38	-1	99	9	37
الجزائر	104	10	36	-2	107	10	34
جيبوتي	130	12	30	-1	127	11	31
مصر	108	11	35	-5	130	12	30
موريتانيا	130	12	30	=	130	12مكرر	30
العراق	154	15	23	+3	140	14	26
لبنان	149	14	24	-2	154	15	22
جزر القمر	162	16	20	+1	158	16	21
السودان	162	16	20	-5	170	17	15
ليبيا	170	18	18	-5	173	18	13
اليمن	176	19	16	-3	173	18مكرر	13
سوريا	177	20	13	-1	177	20	12
الصومال	180	21	11	-2	179	21	9

المصدر: **جمعية الشفافية الكويتية** 2025 ، **بيان صحفى بشأن نتائج مؤشر مدركات الفساد الصادر عن منظمة الشفافية الدولية** ، 11 **فبراير** 2025 ، **الكويت** ،**ص** 12 .

ويشير التقرير إلى أن الدول أقل من 50 درجة عليها أن تراجع ذاتها ، وتحكم السيطرة على الفساد المالى والإدارى ، وتعزز ثقافة النزاهة والمحاسبية.

ومن ثم فإن الفساد في أي مجال وبكافة أنماطه يعرقل أي مسيرة للتطوير والتقدم ، ويفرض حالة من الخمول والتراخى والكسل ، والتبعية لدى الناس ، والإحباط والكره والسلبية وعدم المشاركة أو التعاون أو بذل الجهد ، كما يضع الدول في خطر التهميش والعزلة ، والعقوبات الدولية ، والحرمان من المشاركة الدولية . ويؤدى إلى الصراعات والنزاعات والحروب

وانشغال عن حل الأزمات العالمية كالمناخ الذى أصبح ظاهرة تهدد العالم أجمع ، وتهدد دول بالانقراض التام مالم يحدث سرعة تدخل لعلاج أزمة المناخ والاحتباس الحرارى .

والفساد يؤثر بشكل قوى على التعليم وكلما استمر الفساد عبر الزمن ، ولسنوات متعددة يصبح أمراً مألوفاً ، وتزداد دوائره ويكثر العدد في تلك الدوائر حتى يقضى على الدولة ككل . ذلك لأن التعليم هو عصب الدولة في التنمية والتطوير .

وقد أشار تقرير الفساد العالمى الخاص بالتعليم لعام 2020 الصادر عن منظمة الشفافية الدولية أن القضاء على الصندوق الأسود للتعليم أو فساد التعليم يكمن في رصد مؤشرات وأسباب الفساد في التعليم ، والوعى بقيمة النزاهة وتعليمها وتأصيلها ، وتوفير برامج لتعزيزها لدى الجهات الأمنية والرقابية والتعليمية وحشد القيادات التعليمية في الجامعات والمدارس لتعليم النزاهة والقضاء على الفساد ، فضلاً عن الإفراج عن البحوث والدراسات التي تكشف الفساد في التعليم ، ومناقشاتها وتحليلها والاستفادة منها ، وتوعية المجتمع بأهمية هذه الدراسات في تعميق الشفافية والنزاهة والحفاظ على الأمن وهوية المجتمع (تقرير الفساد العالمى ، التعليم 2020 ، 229-236 .

مستقبل الأمن الفكرى في التعليم

مع تعاقب زمانية الأمن الفكرى بشكل ثابت دون ديناميكية في حركة الزمن عبر العصور الماضية والحاضرة ، وثبات حال التعليم من عصر إلى عصر دون مواكبة لحركة التغيير ، ومع الارتفاع الملحوظ في مؤشرات الفساد وازدياد دوائر الفساد والرغبة في تحقيق مآرب شخصية وفئوية على حساب الجموع ، فإن الدلائل تشير إلى أن إمكانية تحقيق مستقبل آمن فكرياً في ظل صعوبة السيطرة على العوامل السابقة ستكون احتمالاتها ضعيفة جداً . بل إنه كلما ازداد الفساد في مؤسسات التعليم بكافة أنماطها ومراحلها ، كلما كانت احتمالات انتشار الفساد في المستقبل كبيرة في المجتمع ككل ، لأن التعليم هو المؤسسة التي تفرز لنا الأفراد الذين يعملون في كافة ربوع المجتمع بقطاعاته وميادينه المختلفة .

أي أن مستقبل الأمن الفكرى في التعليم رهن بالحاضر ، والأنماط السلوكية في الوقت الحالي داخل منظومة التعليم والقيادات التعليمية ، والموارد المخصصة للتعليم ومسارات انفاقها في الاتجاه الصحيح أم لا ، والعقول التي تفكر للتعليم في عالم الذكاء الاصطناعى والتكنولوجيا وعصر السماوات المفتوحة ، والمشروعات التعليمية التي يتم تمويلها من جهات أجنبية ومنظمات دولية وكيفية انفاق التمويل والرقابة على المؤسسات الرسمية والخدمات التعليمية وإعادة هيكلة البنى التحتية وغيرها من الأمور التي بحاجة إلى شفافية ونزاهة لأن المخرجات التعليمية ستؤثر على مستقبل الأوطان ومصير التنمية داخل الدولة إما صعوداً في حالة اتباع الشفافية والنزاهة والاهتمام بانفاق الموارد المادية والمالية المخصصة للتعليم على الأبناء والبنى التحتية والمرافق والخدمات التعليمية والصحية والغذائية للأطفال والطلاب في المدارس والجامعات الرسمية ، أو هبوطاً باستمرار دوائر الفساد وزيادة أعداد المنتفعين من وراء الفساد المالى والإدارى بالمؤسسات الرسمية التعليمية والتي ستفرز أشخاص في دوائر أخرى وقطاعات غير تعليمية يعلوا مصالحهم الخاصة على المنفعة العامة للمجتمع وأبنائه .

ومن ثم فإن مستقبل الأمن الفكرى في التعليم يتحدد من الآن ، ومن الممارسات المتبعة في الوقت الراهن ، ومن النمط القيادى في التعليم الحاكم ، وفى قدرته على عبور الأزمات الراهنة والتصدى للفساد وتحدياته ، وتحقيق العدالة التعليمية الناجزة ، وإعطاء فرص حقيقية للمبدعين والموهوبين أياً كانت طبقاتهم وبيئتهم الاقتصادية ، ودخول أكبر عدد من الفئات المهمشة من التعليم في سلم التعليم مثل أطفال الشوارع الذين يزدادون يوماً بعد يوم ، والأطفال العاملين في سن الإلزام لمساعدة أسرهم الفقيرة ، وأطفال اللاجئين والمشردين ، والأطفال في الأحداث والمرتكبين جرائم عنف وبلطجة ، والفتيات المحرومة من التعليم ، والأمية ، وغيرها من القضايا التي إذ عمد قيادات التعليم على توفير بدائل عملية لحلها دون الرغبة في البروباجندا والدعاية للابراز القضايا وجلب المشروعات للتمويل تحت مسمى تلك القضايا دون حلول جذرية أو عملية لها على أرض الواقع ، فعند وجود رغبة وإرادة حقيقية

من قيادات التعليم والدولة للحلول الحقيقية لكل تلك المشكلات وغيرها ، عندئذٍ سنضمن مستقبل آمن للتعليم ، ومستقبل منتج فكرياً وسلوكياً للأبناء والأفراد داخل المجتمع . وعقول ثرية بأفكارها ورغبة حقيقية في التطوير والتقدم والإنجاز ، **والعيش في نعيم الأمن الفكرى في التعليم** .

.....

المراجع والمصادر

1-باومان ، زيغمونت ، باى ، تم (2023) : التفكير سوسيولوجياً ، ترجمة حجاج أبو جبر ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة .

2-برد، ر. (2021). الفكر الجيوسياسي والقراءات النظرية لترتيبات السيطرة الدولية. مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، 2(4)، الجزائر، 511: 177 .

3-البوعينين ، موضى مبارك (2020): الدبلوماسية الإنسانية ، الشبكة الإقليمية للمسئولية الاجتماعية، الدوحة .

4-بينغ ، سو (2023) : في الريف الصينى الشاشات تقرب المسافات ، رسالة اليونسكو (المدرسة في زمن الذكاء الاصطناعى) ، ديسمبر 2023، العدد (4) ، الولايات المتحدة الأمريكية .

5-تقرير الفساد العالمى (2020) : التعليم ، الملخص التنفيذي ، منظمة الشفافية الدولية ، الأمم المتحدة.

6-جبر ، فلاح حسن (2018): بناء مقياس الأمن الفكرى لدى طلبة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية ، مجلة أبحاث الذكاء والقدرات العقلية ، العدد 26، الجامعة المستنصرية ، بغداد https://doi.org/10.36302/JIR.V0l26.58

7-الحسينى ، محمد (1948): الفكر الاجتماعى خواطر ولمحات ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة.

8-الحبسية ، يسرى ، الشامى ، السعيد ، لاشين ، محمد (2024) : آليات مقترحة لتطبيق نموذج المدرسة المنتجة في المدارس الحكومية في سلطنة عمان ، المجلة العلمية ، العدد (49)، كلية التربية ، جامعة الوادى الجديد ، ص ص 1 -38 .

9-خطاب، سمير ، الميهى ، مهران (2021): متطلبات تفعيل الجامعة المنتجة في ضوء استراتيجية التنمية المستدامة : رؤية مصر 2030، مجلة التربية ، العدد (192) ، المجلد (1)، كلية التربية، جامعة الأزهر، ص ص 418-440.

10-الدغيم ، محمد (2006) : الإنحراف الفكرى وأثره على الأمن الوطنى في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، مجلس التعاون الخليجى ، الكويت ، ص ص 1-126.

11-داونز ، روبرت(2017): كتب غيرت العالم ، ترجمة أمين سلامة ، مؤسسة هنداوى، المملكة المتحدة .

12-السرحانى، سلطان (2016): نظريات التوجيه والإرشاد في المجال الدراسى ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض.

13-سوالمية ، نورية (2016) : نحو نظرية جديدة للروابط الاجتماعية بين اسهامات ابن خلدون والمدارس الغربية ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، العدد (19) ، جامعة الشهيد حمة الخضر، الجزائر ، ص ص 157-174.

14-سافولاينين ، أنولينا (2023) : سال خان " الذكاء الاصطناعى أداة إضافية جد فعالة" ، رسالة اليونسكو (المدرسة في زمن الذكاء الاصطناعى) ، ديسمبر 2023، العدد (4) ، الولايات المتحدة الأمريكية .

15-سلطان ، محمد (2015): علم النفس السلوكى ، مديرية الكتب والمطبوعات، سوريا.

16-السيد ، أحمد ، رزق، السعيد ، أحمد ، سامح (2022): اجترار الأفكار وعلاقته بمهارات حل المشكلات الاجتماعية لدى طلاب جامعة الأزهر ذوى الأعراض الاكتئابية ، مجلة كلية التربية ، العدد (194)، الجزء (5) ، جامعة الأزهر ، ص ص 301-331.

17-الشهرى ، يزيد (2023): فاعلية برنامج ارشادى نفسى جمعى قائم على فنيات العلاج السلوكى الجدلى في تعزيز الأمن الفكرى لدى طلاب الجامعة ، مجلة العصر للعلوم الإنسانية والاجتماع ، العدد (10) ، المجلد (10)، جدة ، السعودية ، ص ص 154-198.

18-طيفور، فاروق (2022): هندسة المناعة السياسية مقاربات معرفية وإجرائية ، الجزء الثانى ، مجلة دراسات شرق أوسطية ، العدد (99) ، المجلد (26) ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، ص ص 125-135

19-على ، سعيد إسماعيل ، عبد الراضى ، إيمان ، إسماعيل ، محمد أحمد ، الجندى ، سوزان ، درويس ، محمد (2019) : مهددات الأمن الفكرى : دراسة تحليلية تربوية ، مستقبل التربية العربية ، العدد (122)، المجلد (26) ، المركز العربى للتعليم والتنمية ، ص ص 61-80.

20-عبد السلام ، محمد (2019): الجيوبولوتيكا ، علم هندسة السياسة الخارجية للدول ، دار الكتب ، القاهرة.

21-عبد القادر، عصام ،الفار ، شادى (2021): دور الجامعة المنتجة في تنمية التفكير المنتج والاتجاه نحو الأنشطة الرقمية ، مجلة التربية ، العدد (192) ، الجزء (1) ، كلية التربية ، جامعة الأزهر، ص ص 502-560 .

22-عبد الغنى ، آمال (2023): الأمن الفكرى في الشريعة الإسلامية ودوره في تعزيز الإنتماء الوطنى ومحاربة الفكر المتطرف دراسة تحليلية ، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، العدد(36) ، المجلد الثانى ، جامعة الأزهر ، مصر ، ص ص 1-60.

23-عزازى ، أحمد ، على ، حسام (2022): مقياس الأمن الفكرى ، مجلة إبداعات تربوية ، العدد 23، 187-196، https://doi.org/10.21608/eji.2022.264440

24-عباس ، مصطفى (2007) : دور المنظمات الدولية في مواجهة الفساد ، مجلة الجامعة العراقية ، العدد 60 ، الجزء الثانى ، العراق.

25-العلوانى ، رقية (2024) : الأمن الأخلاقى أسسه ودعائمه دراسة تحليلية لأمثلة من سورة النور ، مجلة البحث العلمى الإسلامي ، العدد (61) ، المجلد (20)، بيروت ، ص ص 209-242 .

26-فايد ، جمال ، درويش ، أحمد ، حسين ، محمود ، أبو حسيبة ، محمد (2023):فاعلية برنامج تعليمى قائم على نظرية التعلم الاجتماعى لتنمية التفكير الإيجابى لدى عينة من ذوى صعوبات التعلم ، مجلة الإرشاد النفسى ، العدد 76 ، الجزء الرابع ، جامعة أسيوط ، ص ص 1 -39 .

27-فوكو، ميشيل (2008) : جينالوجيا المعرفة ، ترجمة أحمد السطاتى وعبد السلام بنعبد العالى ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب.

28-فهد ، الفيلكاوى (2023)): تحديات الأمن الفكرى والآليات المقترحة لتعزيزه من وجهة نظر طلاب كلية التربية الأساسية بدولة الكويت في ضوء بعض المتغيرات ، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية ، العدد الرابع ، الجزء الرابع ، كلية التربية ، جامعة دمنهور ، ص ص 550-606 .

29-فايزة، بلخيز (2022): الحاجة إلى الأمن النفسى في ضوء نظرية ماسلو في ظل أزمة كورونا لدى الفرد ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، المجلد (10)، العدد (1) ، الجزائر، ص ص 975-994 .

30-فيصل ، مطرونى ، نوال ، بوعمامة (2024): نظرية التعلم الاجتماعى عند جوليان ب روتر وألبرت باندورا ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، المجلد 12، العدد 3 ، الجزائر ، ص ص 737-745 .

31-لطفى ، بن لعوج (2018): السوسيولوجيا والحس المشترك إعادة التفكير في التوجهات النظرية ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 5، المركز الجامعى ، الجزائر ، ص ص 236-257 .

32-لو ، ستيفن (2017): الإنسانوية ، ترجمة ضياء وراد ، مؤسسة هنداوى ، المملكة المتحدة .

33-منصور، عماد ، هيكس، جون (2022): حوكمة الأمن الإقليمى وتوقعات الجمهور وأدوار السياسة الخارجية ، سياسات عربية ، https://doi.org/10.31430//IBQB5792

34-محسن ، أنفال (2024): إضطراب المسلك وعلاقته بالتفكير بالتشاؤمى والانتحارى لدى طلبة المرحلة الإعدادية ، رسالة ماجستير ،قسم علم النفس التربوى ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، العراق .

35-مصطفى ، فاتن فوزى (2025): اتجاهات الصراع الجيوسياسى في منطقة البحر الأسود ، مجلة وميض الفكر ، العدد 25، لبنان ،ص ص 230: 261.

36-المعايطة ، خالد ، العسافسة ، رامى (2021): مؤشرات الرابط الاجتماعى عند هيرشى وعلاقته بالحد من الجريمة في المجتمع الأردني ، مجلة التربية ، العدد 190، الجزء 5 ، كلية التربية ، جامعة الأزهر.ص ص 256 -287 https://doi.org/10.21608/jsrep.2021.188529

37-محمد ، خواجة عبد العزيز (2018): سوسيولوجية الرابط الاجتماعى، بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية ، نور للنشر ، ألمانيا .

38-مدكور، صفاء (2022): الفلسفة الحاكمة لنظام الثانوية العامة الجديد في مصر بين الواقع والمأمول دراسة اثنوجرافية ،مجلة البحث العلمى في التربية ، العدد (8) ، المجلد (23) ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .

https://doi.org/10.21608/jsre.2022.167203.1513

39-المهاينة ، آية ، الزبون ، محمد (2022): واقع تحويل المدارس الثانوية الأردنية العامة إلى مدارس منتجة استناداً إلى الاتجاهات العالمية المعاصرة ، المجلة العلمية لكلية التربية ، العدد (5) ، المجلد (38)، جامعة أسيوط ، ص ص 78 -102 .

40-نجمى ، على حسين ، عثمان ، حباب عبد الحى (2019) : الأخطار الفكرية السياسية لوسائل التواصل الاجتماعى على طلاب جامعة تبوك ، المجلة العربية للدراسات الأمنية ، العدد (2) ، المجلد (35) ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، السعودية ، ص ص 247-262.

41-والى ، عبد الهادى محمد (2006): تاريخ التفكير الاجتماعى ، مكتبة للعلم ، مصر.

42-الوادعى ، أفنان ، الحارثى ، عبد الرحمن (2023) : تعزيز الأمن الفكرى في المناهج التعليمية في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030، مجلة جامعة السعيد للعلوم الإنسانية ، العدد (4) ، المجلد (6) ، السعودية ، ص ص 120-146.

43-Abd El-Samee, Nemaa&Elsayed, Eman(2020): The Relationship between the intellectual security and the motivation for achievement of university students, Vol 9, Issue 1, Egyptian Journal of Social Work (EJSW),Egypt.

44-Abdelkader, S. A. (2022). The predictive value of intellectual security of extremist behavior in a sample of adolescent's preparation. *Journal of Positive School Psychology*, *6*(7), 3117–3138. http://journalppw.com/index.php/jpsp/article/view/9136

45-A. Al-Shukra, Thallab (2023) "Enhancing Student Affairs for Intellectual Security of Scholarship Students," Information Sciences Letters: Vol. 12 : Iss. 12 , PP2815-2830. Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/isl/vol12/iss12/23

46-Brik AB, Brown CT(2024) :Global Trends in Social Inclusion and Social Inclusion Policy: A Systematic Review and Research Agenda. *Social Policy and Society*. Published online 2024:1-24. doi:10.1017/S147474642400054X

47-Chohra Faycal, Khelil Amina, Khemmad Mohammed (2025). The Algerian educational institutions play a crucial role in fostering intellectual security. Journal for Educators, Teachers and Trainers,Vol.16(1)80-94

48-Chriss, J. J. (2007). The functions of the social bond. The Sociological Quarterly, 48(4), 689–712. https://doi.org/10.1111/j.1533-8525.2007.00097.x

49-Douhet, G. (1983). *The command of the air* (D. Ferrari, Trans.). Washington, DC: Office of Air Force History. (Original work published 1921).

50-Li M, Xu X and Kwan HK (2021) Consequences of Workplace Ostracism: A Meta-Analytic Review. Front. Psychol. 12:641302. doi: 10.3389/fpsyg.2021.641302

51-OECD (2024), Curriculum Flexibility and Autonomy: Promoting a Thriving Learning Environment, OECD Publishing, Paris, https://doi.org/10.1787/eccbbac2-en

52- Spihenkova, Maria A, Moiseev, Artem V, Kirichkova, Margarita E, Krasnoschechenko, Irina P, Arpentieva, Mariam R(2018): Psychological aspects of personal safety, International Conference on the Theory and Practice of Personality Formation in Modern Society (ICTPPFMS-18) , Advances in Social Science, Education and Humanities Research, volume 198, Published by Atlantis Press,pp139-145 .

53-Wolfendale, Jessica(2017): Moral Security, The Journal of Political :Philosophy, Volume 25, Number 2, USA,pp. 238–255

Links

–طالب ، سهيلة (2024): الرابط الاجتماعى رؤية سوسيو تنظيمية ، المركز الجامعى ، مؤتمر مسائل الرابط الاجتماعى وقضايا العيش المشترك ص ص 1: 15

https://www.researchgate.net/publication/384695370_alrabt_alajtmay_-rwyt_swsywtnzymyt

–هريمة ، يوسف (2024): الفلسفة في مواجهة الهشاشة الإنسانية .رحلة البحث عن المعنى والخلاص ، مقال نشر بمؤسسة تكوين الفكر العربى ،

https://taqueen.com/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9%D9%8F-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87%D8%A9%D9%90-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%B4%D8%A7%D8%B4%D8%A9%D9%90-/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

–الكويتى ، محمد (2025): فلسفة التعليم في الوطن العربى ، جريدة أخبار الخليج ، البحرين،

https://akhbar-alkhaleej.com/news/article/1391025

–الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية (2019): النظريات الجيوسياسية ،

file:///H:/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9.pdf

-رابط الموسوعة السياسية https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9%20%D9%82%D9%84%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85

:::